



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

التناقضات العقيدية بين الطوائف النصرانية وأثارها

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالبة

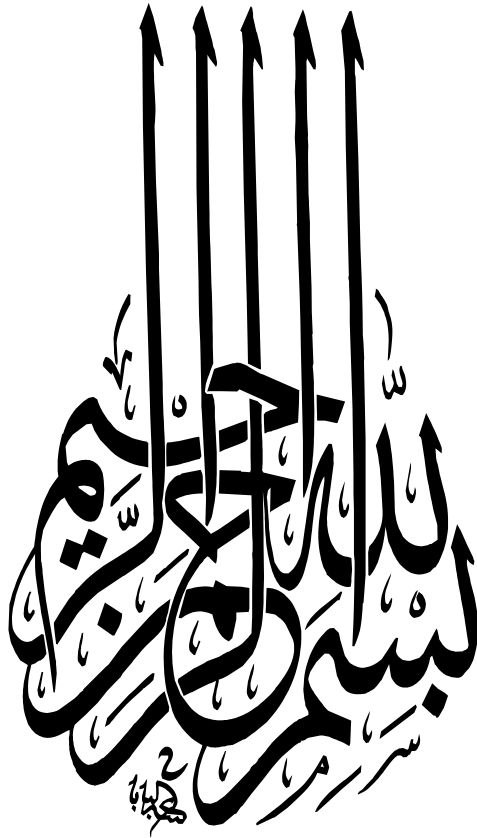
سلوى بنت أحمد بن يحيى المحزري

الرقم الجامعي: ٤٣٠٨٠٠١٩

إشراف الأستاذ الدكتور

يحيى بن محمد بن علي ربيع

١٤٣٤ - ١٤٣٥ هـ



قَالَ تَعَالَى ﴿۱۴﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ
 فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى
 يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿۱۴﴾
 يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا
 مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ
 جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿۱۵﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ
 مِنَ اتِّبَاعِ رِضْوَانِكُمْ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ
 إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿۱۶﴾

[المائدة: ١٤ - ١٦]

مَكْتَبَةُ رِضْوَانِكُمْ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿۱۶﴾

ملخص البحث

تنحصر فصول هذا البحث في إبراز التناقضات بين طوائف النصارى الكبرى: (الأرثوذكس والكاثوليك، والبروتستانت) في العقائد التالية:

- طبيعة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- انبثاق الروح القدس.
- الملك الألفي.
- المطهر.
- صكوك الغفران.
- عصمة البابا عن الخطأ.
- الخلاص.
- العذراء مريم عليها السلام.

وذلك بتعريف تلك العقيدة المختلف عليها، والجامع التي حكمت بها، مع ذكر براهين كل طائفة في منازعتهم فيما يعتقدون أنها حجة لهم، ومن ثم ذكر اعتراضات كل طائفة وردود بعضهم على بعض ليكون ذلك لباطلهم أقطع، وبيان موقف الإسلام ما أمكن، كما تعرضت في الفصل الأخير بصورة موجزة لإبراز الخلاف حول:

الأسرار الكنسية، مكتفية بالإشارة إلى مواطن الخلاف بينهم في تعريفها، وعددها، وأهميتها وفعاليتها، وممارستها، ومن ثم الخاتمة التي اشتملت على أهم النتائج، والتي من أبرزها:

- إن تحريف الإنجيل الذي أنزل على المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ يعد أهم عامل مؤثر في انحراف النصرانية.
- إن النصرانية المحرفة قائمة في جميع عقائدها وطقوسها على مخالفة صريحة للعقول الصحيحة والفطر السليمة، فضلاً عن معارضتها الصارخة للوحي الإلهي.
- إن اختلاف النصارى وتناقضهم في دينهم يعود إلى التناقض في كتابهم المقدس المنقطع السند، وقرارات مجامعهم المتعددة.

Research Summary

The chapters of this research have been enclosed to highlight the biggest christian denominations contradictions (Orthodox , Catholics and Protestants) in the following beliefs:

- 1-The nature of the Christ ,peace been upon him.
- 2-Procession of the Holy spirit.
- 3- The Millennial kingdom.
- 4- The purgatory.
- 5- Indulgences.
- 6_ The immaculacy of the Pope.
- 7-The doctrine of salvation.
- 8- The Virgin Mary peace been upon her.

That's by identifying the doctrine they are disputing about and the synagogues which ruled it out , mentioning the evidence of each denominations in their dispute of what they believe the argument for their benifits and then stated objections of every sect and responses to each other to cut out their falsehood and state the position of Islam as much as possible ,And in the last chapter a highlight to the key contradiction between them about Sacraments ,I only indicated to the points of contradiction , including their contradiction in the definition ,numbers ,their importance ,effectiveness and practices.

Hence the conclusion that included the most important results which are:

- the distortion of the Gospel that was revealed to the Christ , peace been upon him ,is the most important influence on Christian deviation.
- The deviated Christianity's beliefs and rites are based on violation of the right brains and common sense as well as its clear opposition to divine revelation.
- The contradictions of Christians and their religion dates back to the contradiction in their holy book unbroken bond ,and their synagogues multiple resolutions.

الإهداء

إلى كل باحث عن الحقيقة
إلى كل نصراني معتز بعقله، متحرر من التقليد
إلى كل من أراد معرفة الحق لاتباعه، والباطل لردّه
إلى كل مسلم اتخذ فهم السلف عقيدة ومنهجاً، وجعل الدعوة إلى دين الله هدفاً
امتثالاً لقول النبي ﷺ:
«لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النعم»^(١).
إلى كل هؤلاء أهدي هذا البحث.
سائلةً المولى ﷻ أن يُرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور النبي ﷺ وسننه وأيامه: محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى: كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة: (٢٧٨٣/١٠٧٧/٣).

كلمة الشكر

أحمدُ اللهَ جلَّ في علاه أولاً وآخراً، على ما منَّ به عليَّ من نعم لا تُعد ولا تُحصى، ومنها ما هبَّاه لي لإتمام هذا البحث من أسبابٍ ويسر من صعابٍ، أشكره شكر لائذٍ بحماه، منقطعٍ لِمَنَّه ورضاه، معترفٍ بعجز نفسه، وكَلَلِ قلمه، وافتقار همته لخالقه ومولاه، ، ،
وبعد حمد الله وشكره أتوجه إلى أهل الفضل والإحسان، وكل من كان لي عوناً في إنجاز هذا البحث:

فإلى والديَّ الحبيبين أتقدم بخالص الشكر والتقدير على رعايتهما التي أضاءتني بالطموح، وصافحتني بالتشجيع وحب النجاح، فبارك اللهم فيهما وأحسن إليهما، واغفر لهما وارحمهما كما ربياني صغيرة.

ثم أجزل شكري وامتناني لواحة العلم ورعايته "جامعة أم القرى" ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين على إتاحة الفرصة لمواصلة الدراسات العليا، وهيئة الوسائل المعينة على البحث، جزى الله العاملين فيها خير الجزاء، وأجزل لهم في العاقبة والعطاء.
وأخص بالشكر والتقدير مشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور: يحيى ربيع، الذي شملني برعاية أبوية ولم يألُ جهداً في توجيهي وتشجيعي، فأعاني على تحطّي صعوبات كثيرة في سبيل إنجاز البحث، أسأل الله جل في علاه أن يكافئ عرفانه، وأن يُثقل بالحسنات ميزانه.
وأقدم بياقةً شديدة من الشكر الخالص للدكتور: فهد القرشي رئيس قسم العقيدة، الذي سهل لي كثيراً من العقبات، أسأل الله أن يسهل طريقه إلى الفردوس الأعلى من الجنة.
كما أتقدم بوافر الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور: إبراهيم خليفة، الذي أثرى البحث بملاحظاته المباركة، أسأل الله أن يبارك في علمه وعمله، وأن يوفقه لما يحبه ويرضاه.
وأتوجه بالشكر والعرفان إلى اللجنة الموصى بها لمناقشة البحث، لما بذلته من جهد ووقت لتقويم هذا البحث وتسديده.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع أفراد عائلتي، بما لمست من وافر اهتمامهم ودائم سؤالهم وحضورهم، فاللهم بارك لهم في أعمارهم وأعمالهم واجزهم عني خير الجزاء.
والشكر موصول لكل من أفاد بجواب، أو أمدَّ بكتاب، أو ساهم بتصحيح، أو بكلمة تشجيع، أو بدعوة في ظهر الغيب، لكل هؤلاء مني فيض شكرٍ وتقديرٍ وامتنان.
وختاماً أحمد الله تعالى حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه الذي هدانا للإسلام ووفقنا إليه.

المقدمة

الحمد لله ما عمَّ نَظْرٌ في المصالح فأنعم، وما قَطَرَ غمامٌ على ديارٍ فأفعم، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله ذي الخلق العظيم، والفضل الذي أوتيته من لدن حكيمٍ عليم، وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين، صلاة تَشَرَّفَ بحفظها كلُّ جمعٍ، وتَشَتَّفَ بلؤلؤٍ لفظها كلِّ سمعٍ، وبعد:

فقد أرسل الله نبيه محمداً ﷺ على فترة من الرسل، وأنزل معه الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وكان الناس إزاء دعوته على فرق ثلاثة:

فريق اهتدى بفضل الله ورحمته إلى الصراط المستقيم، فطريقهم نور على نور، إلى أن يبلغوا مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر.

وفريق أوصدَّ أبواب الهداية بعد أن عاينها، فتأرجح بين طلب الهدى والنور ومخادعة الله والرسول ﷺ.

وفريق أعرض عن دعوته وصدَّ، وكابر بشقوته ولدَّ، فَهَمُّ في ضلالهم على سبيلٍ متشعبة، يجمعهم الكفر ويفرقهم المنهج والطريقة:

فمنهم الملحد الذي تعامى عن نداء الحق، وتخبط في دنياه على غير هدى من وحي إلهي.

ومنهم الوثني الذي غوى، وعبد ما لا يضره ولا ينفعه، حتى عبد ما نحت، وهو يعلم أنها لا تسمع ولا تبصر.

ومنهم اليهودي الذي رأى سبيل الرُّشد فلم يتخذه سبيلاً، فأضلّه الله على علم، وختم على قلبه وسمعته.

ومنهم النصراني، دينه التثليث، ومعبوده الصليب، وغافر ذنبه القسيس، وربّه عيسى المسيح ﷺ، الذي زُعم بأن اليهود قتلوه مصلوباً، وأدر كوه مطلوباً، وقهره مغلوباً.

وبذلك ضلَّ النصارى عن سواء السبيل، وعاشوا في انقسام وشقاق، حتى تعددت طوائفهم، وتشعبت فرقهم، وظهر العداة جلياً بينهم، كما أكَّدَ ذلك الباري ﷻ بقوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا

إِنَّا نَصْرِيّ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ [سورة المائدة، ١٤].

فاختلفوا اختلافاً أضاع دينهم وأبعدهم عن حقيقته، وأذهلهم عن صحيح طريقتهم، وقد أخذت هذه الاختلافات تتجذر وتعمق إلى درجة كبيرة، تفجّرت في صور حروبٍ طاحنة، وتمثلت في أحداثٍ مذابحٍ يندى لها الجبين، ومنها:

١. ما حدث بين عامي (٣٧٢-٤٤٤م) حيث قامت حملة ضخمة للقضاء على بدعة المانوية، وهي جماعة دينية سرية نصرانية، استخدمت وسائل لتحديد النسل مما اعتبر مناقضاً للإيمان الكاثوليكي، وبلغ عدد ضحايا هذه الحملة بالآلاف.
٢. ما حدث في عام (١٢٠٩م) حيث قامت أول حملة صليبية تهدف إلى ذبح مسيحيي البيجترينانس أو الكاتار الذين يعدون أنفسهم مسيحيين حقيقيين، ولكنهم لم يقبلوا حكم الكاثوليك، فبدأت حملة العنف ضدهم بقيادة البابا أنوسنت الثالث الذي دمر مدينة بيزيرس بفرنسا، وذبح كل سكانها، حيث بلغ عدد الضحايا من (٢٠) إلى (٧٠) ألفاً.
٣. في عام (١٥٧٢م) تم قتل ما يقارب (٢٠) ألف بروتستانت في فرنسا حتى القرن السابع عشر بأمر من البابا بيوس الخامس عشر.
٤. في القرن السابع عشر: اقتحم الكاثوليك مدينة ماجدبرج الألمانية وقتلوا (٣٠) ألف بروتستانت تقريباً، وذكر بأنه عثر في كنيسة واحدة على (٥٠) امرأة مفصولة الرأس، بينما أطفالهن مازالوا يرضعون منهن.
٥. حرب الثلاثين عاماً: وهي سلسلة صراعات دموية مزقت أوروبا بين عامي (١٦١٨-١٦٤٨م)، وقعت بين البروتستانت والكاثوليك وكلفت أوروبا الملايين من الضحايا، بخاصة ألمانيا التي فقدت ما يقارب (٤٠%) من سكانها^(١).

(١) انظر: الرد على دعاوى بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر التي وردت في محاضراته الشهيرة، كتبه: د. فهد بن محمد القرشي، بحث مقدم لسعادة الدكتور: عبدالله القرني، في السنة المنهجية للدكتوراه: (١٤٢٧-١٤٢٨هـ)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة: (ص٢٧-٢٨).

وقد أظهرت هذه الحروب بوضوح ما يكنه النصارى بعضهم لبعض من عداوة وبغضاء وصلت لحد التطهير الطائفي، فانطبق عليهم قول الباري ﷻ: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الحشر ١٤].

أسباب اختيار الموضوع:

في ضوء ما تقرر ولأهمية هذا الموضوع يمكنني القول بأن الذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع والعمل على بحثه عدة أسباب، أجمالها فيما يلي:

- رغبتني في اختيار موضوع يستفيد منه الناس، فلعل الله يهدي به من يطلع عليه من النصارى حيث صح عن النبي ﷺ قوله لعلي بن أبي طالب ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»^(١).
- إبراز الخلاف والتناقض بين طوائف النصارى في تصور المعتقد يُعدُّهدماً للعقيدة ذاتها وتعرية للباطل الذي هُم عليه^(٢).
- إبراز استحالة الوحدة بين طوائف النصارى كما صرح بذلك قساوستهم، فالأمر الوحيد المشترك بينهم هو الحوار فقط، لأن لكل طائفة منهم أفكاراً لاهوتية خاصة وتفسيراً مختلفاً للكتاب المقدس، مما يبطل زعمهم في قولهم: "نحن واحد في يسوع، وكلنا واحد"^(٣).
- إبراز الخلاف بين طوائف النصارى يُمكنُ المسلم من دعوتهم إلى الله على بينة وبصيرة من جهة معرفة معتقد كل طائفة، وهدم هذه العقائد بأفواه النصارى من الفرق المخالفة فيصل المسلم إلى أفضل السبل في دعوتهم.
- نُدرَةُ الدراسات الإسلامية التي تناولت هذا الموضوع المهم.

(١) سبق تحريجه (٦).

(٢) باعتبار المآل.

(٣) وهو قول بالإتحاد والحلول؛ مما جاء في كتبهم: "كما أن المسيح واحد، وروح الله في الكنيسة واحد، هكذا الكنيسة في جوهرها واحدة" تاريخ انشقاق الكنائس، جراسيموس مسرة، طبع بالمطبعة الإبراهيمية بالإسكندرية سنة: ١٨٩١م، (ص١٩)، و"ليكونوا واحداً، كما أننا نحن واحد" (يو١٧: ٢٢).

- ثراء مادة الموضوع بكثيرٍ من المسائل التي تحتاج إلى دراسة تفصيلية، بل لا أبالغ إن قلتُ: إنَّ كلَّ فصلٍ من هذا البحث جدير بأطروحة علمية، تُبرز تناقض النصراني في تلك العقائد والطقوس وتُخضعها لنقد علمي موضوعي.

حدود البحث:

ينحصر هذا البحث في إبراز الخلافات والتناقضات بين طوائف النصراني الكبرى: الأرثوذكس والكاثوليك، والبروتستانت.

الدراسات السابقة:

اعتنى العلماء قديماً وحديثاً بإبراز عقائد النصراني والردّ عليهم، إلا أنني لم أقف -بعد البحث وسؤال أهل العلم- على دراسة إسلامية تخصُّ هذا الموضوع، كما أكَّد ذلك مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

إلا أنني وجدت بعض المؤلفات لدى النصراني، والخاصة بكل طائفة، تُبرز خلافاتها مع الطوائف الأخرى، وتقوم بالردّ على مخالفيها، ومن أهم هذه المؤلفات:

- الدليل إلى طاعة الإنجيل، للمعلم ميخائيل مشاقة، وهو كتاب بروتستانتي للرد على الكاثوليك، طبع سنة ١٨٤٩م.

- أجوبة الإنجيليين على أباطيل التقليديين، للمعلم ميخائيل مشاقة للرد على كل من الكاثوليك والأرثوذكس، طبع سنة ١٨٥٢م.

- البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية، للمعلم ميخائيل مشاقة، للرد على الكاثوليك، طبع سنة ١٨٦٤م.

- الحجّة الأرثوذكسية ضد اللهجة الرومانية لمؤلفه الإيغومانس فيلوثاؤس وهو كتاب أرثوذكسي للرد على الكاثوليك طبع سنة ١٨٩٥م.

- تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما في العقائد الكنيسة الغربية من الزيغان، للأبنايسودورس وهو كتاب أرثوذكسي للرد على الكاثوليك طبع سنة: ١٩٣٥م.

- الأم الإله لا تزال تُعبد، لجمعية برج المراقبة، وهو مقال (لشهود يهوه)^(١) يردون فيه على كل من الكاثوليك والأرثوذكس في معتقدتهم في مريم العذراء، طبع سنة: ١٩٩١م.

منهج الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على مجموعة من المناهج البحثية بحسب النقاط التي تتعرض لها منها: المنهج الوصفي، والتحليلي، والاستدلالي، والنقدي.

طريقة البحث:

- ١- أجمع مادة البحث من المصادر الأصلية ما أمكن، أما إذا كان هناك نقل بواسطة فأشير إليه بعد ذكر المصدر الأصلي بقولي: نقلاً عن كذا.
- ٢- أعزو الآيات القرآنية بالإشارة إلى اسم السورة ورقم الآية، وأنقلها بالرسم العثماني.
- ٣- أميزُ كلام الرسول ﷺ، بوضعه بين قوسين «»، وأقوم بتخريج الأحاديث والآثار من كتب السنة المعتمدة، وأنقل أقوال أهل العلم في صحتها أو ضعفها ما استطعتُ إلى ذلك سبيلاً، إلا ما كان في صحيح البخاري ومسلم أو أحدهما، مع إيضاح وجه الاستدلال من الأدلة النقلية إن دعت الحاجة إلى ذلك.
- ٤- أعتمد في توثيق نصوص الكتاب المقدس المستشهد بها عند الطائفة الكاثوليكية على النسخة اليسوعية الصادرة من دار المشرق ببلبنان، أما الطائفة الأرثوذكسية والبروتستانتية فأعتمد على النسخة الصادرة من دار الكتاب المقدس بمصر.
- ٥- أستخدم علامة النقطتين الرأسيتين (:) للفصل بين رقم الإصحاح ورقم الفقرة من الكتاب المقدس، وعلامة الشرطة (-) أي من كذا إلى كذا.
- ٦- أذكر بيانات كل مرجع عند أول وروده، ثم أقتصر على ذكر اسم الكتاب فقط، وربما بنوع من الاختصار؛ كأن أقول: "كنز النفائس" (اختصاراً لكنز النفائس في اتحاد الكنائس)، "اللاهوت

(١) شهود يهوه: منظمة عالمية دينية وسياسية، تقوم على سرية التنظيم، أسسها الراهب تشارلز راسل سنة (١٨٦٢م)، يؤمنون بالكتاب المقدس ويفسرونه حسب مصالحهم، يستغلون اسم الدين للوصول إلى هدفهم وهو إقامة دولة دينية دنيوية للسيطرة على العالم، لاتعترف بالطوائف النصرانية، وفي المقابل لايعترف النصراني بها، ويعتبرونها منكراً لأغلب تعاليم النصرانية وأصولها. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب: (٦٤٨/٢). مجلة الراصد العدد: ٥١ (ص٧).

النظامي " (اختصاراً لعلم اللاهوت النظامي)، "الفروق العقيدية" (اختصاراً للفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية) وهكذا.

- ٧- أعرض ما اختلفوا فيه، مع ذكر براهين كل طائفة في منازعتهم فيما يعتقدون أنها حجتهم في مذهبهم، وردود بعضهم على بعض؛ كما أحاول جمع أكبر عدد من الاعتراضات والردود في مسائل العقيدة، مع بيان نقضها بألسنة سادتهم وكبرائهم، وبيان الموقف الإسلامي ما أمكن، اتباعاً لقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء ١٨].
- ٨- أستخدم لفظ النصرانية في ثنايا البحث لكونه المصطلح الصحيح، باستثناء ما كان في النص المستشهد به فأستخدم لفظ المسيحية حفاظاً على مطابقتها للمصدر.
- ٩- أهتمّش للمعلومات بعزوها إلى مصادرها، وما كان نصاً أضعه بين قوسين " " فأذكر اسم المرجع بعد رقم الهامش مباشرة، وأما إذا كان النقل بالمعنى أو اختصاراً فأذكر عبارة: "انظر"، بعد رقم الهامش مباشرة ثم اسم المرجع.
- ١٠- أترجم لأباء الكنيسة الواردين في البحث ممن تمكنت من تمييزهم، ولم ألتزم بالترجمة للجميع لأنه قد يحدث هناك لبس عند ورود بعضهم فلا يُدرى من المقصود.
- ١١- أعرف بما يحتاج إلى تعريف من مفردات غامضة وفرق، نقلاً عن الكتب المختصة ما أمكن.
- ١٢- أضع الفهارس العامة المتعارف عليها في البحث، كفهرس الآيات القرآنية وفهرس الأحاديث، وفهرس الأعلام وفهرس المراجع، وفهرس الموضوعات.
- ١٣- بما أن موضوع الدراسة "التناقضات العقيدية بين الطوائف النصرانية وآثارها" فسأقدم ذكر اختصارات أسماء أسفار الكتاب المقدس، حتى إذا ذكر النص في موضع يكون القارئ على علم بهذا النص؛ وبالرمز الذي يُشير إليه، وسأعتمد في هذه الاختصارات على ما ورد في قاموس الكتاب المقدس، وهي على النحو التالي:

اختصارات أسفار الكتاب المقدس

الاختصار	العهد القديم	الاختصار	العهد القديم
جا	سفر الجامعة	تك	سفر التكوين
نش	سفر نشيد الإنشاد	خر	سفر الخروج
إش	سفر إشعياء	لا	سفر اللاويين
إر	سفر إرمياء	عد	سفر العدد
مرا	سفر مراثي إرميا	تث	سفر التثنية
حز	سفر حزقيال	يش	سفر يشوع
دا	سفر دانيال	قض	سفر قضاة
هو	سفر هوشع	را	سفر راعوث
يؤ	سفر يوثيل	١ صم	سفر صموئيل الأول
عا	سفر عاموس	٢ صم	سفر صموئيل الثاني
عو	سفر عوبديا	١ مل	سفر ملوك الأول
يون	سفر يونان	٢ مل	سفر ملوك الثاني
مي	سفر ميخا	١ أخ	سفر أخبار الأيام الأول
نا	سفر ناحوم	٢ أخ	سفر أخبار الأيام الثاني
حب	سفر حبقوق	عز	سفر عزرا
صف	سفر صفنيا	نح	سفر نحميا
حج	سفر حجي	أس	سفر أستير
زك	سفر زكريا	أي	سفر أيوب
ملا	سفر ملاخي	مز	سفر المزمير
		أم	سفر الأمثال

اختصارات أسفار الكتاب المقدس

الاختصار	العهد الجديد	الاختصار	العهد الجديد
١ تي	الرسالة الأولى إلى أهل تيموثاوس	مت	إنجيل متى
٢ تي	الرسالة الثانية إلى أهل تيموثاوس	مر	إنجيل مرقس
تي	الرسالة إلى تيطس	لو	إنجيل لوقا
فل	الرسالة إلى فلاديمون	يو	إنجيل يوحنا
عب	الرسالة إلى العبرانيين	أع	أعمال الرسل
يع	رسالة يعقوب	رو	الرسالة إلى أهل رومية
١ بط	رسالة بطرس الأولى	١ كو	الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس
٢ بط	رسالة بطرس الثانية	٢ كو	الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس
١ يو	رسالة يوحنا الأولى	غلا	الرسالة إلى أهل غلاطية
٢ يو	رسالة يوحنا الثانية	أف	الرسالة إلى أهل أفسس
٣ يو	رسالة يوحنا الثالثة	في	الرسالة إلى فليبي
يه	رسالة يهوذا	كو	الرسالة إلى أهل كولوسي
رؤ	الرؤيا	١ تس	الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي
		٢ تس	الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي

مكتبة معهد الدراسات الإسلامية والدراسات الإنسانية

خطة البحث:

تضمنت بعد المقدمة: التمهيد، وتسعة فصول، والخاتمة، على النحو التالي:

التمهيد: ويشمل: التعريف بالنصرانية، ومصادرها.

الفصل الأول: تناقض النصارى حول طبيعة المسيح ﷺ ومشيتته.

وفيه: تمهيد، وثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: موقف الكنيسة الأرثوذكسية "اللاخليدونية" من طبيعة المسيح ومشيتته.

المطلب الأول: طبيعة المسيح عند الأرثوذكس اللاخليديين.

المطلب الثاني: طبيعة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت عند الأرثوذكس.

المطلب الثالث: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الأرثوذكسية.

المطلب الرابع: مشيئة المسيح وفعله عند الأرثوذكس.

المبحث الثاني: موقف الكاثوليك والبروتستانت ومن وافقهم من طبيعة المسيح ومشيتته.

المطلب الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية ومن وافقها من القول بالطبيعة

الواحدة للمسيح.

المطلب الثاني: طبيعة المسيح عند الكاثوليك ومن وافقهم.

المطلب الثالث: البراهين التي يستند إليها الكاثوليك ومن وافقهم.

المطلب الرابع: مشيئة المسيح وفعله عند الكاثوليك ومن وافقهم.

المبحث الثالث: المسيح ﷺ في الإسلام.

الفصل الثاني: التناقض حول انبثاق الروح القدس.

وفيه: تمهيد، وستة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بـ"انبثاق الروح القدس".

المبحث الثاني: حقيقة الروح القدس عند النصارى.

المبحث الثالث: تاريخ إضافة لفظ "والابن" إلى قانون الإيمان.

المبحث الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية.

المبحث الخامس: موقف الكنيسة الأرثوذكسية من انبثاق الروح القدس.

المطلب الأول: انبثاق الروح القدس من الآب وحده عند الأرثوذكس.

المطلب الثاني: علاقة الروح القدس بالآب والابن عند الأرثوذكس.

المطلب الثالث: نتائج عقيدة الانبثاق من الآب والابن.

المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الأرثوذكسية.

المبحث السادس: الروح القدس في الإسلام.

الفصل الثالث: التناقض حول الملك الألفي.

وفيه: تمهيد، وثلاثة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: القائلون بالتفسير الحرفي للملك الألفي.

المطلب الأول: اللاحقية.

المطلب الثاني: السابقة.

المطلب الثالث: البراهين التي يستند إليها القائلون بالتفسير الحرفي.

المبحث الثاني: القائلون بالتفسير الروحي للملك الألفي.

المطلب الأول: بيان عقيدتهم.

المطلب الثاني: موقفهم من القائلين بالتفسير الحرفي.

المطلب الثالث: الاعتراضات على التفسير الحرفي.

المبحث الثالث: نزول المسيح ﷺ ومدة مكثه في آخر الزمان في الإسلام.

الفصل الرابع: التناقض حول المطهر.

وفيه: تمهيد، ومبحثان، على النحو التالي:

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من عقيدة المطهر.

المطلب الأول: تعريف المطهر.

المطلب الثاني: نص العقيدة.

المطلب الثالث: المجمع الكاثوليكية التي أعلنت وحددت عقيدة المطهر.

المطلب الرابع: البراهين التي يستند إليها الكاثوليك.

المطلب الخامس: العذاب في المطهر.

المطلب السادس: حول المطهر عند الكاثوليك.

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من عقيدة المطهر.

الفصل الخامس: التناقض حول صكوك الغفران.

وفيه: تمهيد، وثلاثة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من صكوك الغفران.

المطلب الأول: تعريف صكوك الغفران.

المطلب الثاني: نشأة صكوك الغفران.

المطلب الثالث: فلسفة منح الغفرانات في الكنيسة الكاثوليكية.

المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية.

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من صكوك الغفران.

المبحث الثالث: منح المغفرة في الإسلام.

الفصل السادس: التناقض حول عصمة البابا عن الخطأ.

وفيه: تمهيد، وثلاثة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من عصمة البابا.

المطلب الأول: تعريف العصمة البابوية.

المطلب الثاني: إقرار العقيدة.

المطلب الثالث: عصمة البابا في عقيدة الكاثوليك.

المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية.

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من عصمة البابا.

المبحث الثالث: العصمة في الإسلام.

الفصل السابع: التناقض حول الخلاص.

وفيه: تمهيد، وأربعة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: تعريف الخلاص.

المطلب الأول: الخلاص لغة.

المطلب الثاني: الخلاص اصطلاحاً.

المبحث الثاني: شرط الخلاص عند البروتستانت.

المطلب الأول: الإيمان الخلاصي عند البروتستانت.

المطلب الثاني: البراهين التي يستند إليها البروتستانت.

المطلب الثالث: نتائج الإيمان الخلاصي.

المبحث الثالث: شرط الخلاص عند الأرثوذكس والكاثوليك.

المطلب الأول: طرق نيل الخلاص عند الأرثوذكس والكاثوليك.

المطلب الثاني: الاعتراضات على فكرة الخلاص بالإيمان فقط.

المبحث الرابع: غفران الخطايا في الإسلام.

الفصل الثامن: التناقض حول العذراء مريم عليها السلام.

وفيه: تمهيد، وأربعة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: الحبل بلا دنس.

المطلب الأول: عقيدة الحبل بلا دنس عند الكاثوليك.

المطلب الثاني: الاعتراضات على هذه العقيدة.

المبحث الثاني: بتولية العذراء الدائمة.

المطلب الأول: عقيدة بتولية العذراء عند الأرثوذكس والكاثوليك.

المطلب الثاني: الاعتراضات على هذه العقيدة.

المبحث الثالث: تلقيب العذراء بوالدة الإله.

المطلب الأول: عقيدة تلقيب العذراء بوالدة الإله عند الأرثوذكس

والكاثوليك.

المطلب الثاني: الاعتراضات على هذه العقيدة.

المبحث الرابع: مريم عليها السلام في الإسلام.

الفصل التاسع: التناقض حول الأسرار الكنسية.

وفيه: تمهيد، وسبعة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: المعمودية.

المبحث الثاني: المسحة بالميرون المقدس.

المبحث الثالث: التوبة "الاعتراف".

المبحث الرابع: العشاء الرباني "الإفخارستيا".

المبحث الخامس: مسحة المرضى.

المبحث السادس: الزواج.

المبحث السابع: الكهنوت "الرسامة".

الخاتمة: اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

وختاماً أحمد الله تعالى حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، الذي هدانا للإسلام ووفقنا إليه، كما أحمدّه جل في علاه على تيسيره وعونه وتوفيقه لإتمام هذا البحث.

الباحثة



التمهيد

التمهيد

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالنصرانية.

المبحث الثاني: مصادر العقيدة النصرانية.

التمهيد

تتمحور دعوة الرسل جميعاً حول قضية إيمانية واحدة، هي الدعوة إلى توحيد الله ونبذ الشرك والوثنية^(١)، فكان النداء الأول لجميع الرسل ﴿يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف ٥٩]، بها دعا نوح قومه، وإبراهيم وموسى وكذلك عيسى، شأنه في ذلك شأن كافة الرسل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام^(٢)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل ٣٦]، وقد ذكر الله ﷻ ذلك في بيان دعوة المسيح ﷺ وعلى لسانه فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَقَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة ١١٦ - ١١٧]، إلا أن النصارى لم يثبتوا على دعوة المسيح ﷺ التي كانت توحيداً خالصاً، ومنهجاً ربانياً واضحاً، بل انحرفوا عن الصراط المستقيم وهدى رب العالمين، فأدخلوا الخرافات والأباطيل في دينهم وتقولوا على الله بغير علم، فضلوا وأضلوا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ

(١) انظر: التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي - دار الفكر - دمشق - الطبعة الأولى: (١/٥٧٦).

(٢) انظر: التحفة المقدسية في تاريخ النصرانية بدايتها ومنتهاها لأبي محمد عاصم المقدسي، منبر التوحيد والجهاد:

إِلَّا إِلَهُ وَحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

[المائدة ٧٢ - ٧٣].

وبعد هذا الكفر والضلال عاش النصارى في اختلاف وشقاق وانقسام.

يقول ابن القيم رحمه الله: "ثم بعث الله سبحانه عبده ورسوله وكلمته المسيح ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه، فجدد لهم الدين وبيّن لهم معالمة ودعاهم إلى عبادة الله وحده، والتبري من تلك الأحداث والآراء الباطلة، فعادوه وكذبوه، ورموه وأمه بالعظائم، وراموا قتله فطهره الله تعالى منهم، ورفعهم إليه، فلم يصلوا إليه بسوء، وأقام الله تعالى للمسيح أنصاراً دعوا إلى دينه وشريعته حتى ظهر دينه على من خالفه، ودخل فيه الملوك، وانتشرت دعوته، واستقام الأمر على السداد بعده نحو ثلاث مئة سنة. ثم أخذ دين المسيح في التبديل والتغيير حتى تناسخ واضمحل، ولم يبق بأيدي النصارى منه شيء، بل ركبوا ديناً بين دين المسيح ودين الفلاسفة عباد الأصنام، وراموا بذلك أن يتلطفوا للأمم حتى يدخلوهم في النصرانية. . وهم حيارى تائهون، ضالون مضلون، لا يثبت لهم قدم، ولا يستقر لهم قول في إلههم، بل كلُّ منهم قد اتخذ إلهه هواه، وصرح بالكفر والتبري ممن اتبع سواه، قد تفرقت بهم في نبيهم وإلههم الأقاويل، وهم كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة ٧٧]، فلو سألت أهل البيت الواحد عن دينهم ومعتقدهم في ربهم ونبيهم لأجابك الرجل بجواب، وامرأته بجواب، وابنه بجواب، والخادم بجواب! فما ظنك بمن في عصرنا هذا وهم نُخالة الماضين، وزبالة الغابرين، ونفاية المتحيرين! وقد طال عليهم الأمد وبعُدَ عهدهم بالمسيح ودينه" (١).

(١) إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر "ابن القيم الجوزية"، تحقيق: محمد عزيز شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد أيتيم، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى: (١٠٣٥/٢-١٠٤٩).

المبحث الأول

التعريف بالنصرانية

النصرانية لغة: مأخوذة من: (ن ص ر) ويقال: نصرته على عدوه، ونصرته منه نصرًا أي قوته، وتناصر القوم أي نصر بعضهم بعضاً، واستنصرته أي طلبت نصرته، ونَصْرَان ونَصْرَانة: قرية بالجليل من فلسطين كان فيها مولد المسيح عليه السلام، ويقال لها الناصرة ومنها اشتق اسم النصارى، ثم أطلق النصراني على كل من تعبد بهذا الدين، والنصرانية دينهم ومعتقدهم الذي يذهبون إليه^(١).

النصرانية اصطلاحاً: "هي الدين الذي انحرف عن الرسالة التي أنزلت على عيسى عليه السلام، مكملة لرسالة موسى عليه السلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية"^(٢).

وقيل: "هي دين النصارى الذين يزعمون أنهم أتباع المسيح عليه السلام وكتابهم الإنجيل"^(٣).

وقد أطلق على أتباع هذا الدين في القرآن الكريم:

(١) النصارى: قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا ۗ ﴾

تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ [البقرة ١١١].

(٢) أهل الكتاب: قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا ۗ ﴾

(١) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العالمية، بيروت: (٦٠٧/٢)؛

تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد الحسيني، تحقيق: مجموعة محققين، دار الهداية: (٢٢٩/١٤ - ٢٣٠).

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: (٥٦٤/٢).

(٣) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف، أضواء السلف، الطبعة الخامسة: (ص ١٦٥).

عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ^ع أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿﴾ [النساء ١٧١].

(٣) أهل الإنجيل: قال تعالى: ﴿ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة ٤٧].

ويسمي النصارى أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السلام ويسمون ديانتهم المسيحية.

وهذه التسمية لم ترد في نصوص الكتاب والسنة، ولم ينقل عن المسيح عليه السلام إطلاقه على أتباعه هذا الاسم، وحيث إن واقع النصارى يخالف ما جاء به المسيح عليه السلام جملة وتفصيلاً، فإن الحق والصواب التقيد بما جاء في النصوص، وذلك لأن في نسبتهم للمسيح عليه السلام خطأ فاحشاً، إذ يلزم من ذلك عزو ذلك الكفر والضلال إلى المسيح عليه السلام وهو منه بريء^(١)، يقول الباري تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ [المائدة ١١٦ - ١١٧]، وفي هذه الآية "إظهار لبراءة المسيح عليه السلام ووالدته مما نسب إليه من الدعوة إلى عبادتهما، وفيه توبيخ للنصارى الذين يزعمون اتباعهم للمسيح عليه السلام فتمردوا وطعنوا في الله جل جلاله ووصفوه بما لا يليق من اتخاذ الزوجة والولد، فجاء رد المسيح عليه السلام إقراراً منه بالعبودية لله عز وجل وتبليغه للرسالة التي كلف بها، وهي الدعوة إلى التوحيد، تكديماً لقومه في افتراءهم عليه، وتثبيتاً لحجته على قومه على رؤوس الأشهاد"^(٢).

(١) انظر: دراسات في اليهودية والنصرانية: (ص ١٦٥ - ١٦٦).

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى:

(٢٩٩/٤).

أشهر طوائف النصرانية:

الطوائف الرئيسية في النصرانية هي: الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية^(١)، أما الطوائف الأخرى فهي منبثقة من هذه الثلاثة إلى حد كبير^(٢).

أولاً: الكاثوليكية:

أصل كلمة كاثوليكي مشتق من الكلمة اليونانية (KATHOLIKOS) ومعناها عام وعالمي، أي أن الكاثوليكية هي الديانة المسيحية العالمية، وينسب إلى هذه الفرقة عامة المسيحيين في الغرب، لذا تسمى كنيستها بالكنيسة الغربية أو اللاتينية أو البطرسية^(٣)، وتمثل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية أكبر تجمع مسيحي في العالم، حيث يقدر عدد أتباعها بنحو المليار، وقد استخدمت هذه الكلمة "الكاثوليكية" لأول مرة من قبل القديس أغناطيوس الأنطاكي^(٤) في رسالته إلى السميرانيين سنة (١١٠م)، لكن الاستخدام الرسمي لها في التعبير عن الكنيسة المسيحية لم يحدث قبل القرن الثالث الميلادي، وتعتبر الكنيسة الكاثوليكية نفسها الوريث الشرعي الوحيد للمسيح، وذلك عبر سلسلة أسقفية متواصلة تبدأ من بطرس الرسول تلميذ ووصي وخليفة السيد المسيح، وتستمر عبر خلفائه من الآباء بلا انقطاع إلى يومنا هذا، للتفويض والسلطان اللذين منحهما يسوع المسيح -بزعمهم- للرسول الاثني عشر^(٥) حين: "دعا تلاميذه الاثني عشر

(١) انظر: الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مراجعة، د. مانع بن حماد الجهني، الطبعة الرابعة: (٢/٥٨٣-٦١٥).

(٢) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: (ص ٤٦٤).

(٣) انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: (ص ٤٦٤)، الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، القس: إبراهيم عبد السيد ميخائيل، مطبعة المحبة، الطبعة الثالثة عشر: (ص ٦).

(٤) اغناطيوس الثيوفورس الأنطاكي: وُلد حوالي عام (٣٠م)، قيل: إنه نشأ في سوريا، رأى فيه آباء الكنيسة الغربية المتقدمة على الخلاص فرسموه أسقفاً على أنطاكية، وضع نظام التسبحة، وله العديد من العظات والرسائل، منها: إلى فيلادلفيا، وسميرنا، والقديس بوليكربس. انظر: قاموس آباء الكنيسة: نسخة إلكترونية.

(٥) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، دار الأوتل للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: (ص ٦٨ - ٦٩).

وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشياطين، وشفاء أمراض، وأرسلهم ليكرزوا^(١). بملكوت الله، ويشفوا المرضى. وقال لهم: لا تحملوا شيئاً للطريق لا عصا ولا مزوداً ولا خبزاً ولا فضة، ولا يكون للواحد ثوبان، وأي بيت دخلتموه فهناك أقيموا ومن هناك اخرجوا، وكل من لا يقبلكم فاخرجوا من تلك المدينة وانفضوا الغبار أيضاً عن أرجلكم شهادة عليهم"^(٢).

من أبرز معتقدات الكنيسة الكاثوليكية:

- (١) إن للمسيح طبيعتين ومشيئتين متميزتين^(٣).
- (٢) إن الروح القدس منبثق من الآب والابن معاً^(٤).
- (٣) تقديس البابا وادعاء عصمته عن الخطأ باعتباره معلماً دينياً، وعصمة وظيفته البابوية باعتباره رئيساً للكنيسة^(٥).
- (٤) يؤمن الكاثوليك بالمطهر، وهو مكان بين الجنة والنار تتعذب فيه النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاء الكامل، فتتعذب فيه مدة حتى تطهر، ومن ثمَّ يسمح لها بدخول الملكوت^(٦).
- (٥) إنها تملك حق الغفران، تمنحه لمن تشاء، وتصدر ما يسمى بـ"صكوك الغفران"، وتبيعه للناس كوسيلة للخلاص من عذاب المطهر، أو الحد منه^(٧).

(١) الكرازة: الوعظ والتبشير بالحقائق الإنجيلية خصوصاً والمسيحية عموماً، والكارز أو الكاروز هو: الواعظ أو المنادي بهذه البشارة، والفعل كرز، أي: وعظ ونادى وبشر بالإنجيل. قاموس المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية.
(٢) (لو ٩: ١-٥).

(٣) انظر: الفروق العقيدية: (ص ١٥)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٦٤).

(٤) الطوائف المسيحية في مصر والعالم، إعداد: ماهر يونان عبد الله، تقديم ومراجعة القس: جرجس صبحي: (ص ٦٠).

(٥) انظر: الفروق العقيدية: (ص ٣١)، كتر النفائس في اتحاد الكنائس، نقولاً أميزي، دار الشيخ عرب لدراسة الكتب السماوية: (ص ١٨-١٩، ٤٦)، الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول وردة فعل الأرثوذكسية والبروتستانتية، الأستاذ الأسقف باسيلوس، تقديم: كمال أسطفان، الشبكة الأرثوذكسية العربية الأنطاكية: (ص ٣١).

(٦) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٧٣-٧٤)، كتر النفائس: (ص ١٨٢-١٨٣).

(٧) انظر: مصادر النصرانية، د. عبد الرزاق عبد المجيد، دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الأولى: (ص ٨٧٣)، لماذا نرفض المطهر، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست بالعباسية، الطبعة الأولى: (ص ٧٨-٨٠).

(٦) إنَّ مريم العذراء والدة الإله، دائمة البتولية، مطهرة من الخطيئة الأصلية، مستحقة للعبادة، شريكة في الفداء، وتسمى لديهم بسيدة المطهر^(١).

(٧) لا يسمح الكاثوليك بالطلاق حتى لعدة الزنا، ويكتفون بالتفريق الجسماني بين الزوجين، ويجيزون الزواج بالمسيحي وغير المسيحي، وبين الكاثوليك وغيره من المسيحيين بترخيص من السلطة الكنسية^(٢).

ثانياً: الأرثوذكسية:

كلمة يونانية الأصل مركبة من كلمتين أحدهما: (ORTHOS): وهي صفة لما هو قويم وسليم، وتأتي بمعنى الحق، والثانية: (DOXA). بمعنى المذهب والرأي والمعتقد والفكر، فيكون معنى كلمة الأرثوذكسية المعتقد القويم والمذهب الحق^(٣)، وتطلق اصطلاحاً على جماعة كبيرة من المسيحيين الذين يقولون أنهم حافظوا على المعتقد الصحيح كما حددته المجامع المسكونية، تمييزاً لهم من الذين عدوا هرطقة^(٤) (٥)، وتسمى كنيستهم الكنيسة

(١) انظر: كتر النفائس: (ص ١٦٧)، الفروق العقيدية: (ص ٣٢ - ٣٣)، مريم ابنة عمران بين اليهودية والمسيحية والإسلام، أبو عبد الرحمن غنيم عبد العظيم: (ص ٣٢ - ٣٨).

(٢) انظر: الفروق العقيدية: (ص ٢٧ - ٢٩)، كتر النفائس: (ص ١٨٧)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، نقله إلى العربية المطران يوحنا منصور، ٢٠٠٥-٢٠٠٦ م: (ص ١٠٧).

(٣) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٤٧)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: (ص ٤٧٣)، الفروق العقيدية: (ص ٥).

(٤) الهرطقة: هي خطأ عقدي ضد الخلاص والأمور اللاهوتية، والهرطوقي: هو الإنسان المبتدع الذي يقول بتعليم يخالف ما كتب في الكتاب المقدس، كما أنه لا يخضع لتعاليم الكنيسة على لسان آباءها عبر القرون، ويُسمى صاحب بدعة، ويحاكمه مجمع كنسي مسكوني أو محلي، ويتدرج عقاب الهرطق في عدة درجات: أهمها عقاب الحرم أو الحرمان أي عدم قبوله بين النصارى؛ لأنه يعكر سلام الكنيسة، معجم المصطلحات الكنسية: نسخة إلكترونية.

(٥) الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٤٨).

الشرقية أو اليونانية؛ لأن أكثر أتباعهم من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية، انفصلت هذه الكنيسة عن الكنيسة الكاثوليكية في عام: (١٠٥٤م) لأمر اختلفوا عليها^(١).

ويشمل مصطلح الأرثوذكسية أسرتين من الكنائس هي:

(١) الكنائس الشرقية غير الخلقيدونية: وهي الكنائس التي رفضت قرارات مجمع خلقيدونية، وتضم الكنيسة الأرمنية والسريانية في سوريا والهند، والكنيسة القبطية في مصر وأثيوبيا وأريتريا.

(٢) الكنائس الشرقية الخلقيدونية: وتضم الكنائس الأربع القديمة في القسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية والقدس، والكنائس الحديثة في روسيا ورومانيا وبلغاريا وصربيا وجورجيا فضلاً عن الكنائس في قبرص واليونان وألبانيا وبولندا وأمريكا^(٢).

من أبرز عقائد الأرثوذكسية:

(١) تجمع الكنائس الأرثوذكسية سواء الخلقيدونية منها أو غير الخلقيدونية على انبثاق روح القدس من الآب وحده^(٣).

(٢) يرى الأرثوذكس بأنه "لا طلاق إلا لعدة الزنا، ولا زواج بمطلقات، ولا بمختلفي الديانة، أو المذهب أو الطائفة، ويجوز التفريق بين الزوجين إذا خرج أحدهما عن الإيمان الأرثوذكسي"^(٤).

(١) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: (ص٤٧٣).

(٢) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٤٨).

(٣) انظر: الفروق العقيدية: (ص١٤)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم (ص٦٤)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: (ص٤٧٤).

(٤) الفروق العقيدية: (ص٢٧-٢٨)، وانظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: (ص٤٧٤)، أسرار الكنيسة السبعة: الأرشيدياكون حبيب جرجس، مكتبة المحبة، القاهرة، الطبعة الرابعة: (ص١٤٠-١٤٣)، اللالئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، القمص يوحنا سلامة، مكتبة مارجرجس بشيكولاني، شبرا - مصر، الطبعة الثالثة: (٢/١١٣-١١٧، ١٢٥).

(٣) ترى الكنيسة الأرثوذكسية اللاخلكيدونية أن للمسيح طبيعة واحدة ومشئية واحدة، بينما تدعي الكنيسة الأرثوذكسية الخلكيدونية أن للمسيح طبيعتين ومشئيتين متميزتين، وقرر هذا رسمياً في عام ٤٥١م^(١).

ثالثاً: البروتستانتية:

كلمة بروتستانت مشتقة من الكلمة اللاتينية: (PROTESTA) وتعني الاحتجاج أو الرفض^(٢)، وأطلق أول مرة على الذين احتجوا على قرارات مجلس سبيرز الثاني سنة (١٥٢٩م)، وتعريف البروتستانت بهذا المدلول وإن كان لا يستسيغه البروتستانت بصورة عامة، لأنه لا يدل على معتقداتهم، إلا أنه من الممكن اعتباره أوسع التعاريف شمولاً، جاء في مقدمة قاموس البروتستانتية:

"لا نخجل أن نقول بأن هناك علاقة بين مصطلح البروتستانتية والاحتجاج، ولكن من المهم جداً أن نوضح بأن كلمة (protest) لها معنيان: الأول سلبي، وتعني الاحتجاج كما ذكرنا، والثاني إيجابي، وتعني الإعلان أو المجاهرة أو التأكيد، وهو المعنى الذي تهتم به البروتستانتية"^(٣).

وبجانب مصطلح البروتستانتية استعمل مصطلح الإنجيلية للدلالة على البروتستانت؛ لأنهم يتبعون الإنجيل دون سواه، ويعتقدون أن لكل إنسان الحق في فهمه، فالكل متساوون ومسؤولون أمامه^(٤).

(١) انظر: الفروق العقيدية: (ص ١٤)، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: (ص ٤٧٤)، طبيعة المسيح، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست، العباسية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشر: (ص ٦٤).

(٢) البروتستانت والإنجيليون في العراق، حارث يوسف غنيمه، مطبعة الناشر المكتبي، بغداد ١٩٩٨م: (ص ١٩)، وانظر: الفروق العقيدية: (ص ٨)، الموسوعة المسيحية في الأديان والمذاهب: (٢/٦١٥).

(٣) البروتستانت والإنجيليون في العراق: (ص ٢١).

(٤) انظر: الموسوعة المسيحية: (٢/٦١٥)، البروتستانت والإنجيليون في العراق: (ص ٢١-٢٥).

من أبرز عقائد البروتستانت:

معتقدات الفرق البروتستانتية تختلف اختلافاً بيناً فيما بينها، إلا أن هناك بعض القواسم المشتركة منها:

- الاكتفاء بالكتاب المقدس كمصدر للوحي والعقيدة والسلوك، وهم بذلك يرفضون التقليد الرسولي^(١) وتعاليم آباء الكنيسة لتفسير الكتاب المقدس وفهمه.
- التبرير بالنعمة بالإيمان، أي أن الإيمان وحده يكفي لخلاص الإنسان من الخطيئة.
- كهنوت المؤمنين الكلي^(٢).

(١) التقليد الرسولي المقدس: هو التعاليم والترتيبات التي تسلمتها الكنيسة من الرسل وتلاميذهم، يهتم بالإيمان والعبادة والسلوك عند النصارى. انظر: قاموس المصطلحات الكنسية، القمص: تادرس يعقوب ملطي، نقله للقبطية د. شاكر باسيلوس، مطبعة الإخوة المصريين: (ص ١٦)، قاموس المصطلحات الطقسية والكنسية نسخة إلكترونية. ولهم فيه خلاف: فالبروتستانت لا يؤمنون به، ويعتبرون كل ما لم يرد بالكتاب المقدس غير مقبول شكلاً وموضوعاً، بخلاف الأرثوذكس الذين يشترطون لصحته موافقته للكتاب المقدس، وقبوله في الكنائس التي أسسها الرسل، وتأيدها بأقوال آباء الكنيسة على مر العصور، ويضيف الكاثوليك إليها قوانين كثيرة نسبت إلى تلاميذ المسيح، وآباء الكنيسة الغربية، والجماع المسكونية والمحلية لكنيسة روما. انظر: الفروق العقيدية: (ص ٢٠-٢١).

(٢) انظر: البروتستانت والإنجيليون في العراق: (ص ٢٥).

المبحث الثاني

مصادر العقيدة النصرانية

المصادر التي يستقي منها النصارى عقيدتهم وشريعتهم -بحسب زعمهم- هي:

١. الكتاب المقدس.

٢. المجامع وماصدر عنها من قرارات وتشريعات. (١)

المطلب الأول: الكتاب المقدس.

الكتاب المقدس عند النصارى هو: "مجموعة أسفار العهد القديم والجديد، التي تؤمن الكنيسة المسيحية بأنها موحى بها من الله إعلاناً عن نفسه وعن مقاصده نحو البشر"^(٢)، يقول الأستاذ ميشيل جرجس في كتابه الكنيسة المصرية: "الكتاب المقدس هو مجموع الأسفار التي كتبها رجال الله القديسون، بإلهام الروح القدس في أوقات مختلفة، وفيها أعلن الله مشيئته ووصاياه"^(٣).

وعلى ذلك فالنصارى يؤمنون بأن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد كلمة الله التي تكلم بها، وليس مجرد تصنيف لمجموعة من المؤلفين^(٤)، وكل ما دُوِّنَ فيه حالاً من الأخطاء والزلل^(٥)، فهو بذلك "أصل الإيمان المسيحي ومصدره"^(٦).

يقول الشيخ رحمت الله الهندي: "اعلم أنهم يقسمون الكتب إلى قسمين:

(١) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (ص ١٩٥)

(٢) دائرة المعارف الكتابية، مجلس التحرير: صموئيل حبيب، فايز فارس، منيس عبد النور، جوزيف صابر، المحرر: وليم وهبة بباوي، دار الثقافة، مطبعة سيويرس، الطبعة الثانية: (٣١٣/٦).

(٣) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، د. رؤوف شليبي، مكتبة الأزهر، الطبعة الأولى: (١٣٧/١).

(٤) انظر: موسوعة علم اللاهوت: القمص ميخائيل مينا، تعليق وتبسيط وتنسيق، دياكون ميخائيل مكسي اسكندر، مكتبة المحبة: (١١/١).

(٥) قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص واللاهوتيين، هيئة التحرير: د. بطرس عبد الملك، د. جون طومسن، أ. إبراهيم مطر، الناشر: compubriall (ص ١٥٢٧).

(٦) المصدر السابق: (ص ١٥٢٧).

قسم منها يدعون أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام، وقسم منها يدعون أنه كتب بالإلهام بعد عيسى عليه السلام، فمجموع الكتب من القسم الأول يسمى بالعهد العتيق، ومن القسم الثاني بالعهد الجديد، ومجموع العهدين يسمى (Bible) وهذا لفظ يوناني بمعنى الكتاب، ثم ينقسم كل من العهدين إلى قسمين: قسم اتفق على صحته جمهور القدماء من المسيحيين، وقسم اختلفوا فيه^(١).

والعهد: "هو اتفاق بشكل ميثاق، يعقد بين طرفين بناء على رضاهما"^(٢).

والعهد القديم - كما يزعم النصارى - قطعه الله مع بني إسرائيل بواسطة موسى عليه السلام، أما العهد الجديد فهو الذي قطعه الله مع البشر بواسطة المسيح عليه السلام^(٣).

أولاً: العهد القديم.

ويتألف من ثمانية وثلاثين سفرًا، طبقاً للأصل العبراني: (١) سفر التكوين، (٢) سفر الخروج، (٣) سفر الأحبار "اللاويين"، (٤) سفر العدد، (٥) سفر التثنية. ومجموع هذه الأسفار الخمسة يسمى بالتوراة، وهو لفظ عبراني بمعنى التعليم والشريعة، وقد يطلق ذلك اللفظ على مجموع كتب العهد القديم مجازاً.

(٦) سفر يوشع بن نون، (٧) سفر القضاة، (٨) سفر راعوث، (٩) سفر صموئيل الأول، (١٠) سفر صموئيل الثاني، (١١) سفر الملوك الأول، (١٢) سفر الملوك الثاني، (١٣) سفر أخبار الأيام الأول، (١٤) سفر أخبار الأيام الثاني، (١٥) السفر الأول لعزرا، (١٦) السفر الثاني لعزرا ويسمى سفر "نحميا"، (١٧) سفر أيوب، (١٨) سفر المزامير "الزبور"، (١٩) أمثال سليمان، (٢٠) سفر الجامعة، (٢١) سفر نشيد الإنشاد، (٢٢) سفر إشعياء، (٢٣) سفر إرميا، (٢٤) سفر مراثي إرميا، (٢٥) سفر حزقيال، (٢٦) سفر دانيال، (٢٧) سفر هوشع، (٢٨) سفر يوثيل، (٢٩) سفر عاموص، (٣٠) سفر

(١) إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندي، تحقيق: محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: (ص ٩٨).

(٢) قاموس الكتاب المقدس: (ص ١٢٨٧).

(٣) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (١/١٦).

عوبديا، (٣١) سفر يونان، (٣٢) سفر ميخا، (٣٣) سفر ناحوم، (٣٤) سفر حبقوق، (٣٥) سفر صفييا، (٣٦) سفر حجي، (٣٧) سفر زكريا، (٣٨) سفر ملاخيا^(١).

ومما هو جدير بالذكر أن نسخة الكتاب المقدس المتداولة اليوم تزيد سفرًا واحدًا، أي أن عدد أسفارها تسعة وثلاثين سفرًا، وهذا السفر الزائد يطلق عليه سفر "أستير"، وهو السفر السابع عشر من أسفار العهد القديم بعد سفر نحemia، وقبل سفر أيوب^(٢)، وقد جعله الشيخ رحمت الله الهندي من ضمن القسم المختلف فيه من أسفار العهد القديم، وذلك ليس للشك في إصحاحات سفر أستير كلها بل في الإصحاحات الأخيرة منه بعد الإصحاح العاشر، لذلك أخذت هذه الإصحاحات المشكوكة مكانها في أسفار الأبوا كريفيا^(٣) غير القانونية، وأدخل سفر أستير ضمن الأسفار القانونية المتفق عليها، فمجموع أسفار العهد القديم تسعة وثلاثين سفرًا^(٤).

(١) إظهار الحق: (١٠١-٩٩/١).

(٢) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، د. يحيى محمد علي ربيع، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، الطبعة الأولى: (ص ١٦).

(٣) أبوا كريفيا: كلمة يونانية معناها: مخفي أو مخبأ أو سري، وقد وردت في سفر دانيال في الترجمة السبعينية للتعبير عن الكنوز المخفية، ووردت هذه الكلمة في العهد الجديد ثلاث مرات، وأطلقت في العصور المسيحية الأولى على بعض الكتب غير القانونية في العهد القديم وكذلك في العهد الجديد، ومع أن هذه الأسفار قد وضعت ضمن النسخة السبعينية للعهد القديم إلا أن علماء اليهود لم يضعوها ضمن كتبهم القانونية للأسباب التالية:

- كتبت هذه الأسفار في عصور متأخرة بعد ختم العهد الجديد، وقد سار الآباء المسيحيون الأوائل ما عدا نفر قليل منهم على نهج علماء اليهود في نظرهم إلى هذه الأسفار، ومع أنهم اقتبسوا منها بعض الأقوال الواردة فيها إلا أنهم لم يضعوها في نفس منزلة الكتب القانونية، وقد أجازوا قراءتها للاستنارة والتعليم، ولكنها في عرفهم لم تكن صالحة

كأساس لعقيدة دينية أو تعليم كنسي أو طقس ما.

- إن هذه الكتب قد نسبت لأناس لم يكتبوها أصلاً.

- إنها لا ترتقي إلى المستوى الروحي الذي في الأسفار القانونية، ولذلك لا يمكن اعتبارها وحيًا.

انظر: قاموس الكتاب المقدس: (ص ٤٠ - ٤١).

(٤) إظهار الحق: (١٠١/١).

القسم الثاني من العهد القديم وهو المختلف عليه عندهم:

(١) تتمة أستير، (٢) سفر باروخ، (٣) جزء من سفر دانيال، (٤) سفر طوبيا، (٥) سفر يهوديت، (٦) سفر وزدم "الحكمة"، (٧) سفر ايكليزيا ستيكس "يشوع بن سيراخ"، (٨) سفر المكابيين الأول، (٩) سفر المكابيين الثاني^(١).

وهذه الأسفار تسميها الكنائس الأرثوذكسية بالأسفار القانونية الثانية، وتعترف بها الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية، بينما ترفضها الكنائس البروتستانتية، حيث يرفضها بعضهم تماماً، بينما يعتبرها بعضهم مجرد أسفار تاريخية لا ترقى إلى مستوى الأسفار المقدسة.

وقد قدم البروتستانت عدة أسباب لرفض أبو كريفيا العهد القديم منها:

- (١) إنَّ اليهود لم يضعوها ضمن الأسفار القانونية.
- (٢) إنَّ كتبة العهد الجديد لم يستشهدوا بعبارات منها.
- (٣) إنَّ الكنيسة الأولى لم تقبلها كبقية الأسفار القانونية.
- (٤) يوجد أخطاء واختلافات عقدية وتاريخية في العديد من أسفار الأبوكريفيا مع باقي الأسفار القانونية.
- (٥) إنَّ هذه الأسفار لم تظهر إلا بعد زمن انقطاع الأنبياء^(٢).

ثانياً: العهد الجديد.

يظهر العهد الجديد بمظهر مجموعة مؤلفة من سبعة وعشرين سفرًا مختلفة الحجم، وضعت كلها باللغة اليونانية، ولم تجر العادة أن يطلق على هذه المجموعة عبارة العهد الجديد إلا في أواخر القرن الثاني الميلادي^(٣).

(١) انظر: إظهار الحق: (١٠٢/١)، علم اللاهوت النظامي: جيمس أنس، مراجعة منيس عبد النور، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، القاهرة: (ص ٥٢).

(٢) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٢٧/١-٢٩)، اللاهوت النظامي: (٥٣ - ٥٤).

(٣) أبو كريفيا العهد الجديد، تجميع لكتابات أبو كريفيا المسيحية، د. إبراهيم سالم الطرزي، الطبعة الأولى: (٧/١).

ويمكن تقسيم العهد الجديد إلى أربعة أقسام:

- (١) الأناجيل الأربعة: متى، مرقس، لوقا، يوحنا.
 (٢) تاريخ نشأة الكنيسة: أعمال الرسل.
 (٣) الرسائل: وتقسّم إلى ثلاثة أقسام فرعية:
 أ- رسائل الكنائس: رومية، كورنثوس الأولى والثانية، غلاطية، أفسس، فيليبي، كولوسي، تسالونيكى الأولى والثانية.
 ب- رسائل رعوية: تيموثاوس الأولى والثانية، تيطس، فلبيمون.
 ج- رسائل جامعة أو عامة: العبرانيين، يعقوب، بطرس الأولى والثانية، ويوحنا الأولى والثانية والثالثة، ويهوذا^(١).
 وهذه الأسفار التي أُعترف بأنها قانونية^(٢)، أصبحت -بناءً على ذلك- نصوصاً مقدسة، وحصلت منذ دخولها في القانون على نوع من الحصانة^(٣).
 وقد قبلتها الكنائس المختلفة بدرجات متفاوتة على مدى أزمنة وقرون عديدة من الجدل والاختلاف واللعن^(٤).

الأناجيل المرفوضة:

- وفيما يلي أشهر هذه الكتب كما تذكرها دائرة المعارف الأمريكية:
 (١) إنجيل توما.
 (٢) إنجيل متى المكذوب.

(١) انظر: دائرة المعارف الكتابية: (٣١٥/٦).

(٢) قانونية: مأخوذة من اللفظة "κανών"، اليونانية التي تعني القاعدة واللائحة معاً، فالكتب سُميت قانونية لأنها القاعدة أو المقياس لصحة تعاليم المسيح -بزعمهم- ولأنها كذلك في الوقت عينه من لائحة الأسفار التي تعترف الكنيسة بصحة تعاليمها. تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، وضعه المطران: كيرلس سليم بسترس، حنا الفاخوري، جوزيف العبسي البولسي، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م: (ص٣٧).

(٣) انظر: أبو كريفيا العهد الجديد: (ص١٠).

(٤) انظر: العقائد النصرانية في القرآن الكريم، إعداد: أشرف إبراهيم سلامة، إشراف: أحمد جابر العمصي، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٢٩هـ: (ص١٨).

- (٣) من بين الأناجيل العامة، توجد أربعة تسمى الأناجيل اليهودية المسيحية، وهي إنجيل العبريين، إنجيل الناصريين، إنجيل الاثني عشر، إنجيل الأبيونيين.
- (٤) إنجيل المصريين: وعرف بذلك لانتشاره بينهم.
- (٥) إنجيل بطرس: كان يستخدم للقراءة الخاصة أو للعبادة في الربع الأخير من القرن الثاني.
- (٦) إنجيل باسيليوس: تكون قبل منتصف القرن الثاني.
- (٧) إنجيل ماركيون.
- (٨) إنجيل ناسينس: من الأناجيل الغنوصية.
- (٩) إنجيل فيليب: كانت تستخدمه طائفة غنوصية مصرية.
- (١٠) إنجيل ماتياس.
- (١١) إنجيل مريم، ويوجد منه ثلاث قصاصات فقط إحداها بالقبطية.
- (١٢) إنجيل برثولماوس.
- (١٣) إنجيل نيقوديموس: انتشر في الفترة الأخيرة.
- (١٤) إنجيل غملائيل.
- (١٥) إنجيل الكمال.

وبالإضافة إلى تلك الوثائق المذكورة آنفاً توجد وثائق أخرى ذكرها آباء الكنيسة الأولى، ولا يوجد منها بقايا أو نصوص، فهي مطموسة المعالم لعلماء اليوم ومنها: إنجيل أندراوس، إنجيل أعمال أندراوس، إنجيل الانكراتيين، رؤيا استفانوس، إنجيل الحق، هذا بالإضافة إلى رسائل أخرى كثيرة كتبت تحكي أعمال الرسل^(١).

ومما لا شك فيه أن امتداد أيدي النصارى إلى الإنجيل المتزل على عبد الله ورسوله وكلمته المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ وتبديلهم وتحريفهم وطمسهم لما جاء فيه، يعد أهم عامل مؤثر في انحراف النصرانية عن الصراط المستقيم وهدى رب العالمين.

(١) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية: (ص ٣٦ - ٣٨).

المطلب الثاني: المجامع النصرانية.

وتعرف بأفئها: "هئئات شورفة (١) فف الكنيسة تبأف فف الأمور المتعلقة بالدفانة النصرانية وأأوال الكنائس" (٢)، وبعء مأمع أورشلفم المنعءء سنة (٥٠٠ م) أول مأمع عقءءه الكنيسة (٣). وءنقسف المأمع إلف قسففن:

- (١) مأمع مسكونفة: أف ءأمع رأمال الكنائس المسفأفة فف كل أنأء المعمورة.
 - (٢) مأمع مكانفة: وهف الءف ءعءءها كنائس مذهب أو أمة فف ءوائرها الأاصة من أساقفءها وقساوسءها إما لإقرار عقفءة أو لرفض عقائء أأرى (٤).
- وهناك من قسّم المأمع إلف ءلاثة أقسام:

- (١) المأمع المكانفة: وهف الءف فأمع ففها الأسقف والشمامسة فف مركز الأبشارشفة (٥) لءءفر أمورهم الأاصة.
- (٢) المأمع الإقلفمفة: وهءه ظهرت مع الءنظفم الكنسف وكانء ءأمع برئاسة مطران (٦) الإقلفم أف أسقف المءفنة الأولى فف الإقلفم.

(١) هكءا فزعم النصراف أفها هئئات شورفة، بفنما فأم الءافر فف واقع ءلك المأمع الءف ءأمء فف العقفءة أفها ءنءهف ءون أن فءفق المأمعون على الأمور الءف ءأمء! ! ، ففكون هناك أفر وموافقة قسرفة على ءلك الأمور، وإءا لم فمكن الأفر فأمءء الانقسام بفن الكنائس مما فءناف مع كونها هئئات شورفة، إلا أن فقال: إفا هئئات شورفة إلزامفة. انظر: ءراساء فف الأءفان الفهوءفة والنصرانفة: (ص٢٤٩).

(٢) المصءر السابق: (ص٢٤٩).

(٣) انظر: مآضراء فف ءارفأ الكنسف "المأمع الكنسفة" نفافة الأنبا فوأنس أسقف الغربفة، مطبعة الأنبا رؤفس الأوفسء، العباسفة، القاهرة، الطبعة الأولى: (ص١٣).

(٤) مآضراء فف النصرانفة، مأمء أبو زهرة، ءار الفكر العربف، القاهرة، الطبعة ءالءة: (ص١٢١).

(٥) الأبرشفة: "parisk" كلمة فونانفة، ومعناها المقاطعة أو المءفرفة، وهف كلمة ءطلق على المنطقة الءف فرعى شعبها مطران أو أسقف، وفساعءه الكهنة أو الشامامسة "مكان أءمة الأسقف". معأم المصءلأاء الطقسفة والكنسفة، نسآة إلكءرونفة.

(٦) المءران: هو رؤفس لمأموعة من الأساقفة. قاموس المصءلأاء الكنسفة: (ص٥٠).

(٣) المجامع المسكونية: وكان يحضرها أساقفة من أنحاء العالم المسيحي شرقاً وغرباً لضرورات حتمية تختص بالإيمان والعقيدة^(١).

وقد كانت المجامع الكنسية تعقد غالباً بسبب بدعة ظهرت، فأقلقت سلام الكنيسة، فيتقابل الطرفان المتنازعان وجهاً لوجه في هذه المجامع، وكانت هذه المجامع تعقد في أغلب الأحيان تحت رئاسة مدنية، وكان لتدخل الإمبراطور في شؤون الكنيسة التي لا يعرف عنها الكثير أثر مباشر في انقسام الأساقفة بين مؤيد للإمبراطور ومعارض له، وبالتالي انقسام بين بعضهم البعض، وهكذا أصبحت المجامع سواء المسكونية منها أو المكانية والتي عقدت في الأصل من أجل تنظيم شؤون الكنيسة ورعايتها موضع نزاع وشقاق وفرقة، حيث كانت في الأصل وسيلة للحكم على قديسين، وعقبة في عودة روح الوئام بين الكنائس بسبب قرارات فرقت أكثر مما جمعت.

يقول أحد القديسين حزيناً: "أحيي من بعيد هذه السنودسات والمجامع، لأنني أعلم أنها مقلقة. . . . لن أجلس أبداً بعد الآن في مثل هذه الاجتماعات"^(٢).

يقول المؤرخون: "إن الإحصائيات التي أجريت لمعرفة عدد المجامع التي انعقدت بين المدة من القرن الأول المسيحي إلى عام: (١٨٦٩م) تساوي عشرين مجمعاً، مع الاختلاف والإنكار لعمومية بعضها أو لصحة قراراتها.

وأخطر المجامع التي لها صلة بانحراف عقائد النصارى عن التوحيد إلى التثليث أربعة:

(١) مجمع نيقية الأول سنة: (٣٢٥م).

(٢) مجمع القسطنطينية الأول (٣٨١م).

(٣) مجمع أفسس (٤٣١م).

(١) محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص ١٨ - ٢٠).

(٢) انظر: قوانين المجامع المسكونية و خلاصة قوانين المجامع المكانية، القس اثناسيوس المقاري، مطابع النوبار، العبور، الطبعة الأولى: (ص ١٨).

(٤) مجمع خلقيدونية (٤٥١م)^(١).
وتعترف الكنيسة الكاثوليكية بـ ٢١ مجمعاً وتعتبرها مجامع مسكونية وتأخذ
بقراراتها جميعاً وهي:

- (١) مجمع نيقية الأول سنة: (٣٢٥م).
- (٢) مجمع القسطنطينية الأول (٣٨١م).
- (٣) مجمع أفسس (٤٣١م).
- (٤) مجمع خلقيدونية (٤٥١م).
- (٥) مجمع القسطنطينية الثاني (٥٥٣م).
- (٦) مجمع القسطنطينية الثالث (٦٨٠ - ٦٨١م).
- (٧) مجمع نيقية الثاني (٧٨٧م).
- (٨) مجمع القسطنطينية الرابع (٨٦٩ - ٨٧٠م).
- (٩) مجمع لاتيران الأول (١١٢٣م).
- (١٠) مجمع لاتيران الثاني (١١٣٩م).
- (١١) مجمع لاتيران الثالث (١١٧٩م).
- (١٢) مجمع لاتيران الرابع (١٢١٥م).
- (١٣) مجمع ليون الأول (١٢٤٥م).
- (١٤) مجمع ليون الثاني (١٢٧٤م).
- (١٥) مجمع فينا (١٣١١ - ١٣١٢م).
- (١٦) مجمع كونستانس (١٤١٤ - ١٤١٨م).
- (١٧) مجمع بيزل (١٤٣١ - ١٤٤٢م).
- (١٨) مجمع لاتيران الخامس (١٥١٢م).
- (١٩) مجمع ترينت (١٥٤٥ - ١٥٦٣م).

(١) المجمع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، د. سلطان عبد الحميد سلطان، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى:
(ص ٨٣ - ٨٤).

(٢٠) مجمع الفاتيكان الأول (١٨٦٩ - ١٨٧٠ م).

(٢١) مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٢ - ١٩٦٥ م)^(١).

وتعترف الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة اللاخليدونية بثلاثة مجامع

مسكونية فقط هي:

(١) نيقية (٣٢٥ م).

(٢) القسطنطينية (٣٨١ م).

(٣) أفسس (٤٣١ م).

وبتسعة مجامع مكانية:

(١) قرطاج (٢٥٧ م).

(٢) أنقرة (٣١٤ م).

(٣) قيصرية (٣١٥ م).

(٤) غنغرا (٣٤٠ م).

(٥) أنطاكية (٣٤١ م).

(٦) سرديقة (٣٤٣ م).

(٧) اللاذقية (أواخر القرن الرابع).

(٨) القسطنطينية (٣٩٤ م).

(٩) قرطاج (٤١٩ م).

أما الكنائس الأرثوذكسية البيزنطية الخليدونية فتعترف بسبعة مجامع مسكونية هي:

(١) نيقية (٣٢٥ م).

(٢) القسطنطينية (٣٨١ م).

(٣) أفسس (٤٣١ م).

(٤) خليدونية (٤٥١ م).

(١) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٧١)؛ قوانين المجامع المسكونية و خلاصة قوانين المجامع الكانية:

(٥) القسطنطينية الثاني (٥٥٣م).

(٦) مجمع ترولو " القبة " (٦٩٢م).

(٧) نيقية الثاني (٧٨٧م).

كما تعترف بمجامع مكانية أخرى هي:

قرطاجة (٢٥٧م).

مجمع القسطنطينية (٣٩٤م).

بالإضافة إلى مجامع مكانية حديثة أهمها:

القسطنطينية (١٣٤١م)، (١٣٥١م).

جاسي (١٦٤٢م).

أورشليم (١٦٧٢م)^(١).

المجمع المسكوبي الأول: مجمع نيقية (٣٢٥م).

انعقد هذا المجمع في نيقية في شهر مايو سنة (٣٢٥ م) بدعوة من الإمبراطور

قسطنطين الكبير لحسم بعض المسائل الدينية^(٢) وفي مقدمتها المشكلة التي أثارها آريوس^(٣).

أسباب انعقاده:

(١) النظر في دعوة آريوس التي أنكر فيها لاهوت المسيح، وأنه غير مساوٍ للآب في

الجوهر.

(فإن الله إله واحد غير مولود، أزلي، أما الابن فمخلوق غير مولود من جوهر الآب، خرج

من العدم كسائر الخلائق حسب مشيئة الله وقصده) وشايع آريوس في دعوته العديد من الأساقفة،

(١) انظر: قوانين المجمع المسكونية: (ص١٣-٢١).

(٢) انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص٢٤).

(٣) آريوس (٢٥٦-٣٣٦): لبي الجنسية، كان عالماً مثقفاً، وواعظاً مفوهاً، وعالماً في التفسير، رفض الكثير من التعاليم المنتشرة في عصره حول المسيح وهاجمها، من مؤلفاته: المثالية. انظر: تاريخ الفكر المسيحي، د. حنا جرجس الخضري، دار الثقافة، القاهرة، طبع بمطبعة دار الطباعة القومية بالفحالة: (١/٦١٨-٦٢٣).

وحاول البابا بطرس وقف آريوس وإرجاعه عن تعاليمه التي وصفت بالفساد، ولما لم يقبل أعلن حرمه^(١).

(٢) الخلاف حول تحديد يوم عيد القيامة: وقد ظهر هذا الخلاف في وقت مبكر بين كنائس آسيا الصغرى وبين كنيسة روما حين أعلن القديس بوليكر يوس أسقف أزمير أنه ينبغي الاحتفال بذكرى الصليب يوم ٤ نيسان العبري، وهو اليوم الذي صُلب فيه المسيح - بزعمهم - وتذكار القيامة في السادس عشر منه، وهو اليوم الذي قام فيه المسيح، وظل هذا الخلاف قائماً حتى تم حسمه في مجمع نيقية^(٢).

(٣) الشقاق الذي أحدثه ملاتيوس أسقف أسيوط الذي رسم ثلاثين أسقفاً بدون إذن رئيس الكنيسة، مما اضطر البابا بطرس أن يعقد مجعاً مكانياً حرم فيه ملاتيوس وأساقفته^(٣).

(٤) موضوع إعادة المعمودية الهرطقة: وهذه مشكلة هامة شغلت الكنيسة ردحاً من الزمن، والمشكلة تتلخص في: هل يعاد عماد الهرطقة التائبين؟ وما هو وضع الذين قبلوا العماد على أيديهم؟.

وظهر الخلاف جلياً بين القديس كبريانوس أسقف روما الذي يرى بأن المعمدين من يد الهرطقة هم وحدهم الذين يجب إعادة معموديتهم، أما الذين قبلوا العماد من الكنيسة الأرثوذكسية فعمادهم صحيح ولا يعاد، على عكس اسطفانوس الذي نادى بعدم جواز إعادة المعمودية إطلاقاً^(٤).

جلسات المجمع:

اختيرت مدينة نيقية لانعقاد المجمع لتوسط موقعها بين آسيا وأوروبا، بالإضافة إلى جوها الصحي، وخصص لاجتماعات المجمع الساحة الوسطى في القصر الإمبراطوري بالمدينة نظراً لاتساعه.

(١) انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (١/٦٢١-٦٢٢)، محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص٢٧-٣٠)، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: (ص٢٥٠ - ٢٥١).

(٢) انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص٢٤ - ٢٥).

(٣) المصدر السابق: (ص٢٦).

(٤) المصدر السابق: (ص٢٦).

بدأت وفود الأساقفة تصل إلى نيقية قبل الموعد المحدد، وبلغ عدد الآباء الذين حضروا المجمع ٣١٨ أسقفاً منهم ٣١٠ من الشرق، وثمانية أساقفة من الغرب، وافتتح المجمع في ٢٠ مايو سنة: (٣٢٥م).

وانتهى في ٢٥ أغسطس، وكانت الجلسة الأولى جلسة افتتاحية، ولما بدأ المجمع بمزاولة أعماله والنظر في دعوة آريوس حدث جدل ونقاش حاد، مما دعا إلى رفع الجلسة وانفضاضها دون نتيجة.

وفي اليوم التالي قدم آريوس صورة معتقده (أن الابن ليس مساوياً للآب في الأزلية، وليس من جوهره، وأن الآب كان في الأصل وحيداً، وأخرج الابن من العدم بإرادته، وأن الابن إله لحصوله على لاهوت مكتسب).

وبعد نقاش كبير أخذ رأي المجمع ووضع قانون الإيمان كالتالي:

"نؤمن بإله واحد، الله الآب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، ما يرى وما لا يرى، نؤمن برب واحد، يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، تأنس و الصلب على عهد بيلاطس النبطي، تألم وقبر، وقام من الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السماوات وجلس عن يمين أبيه، وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس ملكه انقضاء".

ولقد وقع على قانون الإيمان هذا أكثر من (٣٠٠) أسقفاً، وخرجوا بتقرير ألوهية المسيح عليه السلام وأنه ابن الله، أي من ذات الله، وأنه مساوٍ لله، وأنه مولود منه غير مخلوق، كما قرروا أن هذا الإله تجسد بصورة البشر لخلاص الناس، ثم ارتفع إلى السماء بعد قيامته من الموت. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وامتنع آريوس وأنصاره عن التوقيع، فحرمهم المجمع ولعنهم، كما قرر نفي آريوس وحرق كتبه^(١).

قرارات المجمع:

(١) موعد عيد القيامة: وقد قرر المجمع أن يُعيدَ جميع المسيحيين في موعد واحد هو يوم الأحد الذي يلي عيد فصح اليهود، وقرر أن بابا الإسكندرية هو الذي سيقوم سنوياً بإبلاغ أساقفة العالم عن موعد عيد القيامة.

(٢) بخصوص الشقاق الذي أحدثه ملاتيوس أسقف أسيوط:

قرر المجمع حفظ حقوق بابا الإسكندرية الواجبة في رئاسته على الأساقفة الذين في إقليم مصر.

(٣) معمودية الهرطقة: أيد المجمع رأي الكنائس الشرقية في أنه لا تعاد معمودية من هرطق عند رجوعه، وأوجب إعادة معمودية من يعمدهم الهرطقة.

(٤) زواج الكهنة: قرر المجمع السماح لمن يريد من الكهنة أن يتزوج مع الاحتفاظ ببتولية الأساقفة، وعدم زواج الكهنة المترملين^(٢).

المجمع المسكوني الثاني: مجمع القسطنطينية (٣٨١م).

انعقد هذا المجمع وهو ثاني المجمع المسكونية في مدينة القسطنطينية سنة (٣٨١م) بدعوة من الإمبراطور ثيودوسيوس للنظر في بعض الدعوات التي ظهرت عقب مجمع نيقية^(٣) وأهم هذه الدعوات:

(١) انظر: المصدر السابق: (ص ٣١-٣٤)، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: (ص ٢٥٣-٢٥٤)، عصر المجمع: القمص كيرلس الأنطوني، تعليق دياكون: ميخائيل مكسي اسكندر، مكتبة المحبة، الطبعة الأولى: (ص ٨٧-١٠٨).

(٢) محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص ٣٥).

(٣) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: (ص ٢٥٣)، محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص ٤٠)، تاريخ الفكر المسيحي: (١/٦٦٤).

(١) دعوة "أبوليناريوس" (١) أسقف اللاذقية بالشام الذي كان يعلم بأن لاهوت المسيح قد قام مقام الروح الجسدية وتحمل الآلام والصلب والموت مع الناسوت، كما كان يعلم بعدم مساواة الأقانيم (٢) لبعضها فقال: إن الروح القدس عظيم والابن أعظم والآب أعظم منهما.

(٢) دعوة "أوسابيوس" الذي علم بأن الثالوث القدوس أقنوم واحد ظهر في العهد القديم كآب، وصار إنساناً في العهد الجديد بصفة ابن، وحلّ على الرسل في عليّة صهيون بصفة الروح القدس.

(٣) دعوة "مقدونيوس" الذي كان يعلم بأن الروح القدس عمل إلهي منتشر في الكون، وليس أقنوماً متميزاً عن الآب والابن، بل هو مخلوق يشبه الملائكة ذو رتبة أسمى.

فحضر ذلك المجمع (١٥٠) أسقفًا، ورأسه الأنبا ملاتيوس أسقف أنطاكية (٣)، ويمكن القول بأن مجمع القسطنطينية كان مجعاً شرقياً خالصاً، إذ لم يحضره أحد من أساقفة الغرب، وأعلن في هذا المجمع أن الروح القدس هو الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس وأنه مساوٍ للآب والابن (٤)، ثم أكملوا قانون إيمان نيقية بعد أن أدخلوا عليه بعض التعديلات والإضافات.

فكان نص قانون الإيمان الذي نسب إلى مجمع القسطنطينية هو: "نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن

(١) أبوليناريوس (٣١٠ - ٣٩٠): أسقف اللاذقية، كان متعمقاً في الفلسفة الأرسطية، ومناضلاً ضد الذين رفضوا

قانون الإيمان النيقوي. انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (١/٦٦٧-٦٧١)، عصر المجمع: (ص ١٥٢-١٥٣).

(٢) الأقنوم: كلمة سريانية تشير لكائن حي قدير ومستقل بذاته، وجوهر روحي، ويستخدمها علماء لاهوت

النصارى للتعبير عن شخصية كل من الآب والابن والروح القدس، انظر: موسوعة علم اللاهوت: (١/٦٣).

(٣) الأنبا ملاتيوس الأنطاكي: ولد في أوائل القرن الرابع في مدينة ملاطيا بأرمينيا، اهتم والداه بتربيته وتعليمه وتهديته،

نشأ محباً للفضيلة، راغباً في الوحدة والعزلة، تم نفيه أكثر من مرة، رأس مجمع القسطنطينية وتوفي قبل أن ينتهي المجمع

من عقد جلساته ووضع قراراته سنة ٣٨١ م. انظر: عصر المجمع: (ص ١٥٩-١٦٢).

(٤) انظر: المجمع المسكونية: (ص ٤٠-٤٤)، عصر المجمع: (ص ١٥٠-١٦٩).

البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس النبطي، وتألّم وقُبر، وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب، وأيضاً يأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات، الذي لا فناء لملكه وبالروح القدس، الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء، وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وترجي قيامة الموتى والحياة في الدهر العنيد آمين" (١).

فوضع بذلك الجزء الأخير من قانون الإيمان الخاص بلاهوت الروح القدس، وأبانوا فيه انبثاق الروح القدس من الآب فقط، وتمسكت الكنيسة شرقاً وغرباً بما دوّنه الآباء دون زيادة أو نقصان، حتى أضافت الكنيسة الكاثوليكية فيما بعد عبارة "والابن"، ثم نادى بانبثاق الروح القدس من الآب والابن (٢)، وسيأتي الحديث عن ذلك بمزيد من التفصيل في الفصل الثاني.

وحاول آباء المجمع اقناع مقدونيس بخطئه، طالبين منه الإقلاع عنه والعودة إلى الإيمان المستقيم، ولكنه رفض وأصر على رأيه، ففضى المجمع بحرمه ونفيه، كما استدعى المجمع كل من أبوليناريوس وأوسابيوس وناقشهما في آرائهما ولما أصرّا عليها حكم بحرمهما وقطعهما من شركة الكنيسة والمؤمنين (٣).

ووضع المجمع سبعة قوانين لسياسة الكنيسة:

القانون الأول: يعلن التمسك بدستور إيمان مجمع نيقية ورفض كل التعاليم الغريبة عنه.

القانون الثاني: خاص بتحديد مناطق نفوذ الكراسي الرسولية والأسقفيات.

القانون الثالث: يثبت تقدم كرسي القسطنطينية باعتبارها مدينة الملك.

(١) تاريخ الفكر المسيحي: (١/٦٦٥-٦٦٦)، وانظر: عصر المجمع: (١٧٧-١٧٨).

(٢) انظر: عصر المجمع: (١٩٧-١٨٠).

(٣) انظر: المجمع المسكونية: (ص٤٤).

القانون الرابع: خاص برذل المدعو مكسيموس السينيكي الذي سعى للجلوس على كرسي القسطنطينية.

القانون السادس: يعالج موضوع النظر في الدعاوى المقدمة ضد الأساقفة.

أما القانون الخامس والسابع: فينظمان ما ينبغي اتخاذه عند رجوع الهراطقة أو أتباعهم إلى الإيمان^(١).

المجمع المسكوبي الثالث: مجمع أفسس (٤٣١ م).

لم يمض أكثر من نصف قرن على انتهاء المجمع المسكوبي الثاني، حتى ظهرت دعوات اعتبرت الكنيسة بدعاً وضلالات يجب مواجهتها، فعقد المجمع المسكوبي الثالث^(٢) في أفسس بسبب موقع هذه المدينة الجغرافي وإمكانية الوصول إليها بسهولة، كما أنها امتازت بتوفير ما يحتاجه أعضاء المجمع من منتجات، وتتمتع هذه المدينة بشهرة أخرى وهي تعظيمها للعدراء تعظيماً وصل لحد العبادة^(٣).

أسباب انعقاد المجمع:

١ - لمواجهة دعوة "بيلاجوس" الذي نادى بأن خطيئة آدم قاصرة عليه دون ذريته، وأن كل إنسان عند ولادته يكون كآدم قبل الخطيئة، ثم قال: إن الإنسان بقوته الطبيعية يستطيع الوصول إلى أسنى درجات القداسة دون الحاجة إلى معونة النعمة الإلهية، وبهذه التعاليم فإن بيلاجوس ينكر فكرة الفداء^(٤).

(١) المجمع المسكونية: (ص ٤٤)، وانظر: عصر المجامع: (ص ١٨٠-١٨٨).

(٢) انظر: عصر المجامع: (ص ٢١٤).

(٣) انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (٢/٢٣١).

(٤) انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص ٤٦)، عصر المجامع: (ص ٢١٤-٢١٥)، المجمع النصرانية ودورها في

تجريف المسيحية: (ص ١٠٤).

٢- لمواجهة دعوة "نسطور"^(١): وتعدُّ دعوة نسطور أونسطوريوس السبب المباشر لعقد هذا المجمع، حيث نادى بأن في المسيح أقنومين وشخصين وطبيعتين، ولا ينبغي تبعاً لذلك تسمية العذراء بوالدة الإله^(٢)، يقول في إحدى خطبه: "لا يجوز لأحد أن يدعو مريم "والدة الإله"، لأن مريم لم تكن إلا امرأة، ومن المستحيل أن يولد الله من امرأة"، وقال: "إن لقب والدة الإله له مذاق وثني وهو يتعارض مع التعبيرات الواردة في الكتب المقدسة مثل "بلا أب، بلا أم"^(٣).

كما يقول: "لقد كانت مريم أمّاً للطبيعة الناسوتية فقط، وكل ما يمكن أن يقال عن مريم بحق أنها كانت مستودعاً لله" - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وأنها ولدت المسيح الإنسان فهي والدة المسيح، كما يصرح بقوله: "إني أفصل بين الطبيعتين، أما الاحترام الذي أقدمه لهما فمتصل"^(٤)، فأثار بأقواله هذه شعب أفسس الذين عدوا نسطوريوس وأتباعه من الهراطقة، فعاملوهم معاملة قاسية^(٥).

(١) نسطور: لم يستطع المؤرخون والعلماء الاتفاق لا على أصله ولا على ميلاده، فقد تضاربت الآراء، فقيل: أنه ينحدر من عائلة سورية، وقيل: بل فارسية، فيما يظن البعض أنه من أصل يوناني، التحق بدير في أنطاكية يدعى دير "آيريوس" حيث كان يتمتع بشهرة علمية عظيمة، تأثر بشدة بتعاليم ثيودوريوس الموبسويستي، كان واعظاً مفوهاً وخطيباً قديراً، عُين رئيساً لأساقفة مدينة القسطنطينية سنة (٤٢٨م)، انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (١٥٣/٢ - ١٥٨).

(٢) انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص٤٦-٤٧)، عصر المجامع: (ص٢١٥ - ٢١٦).

(٣) (عب ٧: ٣).

(٤) اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس، مكتبة المنتيح الأنبا غريغوريوس، دير الأنبا رويس بالعباسية: (ص١٨٠-١٨١).

(٥) انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (٢٣٣/٢ - ٢٣٤).

جلسات المجمع:

انعقد المجمع في الكنيسة الكبرى بأفسس بأمر من الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير^(١) بحضور مائتي أسقفاً^(٢)، واختير لرئاسته البابا كيرلس الإسكندري^(٣)، وأرسل الآباء إلى نسطور ثلاث مرات ليمثل أمام المجمع فرفض الحضور محتجاً بأنه لا يرى لزوماً لحضوره قبل وصول يوحنا الأنطاكي^(٤) وأساقفته^(٥)، ثم بدأ المجمع مناقشة تعاليم نسطور وآرائه وأصدر حكماً ضد نسطور جاء فيه:

"حيث إن نسطور كلي النفاق، قد رفض أن يخضع لصوت دعوتنا إياه، ولم يقبل الأساقفة الذين أرسلناهم إليه من قبلنا، لم يمكننا أن نتأخر عن أن نفحص تعاليمه الآثمة، وبما أننا قد تحققنا من رسائله وأقواله قبل افتتاح المجمع ما يبرهن على معتقده الأثيم، لهذا رأينا بناءً على القوانين المقدسة أن نبرز ضده هذا الحكم بكل حزن ودموع سائلين المولى بواسطة هذا المجمع المقدس أن يعدمه درجة الأسقفية، وليكن مفرزاً من أي شركة كهنوتية"^(٦).

وبعد أن وقع الجميع على الحكم السابق أرسلوا كتاباً إلى نسطور قائلين فيه:

(١) الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير: نُصِبَ ملكاً بعد وفاة والده سنة (٤٠٨م)، كان شغوفاً بدراسة الكتاب المقدس، أصدر أمراً بإلغاء الأغاني المبتدلة، وإغلاق أماكن اللهو، أحضر رفات يوحنا فم الذهب الذي نفته والدته واضطهده من روما إلى أنطاكية، وبكى عند رؤيته لهذا الرفات طالباً من الرب أن يغفر لوالديه اللذين اضطهدها. انظر: عصر المجمع: (ص ٢٣٨-٢٣٩).

(٢) انظر: عصر المجمع: (ص ٢٣٥).

(٣) كيرلس الكبير الإسكندري: الملقب بعمود الدين وعمود الإيمان، ولد سنة (٣٦٦م)، تلمذ على يد علماء مدرسة الإسكندرية، عاش مناضلاً مكافحاً، كان شديد المراس، شديد الغيرة إلى درجة العنف والقسوة، وضع تفسيراً للكتاب المقدس، يُعد عند النصارى أعظم معلم لسر التجسد الإلهي. انظر: القديس كيرلس الكبير الإسكندري "عمود الإيمان"، الأنبا غريغوريوس، إعداد: منير عطية، مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس، شركة الطباعة المصرية: (ص ٣-١٥).

(٤) يوحنا الأنطاكي: رئيس أساقفة أنطاكية، قام بدور مهم وفعال في مجمع أفسس الأول الذي أصدر حرمانه ضد كيرلس، بذل مجهوداً جباراً بعد مجمع أفسس في إعادة السلام إلى الكنيسة المنقسمة، فوقع معاهدة الصلح التي أجازها كيرلس معه ومع الشرقيين سنة: ٤٣٣م، توفي سنة: ٤٤١م، وقيل: ٤٤٢م. انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (٣/١٧٧).

(٥) انظر: محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص ٥١).

(٦) عصر المجمع: (ص ٢٤٩ - ٢٥٠).

"من المجمع المقدس الملتئم بمدينة أفسس برحمة الله تعالى، وبموجب تعاليم مخلصنا الفادي، وباسم جلالة الإمبراطور المحب للعبادة والحسن الديانة إلى نسطور يهوذا الثاني: اعلم أنه لأجل تعاليمك وعصيانك على القوانين قد عزلت وقطعت من هذا المجمع المقدس. بموجب قوانين الكنيسة، وحكم عليك بأنك عديم الدرجة ومسلوب الوظيفة ومحروم من كل خدمة كنسية"^(١).

ثم قرر المجمع بحسب التعليم الرسولي: "إن سر التجسد قائم في اتحاد اللاهوت والناسوت في أقنوم الكلمة الأزلي بدون انفصال ولا امتزاج ولا تغيير، وأن السيدة العذراء هي والدة الإله، ثم وضع الآباء مقدمة قانون الإيمان التي مطلعها:

"نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله، لأنك ولدت لنا مخلص العالم، أتى وخلص نفوسنا، المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح، فخر الرسل، إكليل الشهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس، غافر الخطايا، نكرز ونبشر بالثالوث المقدس، لاهوت واحد، نسجد له ونمجده، يا رب ارحم، يا رب ارحم، يا رب بارك. . آمين".

كما حكم المجمع أيضاً بجرم بيلاجوس، وهنا رفعت الجلسة الأولى وأعلنت الأحكام للشعب الذي فرح كثيراً عندما علم بجرم نسطور، وبدأ يهتف للقديس كيرلس الإسكندري؛ لأنه ثبت الإيمان القويم^(٢) كما يزعمون.

لم يقبل نسطور حكم المجمع، بل ذهب إلى القسطنطينية يحمل معه تقاريراً دونها مندوب الملك كنديديان "الموالي لنسطور"، وملاًها بالطعن في رئيس المجمع وأعضائه، وبعد خمسة أيام وصل يوحنا الأنطاكي ومعه (٣٢) أسقفاً، ولما وقف على حكم المجمع غضب كثيراً - كان موالياً لنسطور- ثم كون مجعاً من أساقفته قرر فيه عزل كيرلس الإسكندري

(١) المصدر السابق: (ص ٢٥٠)، وانظر: محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص ٥١ - ٥٢).

(٢) انظر: عصر المجامع: (ص ٢٥٠ - ٢٥١)، محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص ٥١ - ٥٢).

ومنون أسقف أفسس، ورفض قبول أساقفة المجمع الأفسسي في شركته إن لم يتزلوا عن قراره!!

ثم عقدت الجلسة الثانية للمجمع الأفسسي في ١٠ يولييه سنة (٤٣١م)، فحضرها مندوبو روما مع الأساقفة، وتليت أعمال الجلسة، وأيد مندوبو روما القديس كيرلس الإسكندري، وفي اليوم التالي عقدت الجلسة الثالثة، ووقع فيها مندوبو روما على حكم المجمع وقراراته، ثم عقدت الجلسة الرابعة في يوم ٢٦ يولييه للنظر فيما عمله يوحنا الأنطاكي وأساقفته، وأرسل الآباء استدعاء ليوحنا على دفتين متتاليتين، غير أنه رفض الاشتراك معهم، وفي جلسة تالية أرسل المجمع إليه ولكنه أصر على عدم الحضور؛ لانتظاره أوامر من الإمبراطور، فبحث الأعضاء موقفه من جميع النواحي وأصدروا قراراً بتبرئة القديس كيرلس الإسكندري، ومنون أسقف أفسس، كما حرموا يوحنا الأنطاكي، ثم عقد المجمع جلساته الأخيرة ووضعوا فيها ثمانية قوانين لسياسة الكنيسة، قرر في الستة الأولى منها إيقاع الحرم على كل من ينحرف عن الإيمان القويم ويشارك نسطور في معتقده، كما وافق على قبول كل من يرذل هذه التعاليم النسطورية.

وأعلن أن ما يجريه الأساقفة منحرفو الإيمان من رسامات تعتبر باطلة ولا قيمة لها، وفي القانون السابع تحذير وحرم لكل من تسول له نفسه أن يعيث بقانون الإيمان الذي وضعه الآباء بزيادة أو نقص أو رفض للتمسك به، أما القانون الثامن فقد حدد سلطة كل من الأساقفة، كما حرم على الأسقف أن يتعدى على حقوق غيره^(١).

المجمع المسكوني الرابع: خلقيدونية (٤٥١م).

انعقد مجمع خلقيدونية في مدينة خلقيدونية إحدى مدن آسيا الصغرى القديمة، واختلف المؤرخون في عدد آباء هذا المجمع، فمن قائل أنهم كانوا (٣٣٠) أسقفاً، ومن قائل

(١) انظر: عصر المجامع: (ص ٢٥١-٢٥٨)، محاضرات في التاريخ الكنسي: (ص ٥٢-٥٤).

بأنهم بلغوا (٦٣٠) أسقفياً، وقد عقدت الجلسة الأولى لهذا المجمع في الثامن من شهر أكتوبر سنة (٤٥١م) في كنيسة القديسة أوفيمية للبحث في طبيعة المسيح^(١).

وقرر المجتمعون فيه: أن للمسيح ذاتاً واحدة من طبيعتين متحدتين: طبيعة لاهوتية وأخرى ناسوتية، من غير تحول ولا انفصال ولا انقسام، وقرر الأساقفة تعليم الكنيسة المتعلق بطبيعة المسيح بالصورة التالية:

"إنا نعلم أن المسيح ابن الله الوحيد هو رب واحد من طبيعتين بدون امتزاج ولا تغيير وبدون تقسيم وتفريق، ودون أن يلغي هذا الاتحاد تمايز الطبيعتين مع بقاء خواص كل من الطبيعتين على حالها"^(٢)، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وكان المناصرون لهذا القول هم الأساقفة الغربيون الذين لعنوا وطرّدوا كل من لا يقول بهذا القول، ولم توافقهم الكنائس الشرقية وأصروا على قرارهم السابق في أفسس بأن للمسيح طبيعة واحدة إلهية وإنسية، معتبرين مجمع خلقيدونية مجمعاً زائفاً؛ لابتداعه تعليماً غريباً بمناداته بطبيعتين في المسيح بعد الاتحاد^(٣)، وسيأتي الحديث عن ذلك تفصيلاً في الفصل الأول.

وهنا يتضح أنّ تناقض النصراني في دينهم إنما يعود للتناقض الحاصل في مصادرهم التي يستقون منها عقائدهم وشرائعهم سواء كان ذلك عن طريق:

أ- كتابهم المقدس الذي يعج بالاختلافات والتناقضات، ليست بين سفر وآخر، ولا بين إصحاح وآخر فحسب، بل داخل الإصحاح الواحد أحياناً^(٤)، كما سيتضح ذلك لاحقاً مما يستحيل معها نسبة ذلك الكتاب إلى وحي إلهي.

(١) انظر: عصر المجامع: (ص٢٢٦، ٢٢٨).

(٢) انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (٢١١/٣-٢٩٠)، مجموع الشرع الكنسي: حناينا إلياس كساب، مع توطئة البطريرك إلياس الرابع، مطبعة النور، الطبعة الثانية: (ص٣٩٥-٣٩٧)، محاضرات في النصرانية: (ص١٣٥-١٣٩)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٩٥)، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية: (ص١١١).

(٣) انظر: عصر المجامع: (ص٣٦٤)، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: (ص٢٥٧).

(٤) انظر: الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف: (ص٢٢٥-٣٥٢).

ب- علماء النصارى الذين كانوا يحرفون دينهم عمداً إذا رأوا في التحريف مصلحة لهم وانتصاراً لطائفتهم، وقد اتضح ذلك في قرارات مجامعهم المتعددة التي كان لها الأثر الكبير في تحريف النصرانية وانقسام أهلها إلى طوائف وأحزاب.

الفصل الأول

تناقض النصارى حول طبيعة المسيح ﷺ ومشيتته.

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف الكنيسة الأرثوذكسية "اللاخلقيدونية" من طبيعة المسيح ﷺ ومشيتته.

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الكاثوليكية ومن وافقها من طبيعة المسيح ﷺ ومشيتته.

المبحث الثالث: المسيح ﷺ في الإسلام .

الفصل الأول

تناقض النصارى حول طبيعة المسيح ﷺ ومشيبته.

تمهيد:

كان تقرير ألوهية المسيح ﷺ عملاً معقداً سبّب الكثير من الاختلافات والاتجاهات ليس بين من قالوا به ومن أنكروه فحسب، بل بين الطوائف التي اتفقت على المبدأ واعتنقته ثم عادت لتفكر به، وكان مصدر هذا الاختلاف هو التوفيق بين ألوهية المسيح ﷺ التي صدر بها قرار وصار الاعتقاد بها ملزماً، وبين الواقع وهو أن المسيح ﷺ كان يتمتع بكامل الصفات البشرية.

ويرجع هذا الاختلاف إلى العصور الأولى لتقرير العقائد النصرانية، فبعد أن قرر مجمع نيقية (٣٢٥م) ألوهية المسيح ﷺ، اختلف المؤهلون في طبيعته التي صار بها إلهاً، فلم يتفقوا على كنه هذا التأليه، ولا على طبيعة هذا الإنسان المؤلّه، هل هو من طبيعة إلهية خالصة؟ أم من طبيعتين إحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية؟ وكيف تلاقت هاتان الطبيعتان؟ هل امتزجتا؟ وما نوع هذا الامتزاج؟^(١).

وقد أدى هذا الاختلاف إلى انقسام الكنيسة إلى طوائف ومذاهب مختلفة، يقول البابا شنودة الثالث: "موضوع طبيعة المسيح موضوع هام جداً، كان سبب انقسام خطير في الكنيسة في منتصف القرن الخامس سنة (٤٥١م)، حيث نشأت مشكلة الطبيعتين والمشيبتين، وبدأ صراع لاهوتي وانشقاق ضخم في الكنيسة نحاول حالياً إنهاءه بالوصول إلى صيغة إيمان مشترك يقبله الجميع"^(٢).

(١) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، د. أحمد عجيبة، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى: (ص ٣٧٩)؛ نصرانية

عيسى ومسيحية بولس، صلاح العجماي، لواء الحمد للنشر والإعلان، الطبعة الأولى: (ص ١٣).

(٢) طبيعة المسيح: (ص ٥، ١٢)، وانظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٢١)، نصرانية عيسى ومسيحية

بولس: (ص ١٢١).

المبحث الأول: موقف الكنيسة الأرثوذكسية "اللاخلقيدونية" من طبيعة

المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ومشيبته.

تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية "اللاخلقيدونية" بالطبيعة الواحدة والمشيبته الواحدة للمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ. حيث ترى اتحاد لاهوته مع ناسوته، بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا استحالة، إذ لم يعد له طبيعتان منفصلتان بعد الاتحاد، ويعرف هؤلاء بأصحاب الطبيعة الواحدة (١).

المطلب الأول: طبيعة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ عند الأرثوذكس "اللاخلقيدونيين".

أولاً: حد الطبيعة.

"الطبيعة" هي: السجية، وهي القوة السارية التي يصل بها الجسم إلى كماله الطبيعي.

وطبيعة الماء والهواء والنار: هي ما سخر الله تعالى من مزاجه (٢).

و"الطبيعة" مزاج الإنسان المركب من الأخلاط (٣).

و"الطبيعة" لدى النصارى هي "ماهية الشيء وحقيقته" (٤).

ثانياً: تعتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية اللاخلقيدونية "أن الله الكلمة (اللوجوس) اتخذ جسداً بشرياً ذا نفس عاقلة، واتحد به اتحاداً طبيعياً أقنومياً، وقد توحد الجوهران (اللاهوت والناسوت) بطبيعتهما وحدة باطنية فصارا واحداً، بغير اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة (تغيير) ولا انحلال منذ حدوثه وإلى الأبد" (٥)، "فلم يعد له طبيعتان منفصلتان بعد الاتحاد" (٦).

(١) انظر: الفروق العقيدية: (ص ١٤)، طبيعة المسيح: (ص ٨)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٦٤)، نظرة شاملة لعلم الباتولوجي في الستة قرون الأولى: القمص تادرس ملطي، مطبعة دير الشهيد مارمينا العجائبي بمريوط، الطبعة الأولى: (ص ١١٧).

(٢) المعجم الوسيط، مكتبة دار الشروق الدولية، الطبعة الرابعة: (٢/٥٥٠).

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: (٢/١٩١).

(٤) موسوعة علم اللاهوت: (١/١٥).

(٥) المصدر السابق: (١/١٠٩، ٤/٤٦١).

(٦) الفروق العقيدية: (ص ١٤)، وانظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٦٤).

يقول البابا شنودة الثالث: "هو الإله الكلمة المتجسد له لاهوت كامل، وناسوت كامل، ولاهوته متحد بناسوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، اتحاداً أقنومياً جوهرياً تعجز اللغة أن تعبر عنه، حتى قيل: إنه سر عظيم.

وهذا الاتحاد دائم لا ينفصل مطلقاً ولا يفترق، نقول عنه في القداس الإلهي: إن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين، فالطبيعة اللاهوتية (الله الكلمة) اتحدت بالطبيعة الناسوتية التي أخذها الكلمة (اللوجوس) من العذراء مريم بعمل الروح القدس، الروح القدس طهر وقدّس مستودع العذراء طهارة كاملة، حتى لا يرث المولود منها شيئاً من الخطية الأصلية، وكوناً من دمائها جسداً اتحد به ابن الله الوحيد، وقد تم هذا الاتحاد منذ اللحظة الأولى للحبل المقدس في رحم السيدة العذراء.

وباتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية داخل رحم السيدة العذراء تكونت منهما طبيعة واحدة هي طبيعة الله الكلمة المتجسد"^(١).

وقد أعلن الأرثوذكس عن مذهبهم في طبيعة المسيح عَلَيْهِ السَّلَام في مجمع عُقد لهذا الغرض بمدينة أفسس بالأناضول عام (٤٣١م)، واتخذ المجمع قراراً يوافق عقيدة البابا كيرلس بطريك الإسكندرية، وهو يقضي بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشئة واحدة، ففي المسيح أقنوم واحد تم بعد الاتحاد، وبدون اختلاط ولا امتزاج، ولذلك فالعذراء -بزعمهم- تدعى بحق والدة الإله.

يقول البابا كيرلس: "إن لسيدنا يسوع المسيح أقنوماً إلهياً، اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحاداً تاماً، بلا اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة، فالعذراء والحالة هذه هي بحق والدة الإله، فمريم لم تلد إنساناً عادياً بل ابن الله المتجسد؛ لذلك هي حقاً أم الله"^(٢).

ويشرح الأب متى المسكين هذه العقيدة فيقول: إن الإيمان المسيحي الأرثوذكسي هو "اتحاد الطبيعة البشرية مع الطبيعة الإلهية، في شخص ربنا يسوع المسيح اتحاداً كاملاً كلياً غير مفترق ولا منقسم، أي: وحدة كاملة مطلقة في الطبيعة والأقنوم. . . ، إذ يقول بولس الرسول:

(١) طبيعة المسيح: (ص٧)، وانظر: نصرانية عيسى ومسيحية بولس: (ص١٣٢-١٣٣). اللاهوت المقارن، الأنبا غريغوريوس: (ص٢٣٠)، اللاهوت المقارن، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس مطبعة الأنبا رويس الأوفست بالعباسية. الطبعة الأولى: (١١/١).

(٢) تاريخ الأقباط: زكي شنودة، جمعية التوفيق القبطي، لجنة التاريخ والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى: (١٦٠/١-١٦١).

"ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة"^(١)، وشرح بولس إمكانية هذه الولادة بقوله: "أخلى نفسه آخذاً صورة عبد"^(٢).

وبهذا يكون بولس الرسول قد رفع كل الغموض والاستحالة في إمكانية ولادة الله، وكشف سرّ هذا التواضع الخطير من جانب ابن الله الذي أجراه في ذاته مرتضياً أن يحمل به في بطن العذراء ويولد منها كطفل، وهذا السرّ العجيب هو معجزة التجسد الأساسية وإحدى صفات الألوهية المدهشة، أي سرّ تواضع الله المعروف بالتعبير اللاهوتي بالإخلاء، أي قدرة الله على إخلاء ذاته من مجد الألوهية في تواضع فائق لإمكانية الظهور للإنسان بأية صورة مبسطة. . . -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- فالتجسد في الإيمان الأرثوذكسي: هو اتحاد كامل بين الطبيعتين غير مفترق قط من بعد الاتحاد لأقنوم واحد هو الإله الخالق ابن الله المتجسد، فالمولود من العذراء هو ابن الله المتجسد وليس مجرد إنسان.

إذاً لا يوجد ابنان ابن الله وابن للعذراء، بل ابن واحد هو ابن الله الذي لما تجسد صار أيضاً ابن الإنسان دون أن يفقد شيئاً من شخصيته الإلهية على الإطلاق"^(٣). وعند سؤالهم عن الدليل على تجسد ربهم، وحدث اتحاد حقيقي بين اللاهوت والانسوت في المسيح؟! المسيح!

يجيب الأرثوذكس بأنه نتائج الاتحاد! ؛ لأن الاتحاد لا يدرك بالمشاهدة العقلية، وإنما يتوصل إليه الإيمان بالأعمال وبأسلوب الحياة الذي عاش به الرب. يقول القديس كيرلس الإسكندري في المقالة الثالثة ضد نسطور: "لأنه جعل كل ما يخص جسده خاصاً به، أو ملكاً له، رغم أنه بالطبيعة غير جسدي؛ لأنه من فوق من السماء، ولذلك ينسب مجيئه من السماء إلى ذاته، رغم أنه كان يتكلم وهو في الجسد كإنسان، ورغم أنه ولد حسب الجسد من امرأة، وهكذا صارت صفات جسده هي صفات

(١) (غلا ٤ : ٤).

(٢) (في ٢ : ٧).

(٣) العذراء القديسة مريم: الأب متى المسكين، مطبعة دير القديس أنبا مقار، القاهرة، الطبعة الثانية: (ص ٧-٨).

الكلمة، وصفات الكلمة هي صفاته، بل ذات صفات طبيعته الإنسانية، ولذلك نعتقد بالمسيح الواحد الابن والرب" (١). تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وهذا الإيمان تشترك فيه الكنائس القبطية والحبشية والسريانية والأرمنية وهي

الكنائس الأرثوذكسية اللاخليدونية (٢).

ويطلق عليهم أيضاً (المونوفيزيين) (٣) أي: القائلون بالطبيعة الواحدة، وتعبير أصحاب

الطبيعة الواحدة كما يذكر البابا شنودة الثالث قد أدى إلى صراع طائفي بين النصارى حيث قال: "إن تعبير أصحاب الطبيعة الواحدة قد أسيء فهمه عن قصد أو غير قصد خلال فترات التاريخ، فاضطهدت الكنيسة القبطية والسريانية اضطهادات مروعة بسبب اعتقادها في الفترة من مجمع خلقيدونية حتى بدء دخول الإسلام إلى مصر وسوريا" (٤).

المطلب الثاني: طبيعة الاتحاد وكيفيته عند الأرثوذكس.

يقول حبيب جرجس في كتابه الأصول الإيمانية: "اتحد اللاهوت بالناسوت بدون اختلاط ولا امتزاج، وباتحادهما معاً بدون اختلاط ولا امتزاج صار المسيح ذاتاً واحداً، جوهرًا واحدًا، طبيعة واحدة" (٥).

(١) الخليقة الجديدة في المسيح يسوع حسب لاهوت وطقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، د. جورج حبيب بباوي، رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة كامبريدج، إنجلترا، ١٩٧٠م: (ص ١٩٣، ١٩٤).

(٢) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٦٤)، طبيعة المسيح: (ص ٨)، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الواحد مكتبة روضة مصر بالفجالة، الطبعة الأولى: (ص ١٠٨).

(٣) المونوفيزيين: في اللغة اليونانية صفة، وتعني: بمفرده، وحيد، منفرد بنفسه فقط بدون مرافقة أو مصاحبة، فرد متفرد الوجود، وتستخدم كصفة في اللغة الإنجليزية، والتعبير: "موني فيزيس" تعبير مركب، ويعني: طبيعة وحيدة، وليس طبيعة واحدة وهو تعبير حديث للدارسين المعاصرين، انظر: نظرة شاملة لعلم الباتولوجي: (ص ٣٦٤-٣٦٩).

(٤) طبيعة المسيح: (ص ٨)، وانظر: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، الأب جان كمي، دار المشرق، بيروت، الطبعة الأولى: (١/٢٢٨).

(٥) خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: حبيب جرجس (ص ٢٨-٢٩) نقلاً عن تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص ٣٨٠).

فوحدة الطبيعة بين اللاهوت والناسوت هي وحدة حقيقية باطنية حصلت بين جوهر لاهوتي وجوهر ناسوتي ولم يخرج كل واحد منهما عن جوهريته وعنصره، وعليه فلا مجال للقول بعد ذلك أن هناك طبيعتين، وإلا فلا يكون الاتحاد صحيحاً^(١).

بلا اختلاط: أي لم يختلط اللاهوت بالناسوت كما تختلط المواد بعضها ببعض كاختلاط القمح بالشعير.

ولا امتزاج: فلم يمتزج اللاهوت بالناسوت كامتزاج السوائل بعضها ببعض، مثل: مزج الخمر بالماء ونحوه.

ولا تغيير: فلم تتغير طبيعة اللاهوت بحلولها في الناسوت ولم تتغير طبيعة الناسوت بحلول اللاهوت فيها، كالتغيير الذي يحدث في المركبات.

مثال ذلك: ثاني أكسيد الكربون فيه كربون وأكسجين وقد تغير طبع كل منهما في هذا الاتحاد، وفقد خاصيته التي تميزه قبل الاتحاد، بينما لم يحدث هذا التغيير لا في اللاهوت ولا في الناسوت باتحادهما.

ولا استحالة: فما استحال اللاهوت إلى ناسوت، ولا استحال الناسوت إلى لاهوت^(٢).

أما عن كيفية الاتحاد عند الأرثوذكس فيقولون: إنه تم بطريقة سرّية لا تدرك ولا تفهم بالعقل! !.

يقول الأنبا الأرثوذكسي غريغوريوس في كتابه اللاهوت المقارن: "ولكن كيف صار هذا الاتحاد؟ وكيف يكون لطبيعة المسيح الواحدة صفات اللاهوت وصفات الناسوت معاً بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير؟ وكيف يكون للمسيح صفات الطبيعتين ولا تكون له الطبيعتان؟

(١) انظر: اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس: (ص ٢٣٠-٢٣١)، موسوعة علم اللاهوت: (١/١٠٩)؛ تاريخ

الأقباط للمقريزي، تحقيق: عبد المجيد ذياب، دار الفضيلة، الطبعة الأولى: (ص ١٣٨).

(٢) انظر: طبيعة المسيح: (ص ١٢).

هذا ما لا نعرف، إنه سر من الأسرار الإلهية لا يمكن أن نفهمه أو نعيه أو تحتويه عقولنا، ومن هنا سُمي في الاصطلاح الكنسي بسر "التجسد الإلهي"، فنحن نؤمن بنوع من الاتحاد يفوق كل فهم بشري وكل تصور، وقد تكون هذه مشكلة كبيرة بالنسبة للعقل، وقد يكون فيها تناقض وقد يكون فيها تعارض مع قوانين العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية، كل هذا قد يكون صحيحاً، وهذا هو الإيمان بلا فحص، الذي يصرخ من أجله الكاهن القبطي في خدمة القديس الإلهي، فالتفرقة بين الطبيعة اللاهوتية والطبيعة الناسوتية تفرقة ذهنية بحتة لا وجود لها في الواقع للسيد المسيح (الإله المتأنس)، ذلك أنه لم يحدث بتاتاً أن الناسوت واللاهوت كانا منفصلين أو مفترقين في الخارج ثم اتحدا بعد ذلك.

إن ما حدث هو هذا: أن الأقبوس الثاني من اللاهوت المقدس نزل وحلّ في أحشاء البتول مريم، وأخذ من لحمها ودمها جسداً ذا نفس إنسانية ناطقة عاقلة".

ويوافقه الدكتور وهيب عطا جرجس حيث يعترف بهذا التناقض فيقول: "إن في ديانتنا أسراراً نؤمن بها ونقبلها بكل يقين وإيمان، لا لشيء إلا لأنها قد أعلنت لنا من الله، ونحن نؤمن بها بالرغم من معارضتها لحواسنا أو مناقضتها لعقلنا المادي، لا لشيء إلا لأننا أيقنا بأنها من الله"^(١).

(١) اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس (ص ٢٣١-٢٣٢)، وانظر: نصرانية عيسى ومسيحية بولس: (ص ١٣٢).

ويُشبه الأرثوذكس الاتحاد بين اللاهوت والناسوت في السيد المسيح بما يلي:

١. باتحاد الحديد المحمي بالنار، فلا الحديد يستحيل إلى نار ولا النار تستحيل إلى حديد، وإن كان هذا الحال ليس إلى دوام، وهنا نقطة الخلاف.
٢. باتحاد الروح بالجسد التي نسميها (الطبيعة البشرية)، وإن كان هذا التشبيه ناقصاً لأن النفس تنفصل عن الجسد بالموت، أما الاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت فغير قابل للانفصال لحظة واحدة أو طرفة عين.
٣. باتحاد الفحم بالنار في جمرة الفحم، ففي الجمرة صفات الإضاءة والإحراق، وفيها الصفات المادية من كتلة ووزن.

ومع ذلك يعتقد الأرثوذكس بأن هذه المشابهات جميعاً ناقصة ومعيبة، ولا يمكن مقارنتها بالاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت؛ لأنه سر لا يعبر عنه، بل يفوق العقول والأفهام البشرية! (١).

ويقرر الأنبا الأرثوذكسي غريغوريوس ويوافقه د. وهيب جرجس في أن الخلاف بين الكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية القائلة: "إن المسيح هو شخص واحد بطبيعتين متحدتين وتماميتين وواضحتين، ولكنه شخص واحد، إله واحد، أقنوم واحد"، وبين الكنائس اللاخلقيدونية القائلة: "بالطبيعة الواحدة" هو خلاف لفظي فحسب، ذلك أن كلا الفريقين يُقرّان بالاتحاد بين اللاهوت والناسوت، وأن الخلاف في الحقيقة هو خلاف على التعبير الصحيح الذي ينبغي أن يعبر به النصارى عن إيمانهم بحقيقة الاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت.

ثم يثبت تمسكهم بتعبير "الطبيعة الواحدة للكلمة المتجسد"، أو "طبيعة واحدة من طبيعتين"، أو "طبيعة واحدة لها خصائص وصفات الطبيعتين بدون اختلاط ولا امتزاج ولا

(١) انظر: اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس (ص ٢٣٢)، طبيعة المسيح: (ص ١٢-١٥). موسوعة علم اللاهوت:

(١١٣/١). تاريخ الفكر المسيحي: (١/١٠٥-١٠٦).

تغيير"، لأسباب هي بعينها الأسباب التي يرفض بها الأرثوذكس الإقرار بتعبير الغربيين "طبيعتان متحدتان":

أ- عدم وجود نص كتابي واحد يدل بوضوح على أن للسيد المسيح طبيعتين بعد الاتحاد، بل النصوص على خلاف ذلك.

ب- إن التعبير القائل "بطبيعتين متحدتين للمسيح" تعبير خطير؛ لأنه يشتمل على معاني تتعارض مع حقائق الدين المسيحي:

١- حيث إنه يتضمن الثنائية في السيد المسيح والثنائية نوع من الافتراق والانفصال بين لاهوت المسيح وناسوته.

٢- إن التعبير القائل "بالطبيعتين المتحدتين" يحمل التصريح بأن هناك طبيعتين للسيد المسيح كانتا مفترقتين ثم اجتمعتا معاً، وهذا ما ترفضه الكنائس الخلقيدونية رفضاً تاماً، وتعتبره هرطقة فاسدة.

٣- إن تعبير "الطبيعتين المتحدتين" تعبير هادم لقضية الفداء والخلص الذي قام به المسيح من أجل الجنس البشري؛ لأنه إذا كانت للسيد المسيح طبيعتان بعد الاتحاد، فمن المنطقي أن عمل الفداء قام به جسد المسيح؛ لأنه هو الذي وقع عليه الصلب، وعلى ذلك ففداء المسيح ليست له أي قوة على خلاص الجنس البشري، إذ يكون الذي مات من أجل العالم هو إنسان فقط مع أن الفداء يأخذ كل قيمته في أن الذي صلب عنا هو بعينه (الكلمة المتجسد). حقاً إن اللاهوت لم يتألم بالآلام الصلب التي وقعت على الناسوت، ولكن اللاهوت هو الذي أعطى فعل الصلب قيمته اللاهوتية لفداء جميع أفراد النوع الإنساني.

إن تعبير "الطبيعة الواحدة" تعبير سليم ينقذ قضية الفداء من الالهيار، بينما القول "بطبيعتين متحدتين" يقبل الاحتمال بأن الصلب كان صلباً لجسد يسوع فقط، ولم يكن صلباً للمسيح باعتباره الإله المتجسد، وهذا يفقد الخلاص كل قيمته التي تتعلق

عليها فداء الجنس البشري بأسره، وهو معنى تُعارضه كل نصوص الكتاب المقدس التي تتكلم عن الفداء.

٤- إنَّ تعبير "الطبيعتين المتحدتين" لا يستطيع أن يفسر اعتقاد الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية الخلقيدونية في أنَّ القديسة مريم والدة الإله، فلو كان في المسيح طبيعتان لكانت العذراء هي والدة الإنسان فقط.

أما التعبير القائل بالطبيعة الواحدة "للكلمة المتجسد" فهو وحده الذي يمكن أن يفسر الاعتقاد في أنَّ العذراء والدة الإله من حيث إنَّ الذي ولد من مريم هو الإله المتجسد، ولو كان في المسيح طبيعتان لكانت العذراء والدة الإنسان يسوع فقط، ولا يصح تلقيبها "بوالدة الإله"، لأنها ليست أصلاً اللاهوت^(١).

المطلب الثالث: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الأرثوذكسية في اعتقادها بطبيعة المسيح المتحدة.

من أهم النصوص التي استندت إليها الكنيسة الأرثوذكسية للبرهنة على صحة اعتقادهم:

أولاً: البراهين الكتابية:

أ- "أنا هو الأول والآخر والحى، وكنت ميتاً وها أنا حىُّ إلى أبد الأبدين"^(٢). فالمسيح هنا لم يفصل بين لاهوته وناسوته، وهو يتحدث عن موته، فالمسيح بعينه هو الأول والآخر وهو بعينه الحى الذي كان ميتاً، لأنَّ قوله: "الأول والآخر" يشير إلى طبيعة اللاهوت، وقوله: "الحى وكنت ميتاً" يشير إلى طبيعة الناسوت فالمعنى الصحيح لا يستقيم إلا إذا

(١) اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس (ص ٢٣٢ - ٢٣٥)، وانظر: نصرانية عيسى ومسيحية بولس: (ص ١٣٢).

(٢) (رؤ ١: ١٧-١٨).

اعتقد بالوحدة الجوهرية التي صيرتهما ذوي طبيعة واحدة، فينسب لأحدهما ما يلائم الآخر^(١).

ب- قال يسوع: "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن"^(٢). فالضمير أنا لا يدل على الطبيعتين بل على الطبيعة الواحدة فهو جوهر واحد، أقنوم واحد، طبيعة واحدة، وهذا يعني خلوده من جهة ولاهوته من جهة أخرى^(٣).

ج- تعبير "ابن الإنسان"، فاستخدام ابن الإنسان في مواضع كثيرة تدل على اللاهوت، على سبيل المثال: "ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء"^(٤). فمن هو هذا ابن الإنسان الذي نزل من السماء؟ والذي هو في السماء ويكلم نيقوديموس على الأرض؟ أهو الطبيعة الإلهية أم الطبيعة البشرية؟ لا يمكن أن يكون هو إلا "الكلمة المتجسد"، فهذه العبارة واضحة في إثبات الطبيعة الواحدة^(٥) كما يزعم الأرثوذكس وقوله: "لو عرفوا لما صلبوا رب المجد"^(٦).

فالذي كان منظوراً على الصليب هو "ابن الإنسان"، ولكن وحدة الطبيعة بين اللاهوت والناسوت جعلت هذه الآية واضحة والفداء أبدياً، فاللاهوت لم يتألم أو يموت، ولكن مات الجسد البشري "الناسوت"، وعن طريق اللاهوت "المتحد به" أصبح الفداء أبدياً إذ لم يموت سوى إنسان بشري^(٧).

(١) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (١/١١٤)، طبيعة المسيح: (ص ٢٠). اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس (ص ٢٣٣).

(٢) (يو ٨: ٥٨).

(٣) انظر: اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس (ص ٢٣٣)، موسوعة علم اللاهوت: (١/١١٤)، المسيحية في جوهرها: جون ستوت، تعريب: نجيب غالي، دار يوسف كمال للطباعة: (ص ٣٨).

(٤) (يو ٣: ١٣).

(٥) طبيعة المسيح: (ص ٢٤).

(٦) (١ كو ٢: ٨).

(٧) موسوعة علم اللاهوت: (١/١١٥).

ثانياً: شهادة الآباء القديسين لطبيعة المسيح المتحدة^(١):

أ- قال القديس أثناسيوس الرسولي^(٢): "إنه يجب أن نعتقد بطبيعة واحدة وأقنوم واحد (الله الكلمة المتجسد المتأنس بالكمال)، ومن لا يقول كذلك فإنه يخاصم الله، ويحارب الآباء القديسين"، كما قال: "هذا الواحد -الإله- هو ابن الله بالروح، وهو ابن الإنسان بالجسد، وليس لابن الواحد طبيعتان إحداهما مسجود لها، والأخرى غير مسجود لها؛ بل طبيعة واحدة لكلمة الله المتجسد الذي نسجد له مع جسده سجوداً واحداً، والذي يقول: إن جسد الرب من السماء ليس هو من مريم العذراء، أو أن اللاهوت استحال إلى الناسوت أو أن لاهوت الابن تألم، فهذا تحرمه الكنيسة المقدسة".

ب- قال القديس البابا كيرلس الإسكندري الملقب "بعمود الدين": "إنه من الضروري أن نرى في اجتماع الطبيعتين في الرب الواحد المسيح بالاتفاق الذي فيه تشترك كل طبيعة في الأخرى حسب إرادة الأقنوم، حتى أن الواحد بعينه يظل الابن الوحيد كإله، وبكر كل خليفة كإنسان".

كما قال: "إننا لا نعري الناسوت من اللاهوت، ولا نعري الكلمة من الناسوت، بعد ذلك الاتحاد الغامض الذي لا يمكن تفسيره، بل نعترف بأن المسيح الواحد هو من مشيئتين قد اجتمعتا إلى واحد مؤلف من كليهما، لا بهدم الطبيعتين ولا باختلاطهما، بل باتحاد شريف إلى الغاية بوجه غريب".

وقال أيضاً: "طبيعة الكلمة لم تتحول إلى طبيعة الجسد ولا طبيعة الجسد تحولت إلى طبيعة الكلمة، ولكن كلا منهما ظلت كما هي في ذاتيتها، بحسب طبيعة كل منهما في

(١) موسوعة علم اللاهوت: (١/١١٦-١١٩). اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس (ص٢٩٦-٢٩٩). نظرة شاملة لعلم الباتولوجي: (ص١٢١، ٣٦٥)، الخليفة الجديدة في المسيح يسوع حسب لاهوت وطقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: (ص١٩٥). الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، نهاد خياطة، دار الأوائل: (ص٩٣).

(٢) أثناسيوس الرسولي: (٢٩٥-٣٧٣م) لُقّب بحامي الإيمان. بابا الإسكندرية يُدعى: عمود الكنيسة، والمناضل عن الحقيقة، طرد ونفي أثناء أسقفيته خمس مرات، له مؤلفات كثيرة يتحدث فيها عن الحقائق اللاهوتية وينسب إليه كتاب قانون إيمان القديس أثناسيوس. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص٤٥٢-٤٧١)، القديس كيرلس الكبير: الأنبا غريغوريوس، مكتبة المنتيج الأنبا غريغوريوس، شركة الطباعة المصرية: (ص٣).

حالة اتحاد فائق للوصف والتفسير، وقد ظهر لنا من هذا طبيعة الابن الواحدة، ولكن كما قلت متجسدة".

وقال: "من أجل ذلك أقول: إن كلمة الله (اللوجوس) لا يُدعى يسوع المسيح بانفصاله من الناسوت، ولا الهيكل أيضاً المولود من امرأة يسمى يسوع المسيح إلا باتحاده مع الكلمة، لأن كلمة الله المتجسد بالطبع البشري باتحاد تدييري عجيب يُعرف أنه المسيح".

ج- وقال القديس يوحنا ذهبي الفم^(١): "ولكنني أبين الأمر، إنَّ الله الكلمة أخذ الإنسان كله من طبيعتنا، وهو كامل في كل شيء، وله أفتومه فيه، أعني الكلمة؛ فلأجل هذا نقول عنه ذو طبيعة واحدة الله الكلمة صار جسداً".

د- وقال القديس غريغوريوس العجائبي^(٢): "الله الحقيقي الذي بغير جسد، ظهر في الجسد، وهو تام في اللاهوت الحقيقي الكامل، ليس هو شخصين ولا طبيعتين، ولا نقول إننا

(١) يوحنا فم الذهب: (٣٥٤ - ٤٠٧ م) كان من آباء الكنيسة الذين لمعوا في القرن الرابع في أنطاكية، لُقّب بذهبي الفم أو فم الذهب لمواهبه الخطابية، فكان أعظم خطيب في الكنيسة اليونانية، كان هزيل الجسم قصير القامة، تم ترسيمه أسقفاً للقسطنطينية في ٢٦ شباط (٣٨٩ م)، أعلن انتقاده اللاذع لأعضاء البلاط الإمبراطوري، والمراقص والمشاهد التي رافقت تدشين تمثال الإمبراطورة بجوار الكاتدرائية، فأصدر قرار بنفيه سنة (٤٠٤ م)، له الكثير من المؤلفات، أشهرها وأكثرها انتشاراً كتاب الكهنوت. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص ٦٠٩ - ٦٢٦).

(٢) غريغوريوس العجائبي أو الصانع للعجائب: كان اسمه قبل رسامته ثيودوروس، ولد من أبوين وثنيين، توفي والده وهو لا يزال حدثاً فاعتنت والدته بتربيته، انتخب أسقفاً لقيصرية، اشتهر بصنع العجائب والمعجزات لذلك سُمي بالعجائبي، مما يذكر عنه أن الوثنيين أرسلوا إليه امرأة فقالت أمام تلاميذه أنه صنع معها الشر، وأنها تريد الأجرة، فقال لتلميذه أن يعطيها الأجرة، فوقعت في الحال واعتراها روح نجس، ثم اعترفت المرأة بكذبها، فصلى ودعا لها، فخرج منها الشيطان، فتعجب الجميع وعرفوا أنه رجل قديس، وفي سنة: (٢٥٠ م) التهب الاضطهاد في عهد ديسيوس، وتعرضت البلاد لوباء خطير، وبصلاته شفي الكثيرون - على حدّ زعمهم -، وزال الوباء فأمن الكثير من الوثنيين، شُبه في عجائبه بموسى النبي، تذكره الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بصلواتها في مجمع القديس الإلهي. انظر: مجموع الشرع الكنسي: (ص ٨٧٥)، سير القديسين والشهداء في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: نسخة إلكترونية. موقع الكنيسة الأنبا تكلا هيمانوت.

نعبد الله وابن الله وإنساناً والروح القدس، ومن ذلك نحرم المنافقين الذين يعتقدون هذا الاعتقاد، أما نحن فنقول: إن كلمة الله صار إنساناً".

وقد جاء في كتاب الإيمان الصحيح: (ص ١٤٢-١٤٣) ما نصه: "وعلى ذلك فمن لا يعتقد بموجب رأي الآباء القديسين، أنما موجودة طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة في المسيح خاصة وحقاً، دلالة على أن المسيح الإله أخذ جوهرنا كله كاملاً ما عدا الخطيئة فليكن محروماً"^(١).

المطلب الرابع: مشيئة المسيح ﷺ وفعله.

والمقصود هنا هل للمسيح ﷺ مشيئتان وفعالان باعتبار لاهوته وناسوته، فتكون له مشيئة إلهية ومشيئة بشرية، وفعل باللاهوت وفعل بالناسوت؟.

يعتقد الأرثوذكس أن للمسيح مشيئة واحدة وفعل واحد، وذلك بناءً على إيمانهم بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح (الكلمة المتجسد).

فما يختاره اللاهوت لا شك أنه هو بعينه ما يختاره الناسوت، لأنه كما يزعمون لا يوجد تناقض مطلقاً بينهما في المشيئة والعمل، فإذا كان من الممكن أن تتوافق مشيئة الناس مع مشيئة الله فمن المنطقي أكثر استطاعته عند اللاهوت والناسوت، وإذا كان اتحاد ذات الله بذات الإنسان (اللوغوس) اتحاداً جوهرياً فلا عجب أن تتحد المشيئات، ومتى اتحد الأصل تبعته الفروع، وقد قال المسيح: "لأبني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الآب الذي أرسلني"^(٢).

وقال أيضاً: "نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني"^(٣).

كما قال: "أنا والآب واحد"^(٤).

ومن المعروف أن المشيئة تابعة للذات فمتى ثبت توحيد الابن والآب بالذات فقد ثبت توحيد مشيئتهما بالفعل.

(١) موسوعة علم اللاهوت: (١١٩/١).

(٢) (يو ٥ : ٣٠).

(٣) (يو ٦ : ٣٨).

(٤) (يو ١٠ : ٣٠).

والخطيئة هي أن تتعارض مشيئة الإنسان مع الله، والمسيح لم تكن فيه خطيئة البتة، بل قد قال لليهود متحدياً: "من منكم يُبَكِّتُنِي (١) على خطيئة" (٢)، وهو تحدُّ جريء، فالمسيح وحده هو الذي يستطيع أن يصمد أمام كل مواجهة أو مجاهدة؛ لأنه وحده بلا خطيئة.

وهنا يتضح جلياً أن مشيئته هي مشيئة الآب، فالبر الكامل الذي عاش فيه المسيح القدوس كان مشيئة ناسوته كما هو مشيئة لاهوته.

وكذلك كان خلاص البشر، أي الرسالة التي جاء من أجلها المسيح، وقال: "ابن الإنسان قد جاء لكي يخلص ما قد هلك" (٣).

وهذه نفس مشيئة الآب الذي "أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا" (٤).

إذا فالصلب اختاره اللاهوت والناسوت معاً، ولو لم تكن مشيئته واحدة ما كان يقال إن المسيح مات بإرادته عنا، وما دامت المشيئة واحدة فلا بد أن يكون الفعل واحداً، وهذه الأدلة تُبطل قول من قال: إن للمسيح مشيئتين بعد الاتحاد موجودتين فيه بالفعل، فقد ثبت من القياسات العقلية المنطقية والأدلة الشرعية أنه ليس للسيد المسيح مشيئة غير مشيئة الآب.

جاء في كتاب الإيمان الصحيح ما نصه: "مشيئة الإنسان لم تضاد أو تخالف قط المشيئة الإلهية القادرة على كل شيء، بل خضعت لها دائماً؛ لأنه كان يجب أن تتحرك مشيئة الجسد لتخضع للمشيئة الإلهية (حسب رأي البابا أثناسيوس) لأنه كما أن جسده يقال عنه إنه جسد الله الكلمة (وهو حقاً كذلك)، فهكذا مشيئة جسده الطبيعية يقال خاصة لله الكلمة، وهي حقاً" (٥).

يتضح مما سبق التناقض العجيب فيما ذهب إليه الأرثوذكس في تصورهم لطبيعة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ومشيئته.

(١) التبكيت: هو التفرير والغلبة بالحجة. دائرة المعارف الكتابية: (١٨٤/٢).

(٢) (يو ٨ : ٤٦).

(٣) (مت ١٨ : ١١).

(٤) (١ يو ٤ : ١٠).

(٥) انظر: طبيعة المسيح: (ص ٢٩-٣١)، موسوعة علم اللاهوت: (١/١١٩-١٢٢)، المسيحية في جوهرها: (ص ٥٢).

فكيف يتحد اللاهوت بالناسوت ويصيران طبيعة واحدة بدون امتزاج ولا اختلاط ولا تغيير ولا استحالة؟! فتركيب الشيء مع غيره وصيرورتكما شيئاً واحداً يفتقر إلى انقلاب حقيقة أحدهما إلى حقيقة الآخر، كاستحالة الهواء إلى ماء، والماء إلى هواء، بواسطة البرودة في الأول، والحرارة في الثاني، وبدون انقلاب الحقائق لا يحصل الاتحاد الحقيقي؛ وإنما تحصل المجاورة، وبمجرد الاختلاط كاختلاط الشعير بالقمح والماء باللبن، وكل منهما يتميز عن الآخر دوماً كأول، أو بعد يسير كالثاني.

وهذا معلوم بضرورة العقل والمغالطة فيه لا يُصغى إليها؛ لأنها تشكيك في الضروريات وليست بشيء، فاللاهوت لو تركب مع الناسوت للزم يقيناً انقلاب حقيقة أحدهما إلى حقيقة الآخر، وانقلاب اللاهوت إلى الناسوت محال، وانقلاب الناسوت إلى لاهوت محال مثله؛ لأن المجرد لا يكون مادياً والمادي لا يكون مجرداً، فبطل بذلك قولهم بتركيب اللاهوت مع الناسوت في المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ واتحادهما معاً بلا اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.

أما عن تصورهم لكيفية هذا الاتحاد وما نتج عنه، وما قاله أهل العلم منهم بأن الطبيعة الإنسانية اتحدت بالطبيعة الإلهية بطريقة سرية لا تُدرك، ومن اتحاد الطبيعتين صار للمسيح طبيعة واحدة فهو الإله الكلمة المتجسد ذو مشيئة واحدة وفعل واحد، فمردود عليهم، إذ كيف يمكن القول باتحاد اللاهوت بالناسوت؟! وكيف يمكن اتحاد القديم بالحادث؟!

وكيف يعقل أن ينتج عن هذا الاتحاد طبيعة واحدة دون تحول أو تغيير؟!

وكيف يجتمع في هذه الطبيعة هذا النقيض الهائل من اللاهوت والناسوت، ثم ينتج عنه مشيئة واحدة وفعل واحد؟!

إنَّ هذه الأقوال مليئة بالتناقض والاضطراب، ولم يستطع أهلها تفسيرها، فكيف يؤمنون بها ويدعون الناس إلى الإيمان بها وهم لا يفهمونها؟! ^(١)، بل ويزعمون أن من لا يؤمن بها هالك لا محالة!!

(١) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص ٣٨٠-٣٨١).

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية من طبيعة المسيح

ﷺ ومشيتته.

يعتقد الكاثوليك والبروتستانت ومن سار في فلكهم أن للمسيح ﷺ طبيعتين ومشيتتين متميزتين، ويعرف هؤلاء بأصحاب الطبيعتين (١).

المطلب الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية ومن وافقها من القول بالطبيعة الواحدة

للمسيح ﷺ.

رفضت الكنيسة الكاثوليكية ومن سار في فلكها بعد ذلك كالبروتستانت والروم الأرثوذكس ما ذهب إليه الكنيسة الأرثوذكسية "اللاخليدونية" من القول بالطبيعة الواحدة والمشيتة الواحدة للمسيح، والذي تقرر في مجمع أفسس الأول: (٤٣١م) وتم فرضه وتعميمه في مجمع أفسس الثاني: (٤٤٩م)، وحرّم كل من ينادي بوجود طبيعتين في المسيح ﷺ بل تعالت أصوات الرهبان داخل الكنيسة في ذلك المجمع: "اشطروا إلى اثنين كل من يحاول شطر المسيح الواحد، فليمزق إرباً إرباً كل من يعلم بتقسيم المسيح"، مما جعل الكاثوليك يطلقون عليه (مجمع القراصنة، مجمع اللصوص) ويعقدون مجعاً مضاداً له هو مجمع خلقيدونية: (٤٥١م) حيث تقرر القول فيه بصورة حاسمة أن للمسيح ﷺ ذاتاً واحدة من طبيعتين متحدتين، طبيعة لاهوتية وأخرى ناسوتية من غير تحول ولا انفصال ولا اختلاط.

وقرر الأساقفة تعليم الكنيسة المتعلق بطبيعة المسيح ﷺ بالصورة التالية:

"إنا نعلم أن المسيح ابن الله الوحيد، هو ربّ واحدٌ من طبيعتين بدون امتزاج ولا تغير، وبدون تقسيم وتفريق، ودون أن يلغي هذا الاتحاد تمايز الطبيعتين، مع بقاء خواص كل من الطبيعتين على حالها" (٢). تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(١) انظر: الفروق العقيدية: (ص ١٥)، طبيعة المسيح: (ص ٨)، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام (ص ٦٤)، نظرة شاملة لعلم الباتولوجي: (ص ١١٧).

(٢) انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (٣/٢١١-٢٩٠)، مجموع الشرع الكنسي: (ص ٣٩٥-٣٩٧)، محاضرات في النصرانية: (ص ١٣٥-١٣٩)، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام: (ص ٩٥)، الجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية: (ص ١١١).

ومنذ ذلك الوقت تمزق جسد الكنيسة، وحصل الانقسام الحقيقي بين الكنيسة الكاثوليكية الغربية "الخلقيونية" ومن سار في فلكتها بعد ذلك، والكنيسة الأرثوذكسية "اللاخلقيونية" ومن سار في فلكتها كالسريان اللاخلقيونيين.

وقد ألقى هذا الانقسام -بعد مجمع خلقيونية- بظلاله على النصراني، فكان الصراع عنيفاً والقتال دامياً، واندلعت معارك حامية بين الخلقيونيين من جهة وبين من عارضهم من جهة أخرى، ومما ورد ذكره في هذا الشأن:

إنَّ رهبان الأديرة المجاورة لأورشليم حاصروها، وأحرقوا البيوت، وقتلوا الشيوخ والشباب، وساد الذعر والخوف، وسيطرت الفوضى في آسيا الصغرى، وعاشت فلسطين ومصر حالة اضطراب وانقسام منذ أن أمر الإمبراطور بتطبيق قرارات المجمع في كل الإمبراطورية، إلا أن هذه الفوضى العارمة أربكت الإمبراطور ولم يقبل بها، فكلّف القائد دوريتوس بالقضاء عليها بالقوة الجبرية، والتحم جيش الإمبراطور بجيش الرهبان "اللاخلقيونيين" بالقرب من نابلس، ودارت رحى معركة ساخنة سقط فيها الكثير من الرهبان.

ومما جاء أيضاً: إنَّ ملوك الروم واليونان عاملوا الكنائس غير الخلقيونية معاملة قاسية وحشية؛ وذلك لعدم قبول هذه الكنائس لتحديدات مجمع خلقيونية، فسفكوا الدماء، وقطعوا الأنوف والآذان، ونهبوا البيوت، وسلبوا الأديرة والكنائس، بالإضافة إلى النفي إلى الأماكن المتعفنة الهواء، وسقط في الإسكندرية أكثر من (١٠,٠٠٠) قتيل.

واستمر الاضطهاد المروع حتى بدء دخول الإسلام لمصر وسوريا سنة (٦٤١م)

تقريباً^(١).

(١) انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (١٦/٤-٢٩)، طبيعة المسيح: (ص٨)، نظرة شاملة لعلم الباتولوجي: (ص٤٧٤).

المطلب الثاني: طبيعة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وكيفية الاتحاد عند الكاثوليك ومن وافقهم.

يعتقد الكاثوليك ويوافقهم البروتستانت والروم الأرثوذكس أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ إله كامل وإنسان كامل له طبيعتان، طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية، وهاتان الطبيعتان اتحدتا في شخص المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

يقول الآب بولس إلياس اليسوعي: "عندما تجسد ابن الله يسوع المسيح جمع في شخصه الإلهي الطبيعتين الإلهية والبشرية فكان إلهاً وإنساناً معاً"^(١).

كما جاء في كتاب الأشعة اللاهوتية ما نصه: "وموضوع كلامنا هنا شخص الربّ الأقدس المخلص يسوع المسيح، وهو ابن الله، كلمة الآب، المولود من الآب منذ الأزل، وهو إله حق أزلي أبدي. . اتخذ طبيعة الإنسان في مستودع البتول المباركة من جوهرها، فكان له الطبيعتان الكاملتان، أعني اللاهوت والناسوت. . مسيح واحد، إله حق، وإنسان حق، تألم حقاً وصُلب ومات وقُبر ليصالح أباه معنا، ويكون ذبيحة لا عن الخطيئة الأصلية فقط؛ بل عن خطايا البشر الفعلية أيضاً"^(٢).

ونوعية هذا الاتحاد لدى هؤلاء هو اتحاد وثيق غير منفصل وغير مجزأ في شخصه، بل وحدة الأقسام (الكلمة الإلهية الوحيدة) فهو اتحاد أقنومي عبارة عن اتحاد الطبيعتين في أقنوم واحد^(٣).

"فذات المسيح الواحد، ابن، رب، وحيد، معروف في طبيعتين، بلا اختلاط، ولا تحول ولا انقسام، ولا انفصال، دون أي إلغاء لاختلاف الطبيعتين بسبب الاتحاد، بل بالحري مع احتفاظ كل طبيعة بخصائصها متلاقيتين في شخص واحد في أقنوم واحد، مسيح لا يتجزأ

(١) يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه: إلياس اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٦م، الطبعة الثانية: (ص٩٩).

(٢) الأشعة اللاهوتية في مبادئ التعاليم المسيحية، نيافة الدكتور: مول مطران، تُرجم بواسطة جمعية المرسلين الأسقفيين بالقاهرة، المطبعة الإنجليزية الأمريكية، الطبعة الثانية: (ص٧٦).

(٣) انظر: مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٣٦)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي

"الكتاخيسمس الصغير": (ص٩٧)؛ شرح أصول الإيمان، اندراوس واطسون، إبراهيم سعيد، دار الثقافة، الطبعة الرابعة: (١٥٢).

ولا يتقسم في شخصين، بل هو ذات الابن الواحد، وحيد، إله، كلمة، الرب يسوع المسيح، كما علّم الأنبياء عنه منذ زمن طويل، وكما علمنا يسوع نفسه، ونقله إلينا قانون الآباء" (١).

جاء في مؤلف للقس ثيودوروس من ريثوس البيان الآتي عن طبيعتي المسيح، ويُعد من أدق الإيضاحات اللاهوتية في هذا الموضوع: "يعترف الأرثوذكسيون، باتحاد الطبيعتين اتحاداً جوهرياً مع احترام الأقسام وصيانتها من الانقسام والانفصال والاختلاط. . . .

ونعترف بأنه اتحاد حقيقي في الجوهر والتركيب كاتحاد طبقتين، والعبارة (اتحاد يحترم الأقسام) تبين حقيقة الواقع بأن الناسوت لم يكن سابقاً قد خُلق وصار له شكل، وأن اللاهوت لم يتبعه، بل بالعكس إنه عند أول وجود العنصر الأول، وفي الوقت الذي خلق فيه اتحد اللاهوت به، لأنه في الوقت ذاته إذ قد خلق وجعل جسداً كان جسد الله الكلمة، وقد اتحدت الطبيعتان معاً بدون أن تتعرض إحدهما إلى تجديد أو تعديل أو تغيير مهما كان نوعه بسبب هذا الاتحاد، ولكن بالعكس إن الاتحاد واحد، وقد حُفظ دوماً بدون تغيير وحفظت كل من الطبيعتين كيانها الطبيعي تماماً بدون نقص. . . .

وهكذا ففي المسيح أقنوم واحد مؤلف من طبيعتين متميزتين، اللاهوت والناسوت، ويعني الآباء بقولهم: إن الاتحاد طبيعي أو بحسب الطبع، أنه اتحاد حقيقي لا وهمي" (٢).

جاء في شرح أصول الإيمان:

س: "ماذا يقال عن نوع الاتحاد بين الطبيعتين؟"

ج: يقال عنه اتحاد أقنومي؛ لأنه عبارة عن اتحاد الطبيعتين في أقنوم واحد، وهو يتميز عن اتحاد الثالوث الأقدس الذي هو اتحاد الجوهر، كما يتميز أيضاً عن اتحاد الجسد بالروح الذي هو اتحاد قابل للانفصال" (٣).

(١) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: د. تنسغر بيتر هورنمان، ترجمة يوحنا منصور، حنا الفاخوري، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م: (١٠٤/١).

(٢) مجموع الشرع الكنسي: (ص ٣٦٩).

(٣) شرح أصول الإيمان: (ص ١٥٢).

يقول الأب لويس برسوم: "ولكن دون أن ينشأ عن هذا الاتحاد أي اختلاط أو امتزاج أو تغيير، ومن ثمّ فإنّ كلاً من اللاهوت والناسوت في المسيح يتميزان بعضهما عن بعض تمييزاً حقيقياً جوهرياً"^(١).

أما عن كيفية الاتحاد لديهم، فهو كما يصفونه بأنّه سر حقيقي بعيد عن الاستقصاء، حيث أنه فائق للوصف والإدراك^(٢).

يقول الأب لويس برسوم: "وأما إذا سألت كيف يمكن أن يكون هناك اتحاد حقيقي بين طبيعتي المسيح الإلهية والإنسانية دون أن يحدث بينهما أي اختلاط أو امتزاج ودون أن يحدث في جوهرها تغيير؟ فأقول: إن هنا يكمن لبُّ السرِّ"^(٣).

المطلب الثالث: البراهين التي يستند إليها الكاثوليك ومن وافقهم في اعتقادهم بالطبعتين المتحدتين لشخص المسيح ﷺ.

يرهن أصحاب الطبيعتين المتحدتين لشخص المسيح ﷺ براهين كتابية تضمنت التالي:

١. براهين كتابية تُرى فيها صفات إلهية وصفات بشرية منسوبة لشخص واحد.
٢. براهين كتابية تنسب صفات الطبيعة الواحدة للمسيح ﷺ حال كونه مسمى في ذلك النص باسم دال على طبيعته الأخرى^(٤).

أولاً: البراهين الكتابية التي تُرى فيها صفات إلهية وصفات بشرية منسوبة لشخص واحد:

أ- "فمع أنه في صورة الله، لم يُعدّ مساواته لله غنيمة، بل تجرد من ذاته، متخذاً صورة العبد، وصار على مثال البشر، وظهر في هيئة إنسان فوضع نفسه، وأطاع حتى الموت، موت الصليب، لذلك رفعه الله إلى العُلى ووهب له الاسم الذي

(١) المسيح الإله والإنسان: لويس برسوم، المعهد الإكليريكي القبطي ١٩٨٥م، القاهرة: (ص٦٤).

(٢) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٣٧٨)، نظرة شاملة لعلم الباتولوجي: (ص١١٨).

(٣) المسيح الإله والإنسان: (ص٦٤).

(٤) انظر: شرح أصول الإيمان: (١٥١)، تفسير الكتاب المقدس النسخة الكاثوليكية من الألف للياء، دار المشرق،

بيروت لبنان، الطبعة الثالثة: (٢/٦١٠-٦١١).

يفوق جميع الأسماء، كيما تجثو لاسم يسوع كل ركبة في السماوات وفي الأرض وتحت الأرض، ويشهد كل لسان أن يسوع المسيح هو الرب تمجيداً لله الآب" (١).

وهو نص على " أن المسيح هنا كان الله، أو في صورة الله، وهو مساوٍ للآب، وصار إنساناً، وأخذ صورة عبد، وخضع للموت على الصليب، ورُفِعَ فوق المخلوقات وأُعطي السلطان العام المطلق، وهذه الصفات الإلهية والبشرية نسبت لشخص المسيح يسوع الرب" (٢).

ب- "لأن كلاً من المُقدّس والمُقدّسين له أصل واحد، ولذلك لا يستحيي أن يدعوهم

إخوة حيث يقول: "سأبشر باسمك إخوتي، وفي وسط الجماعة أسبحك".

ويقول أيضاً: "سأجعل اتكالي عليه"، وأيضاً: "ها أنا ذا والأبناء الذين وهبهم لي الله"، " فلما كان الأبناء شركاء في الدم واللحم شاركهم هو أيضاً في مشاركة تامة، ليكسر بموته شركة ذاك الذي له القدرة على الموت أي: إبليس، ويحرر الذين ظلوا طوال حياتهم في العبودية مخافة الموت" (٣).

وهذا نص على " أن المسيح بهاء مجد الله ورسم جوهره، وخالق العالمين، وحامل كل الأشياء بقدرته، كما جاء في بداءة هذه الرسالة، وهو أيضاً إنسان والبشر إخوته كما جاء في الإصحاح الثاني: فهو إله تام وإنسان تام في شخصية واحدة. جاء في تفسير قوله: "سأجعل اتكالي عليك": ليس المتكل على الله منتصراً منفرداً بل يبقى متحداً بالذين عهد إليه بأمرهم" (٤).

ج- في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، والكلمة هو الله، كان في البدء لدى الله به كان كل شيء، وبدونه ما كان شيء مما كان، فيه كانت الحياة، والحياة نور الناس والنور يشرق في الظلمات ولم تدركه الظلمات. . . ، والكلمة

(١) (في ٢: ٦ - ١١).

(٢) اللاهوت النظامي: (ص ٣٧٧).

(٣) (عب ٢: ١١-١٥).

(٤) تفسير الكتاب المقدس النسخة الكاثوليكية: (٢/٦٩٧)، وانظر: اللاهوت النظامي: (ص ٣٧٧).

صار بشراً فسكن بيننا، فرأينا مجده، مجدّاً من لدن الآب لابن وحيد، ملؤه النعمة والحق" (١).

وهذا نص فيه أن الكلمة أزلي (والمقصود به لاهوت المسيح) وأنه أتى إلى العالم وصار جسداً اتخذ الطبيعة البشرية وسكن بيننا كإنسان، وهذا يعني أن شخصاً إلهياً بالحقيقة (هو الكلمة الأزلي خالق العالم) صار إنساناً، فالمسيح المتجسد هو إله وإنسان في شخصية واحدة (٢).

ثانياً: البراهين الكتابية التي تنسب صفات الطبيعة الواحدة للمسيح عَلَيْهِ السَّلَام حال كونه مسمى في ذلك النص باسم دال على طبيعته الأخرى:

- أ- "فكيف لو رأيتم ابن الإنسان يصعد إلى حيث كان قبلاً" (٣).
- ب- "ومنهم المسيح من حيث أنه بشر، وهو فوق كل شيء إله مبارك أبدي الدهور" (٤).
- ج- "فما من أحد يصعد إلى السماء، إلا الذي نزل من السماء وهو ابن الإنسان" (٥).
- د- "ولم يعرفها أحد من رؤساء هذه الدنيا، ولو عرفوها لما صلبوا رب المجد" (٦).

يُقرر الكاثوليك ومن سار في فلكهم أن هذه النصوص الواردة في الكتاب المقدس وغيرها كثير والتي تنسب للمسيح عَلَيْهِ السَّلَام جميع صفات اللاهوت وجميع صفات الناسوت معاً في شخص واحد هي دلالة قطعية على أن الجوهرين المجموعين في شخصه "الناسوت واللاهوت" طبيعتان متميزتان متحدتان.

(١) (يو ١ : ١٤-١).

(٢) انظر: اللاهوت النظامي: (ص ٣٧٦-٣٧٧).

(٣) (يو ٦ : ٦٢).

(٤) (رو ٩ : ٥).

(٥) (يو ٣ : ١٣).

(٦) (١ كو ٢ : ٨).

فقد قيل في ناسوته: إنه ذو جسد، مولود من امرأة، كان ينمو في القامة يرى ويشعر ويلمس، وإنه ذو نفس كانت تتعب وتفرح وتخزن، ترنو في الحكمة تارة وتجهل بعض الأحوال والأمور تارة أخرى، وقيل في شأن لاهوته: إنه إله كامل عالم بكل شيء، قادر على كل شيء أزلي، وإنه النور الحقيقي مصدر الحياة لجميع الأحياء^(١).

المطلب الرابع: مشيئة المسيح عَلَيْهِ السَّلَام وفعله.

يعتقد الكاثوليك ومن وافقهم أن للمسيح عَلَيْهِ السَّلَام إرادة إلهية وإرادة بشرية، وأن إرادة المسيح البشرية تتبع إرادته الإلهية دون أن تكون معيقة ولا معارضة لها، بل بالحرى بخضوعها لها^(٢).

وقد فُصلت مسألة الطبيعتين والمشئتين في شخص المسيح في قرارات جمعية ورسائل بابوية عديدة، منها ما جاء في رسالة خاصة من البابوية إلى الأباطرة والملوك النصراني في عهد البابا أغاثوس سنة (٦٨١م) مما ورد فيها:

"وفقاً لما نُقل في الإنجيل، كل ما يخص الرب الوحيد نفسه، فادينا يسوع المسيح بوجهين: أي أننا نعلن طبيعته الإلهية والبشرية اللتين منهما وفيهما يوجد أيضاً بعد الاتحاد الجدير بالعجب وغير المنفصلين، ونعترف كذلك بأن كل واحدة من هاتين الطبيعتين لها خصيئتها الطبيعة: فالإلهية لها كل ما هو إلهي، والبشرية لها كل ما هو بشري، ما خلا الخطيئة، ونعترف بأن الاثنتين تخصان الإله الواحد ذاته، الكلمة المتجسد أي الذي صار إنساناً، بلا اختلاط ولا انفصال ولا تحول. . .

ولكننا عندما نعترف بطبيعتين ومشئتين وفعالين طبيعيين في ربنا الوحيد يسوع المسيح لا نقول إنهما متعاكسان أو متعارضان. . . ، أو كأنهما منفصلان في شخصين أو أقنومين، ولكننا نقول: كما أن ليسوع المسيح نفسه طبيعتين، كذلك له أيضاً في ذاته مشئتان وفعالان طبيعيين، أي أن له المشيئة والفعل الإلهي بالاشتراك منذ الأزل مع الآب

(١) انظر: اللاهوت النظامي: (ص ٣٧٦ - ٣٧٧).

(٢) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٣٧).

الواحد معه في الجوهر، وأن المشيئة والفعل البشري قد اتخذهما زمنياً منا مع طبيعتنا. . . وأن كلاً من هاتين الطبيعتين كامل، وكل ما يعود إلى خصائص الطبيعتين نعترف به كأنه يُعطى مرتين، إذ أن ربنا يسوع المسيح نفسه هو إله كامل كما هو إنسان من طبيعتين"^(١).

كما جاء في رسالته إلى الإمبراطور قسطنطين الكبير وإلى هرقل وطيباريوس:

"إننا نعترف بطبيعته اللاهوتية والناسوتية، وأنه يظل هو هو حتى بعد هذا الاتحاد العجيب غير المنفصل، ونعترف بأن كلاً من طبيعته لها خواصها الذاتية، وأن الطبيعة الإلهية لها كل الخواص الإلهية دون أن تمسها خطيئة، ونعترف بأن كلاً من الطبيعتين للأقنوم المتجسد الواحد نفسه، أعني كلمة الله المتخذ الناسوت، هما فيه غير مختلطتين ولا منفصلتين ولا متغيرتين. . . وعندما نعترف بالطبيعتين وبالمشيئتين الطبيعتين وبالفعلين الطبيعيين في ربنا يسوع المسيح لا نعني بذلك أنهما متناقضتان ومتعاكستان. . . ولا نعني أنهما منفصلتان إلى أقنومين أو جوهرين، ولكننا نقول أن ربنا يسوع المسيح نفسه له مشيئتان وفعالان كما له طبيعتان، أي أن له مشيئة وفعالاً إلهيين ومشيئة وفعالاً ناسوتين، فهو بحسب المشيئة والفعل الإلهيين مساوٍ للآب منذ الأزل وإلى الأبد، وأما المشيئة البشرية فقد اتخذها كما اتخذ طبيعتنا في وقت محدود. . . هذا هو البيان النقي الخالص للتقوى، هذا هو الاعتراف الصادق المتره عن الخطأ للديانة المسيحية"^(٢).

وقد وردت هذه العقيدة بالتفصيل في موضوع الرد على أصحاب المشيئة الواحدة في مجمع "القسطنطينية الثالث" في جلسته الثامنة عشرة.

مما جاء فيه: "إن ربنا يسوع المسيح يجب الاعتراف به أنه إله تام وإنسان تام، وهو أحد أقانيم الثالوث الأقدس المحيي المتساوي في الجوهر، تام من جهة اللاهوت وتام من جهة الناسوت، إله حق وإنسان حق، مؤلف من نفس عاقلة وجسد بشري، مساوٍ للآب في

(١) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١٩٢/١-١٩٣).

(٢) مجموع الشرع الكنسي: (ص ٤٩٥-٤٩٦).

اللاهوت، ومساوٍ لنا في الناسوت وهو في كل شيء مثلنا ما عدا الخطيئة، مولود من أبيه قبل كل الدهور بحسب اللاهوت، ولكنه في الأيام الأخيرة تجسد لأجلنا نحن البشر، ولأجل خلاصنا من الروح القدس ومن مريم العذراء التي تُدعى حقاً وواجباً والدة الله بحسب الجسد.

وهو هو الذي يجب الاعتراف به، المسيح نفسه ربنا الابن الوحيد بطبيعتين غير مختلطتين وغير متغيرتين وغير منفصلتين وغير منقسمتين، ولم تفقد خواص أي من الطبيعتين في الاتحاد بل بالأحرى بقيت خواص كل منهما محفوظة وكائنة معاً في الشخص الواحد والأقنوم الواحد. . . ، وإذ نحدد كل هذه الأشياء نصرح نحن أيضاً أنّ فيه مشيئتين طبيعتين وفعلين طبيعيين بلا انقسام أو تحول أو انفصال أو اختلاط حسب تعليم الآباء القديسين، وهاتان المشيئتان الطبيعتان لا تعارض إحداهما الأخرى. . . ، فمشيئته البشرية تخضع بدون مقاومة أو تلكؤ للمشيئة الإلهية الكلية القدرة. . . ، وكما أن جسده دُعي جسد الله الكلمة هكذا مشيئة جسده الطبيعية تدعى مشيئة الله الكلمة كما قال هو عن نفسه: "قد أتيت من السماء لا لأفعل مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني"^(١)، فهنا يسمي مشيئة جسده مشيئته الخاصة بما أن الجسد جسده أيضاً، لأنه كما أن جسده المقدس الطاهر الحي لم يفن؛ لأنه قد تأله، بل بقي كما هو في طبيعته الخاصة، هكذا مشيئته البشرية، وإن تكن قد تأهت لم تلغ بل بالأحرى قد حفظت. . . ، وإننا نمجد فعلين طبيعيين في ربنا يسوع المسيح، إلهنا الحقيقي نفسه. فعلين غير منقسمين وغير متحدين وغير مختلطين وغير منفصلين، نعني بذلك فعلاً إلهياً وفعلاً بشرياً. . . ، فكل طبيعة تعمل بالشركة مع الأخرى ما يختص بها، أي أن الكلمة يعمل ما يختص بالكلمة والجسد يعمل ما يختص بالجسد. . . ؛ لأنه وإن اجتمعت الطبيعتان معاً فكل طبيعة منهما تشاء وتعمل ما يختص بها، وذلك بدون انقسام وبدون

(١) (يو ٦: ٣٨).

اختلاط أو امتزاج، ولذلك نعترف بمشيئتين وفعلين متوافقين على أحسن نظام لخلاص الجنس البشري" (١).

وهذا المفهوم الذي ذهب إليه الكاثوليك تكرر تأكيده في عدة مجامع محلية ومسكونية.

"وكل من يجسر على مخالفة هذا الاعتقاد أو نقض هذه التعاليم من أساقفة أو إكليزيكيين فإنه يسقط من رتبته، وأما الرهبان والعوام فليسلوا" (٢).

يتضح مما سبق التناقض الغريب فيما ذهب إليه الكاثوليك ومن وافقهم في تصورهم لطبيعة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ومشيئته.

إذ كيف يكون الشخص محدوداً وغير محدود في الوقت نفسه؟!

كيف يكون إلهاً وإنساناً في وقت واحد؟!

كيف يكون قادراً وغير قادر في آن واحد؟!

يقول أبو الفضل المسعودي: "هذه المذاهب فيها قباحة، ذلك أن صيرورة الجوهرين مختلفي الطباع شخصاً واحداً أي أقنوماً واحداً لا يقوله عاقل، إذ يلزم عليه أن يشار إلى المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه قديم ومحدث بإشارة واحدة.

ويقال لهم: إن قلتم أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد الاتحاد باق على طبيعته ومشيئته كما كان قبل الاتحاد فقد أبطلتم الاتحاد، إذ أن الاتحاد عبارة عن صيرورة الأكثر من الواحد واحداً، فإذا كان جوهر الأزلي باقياً بحاله، وجوهر الإنسان باقياً بحاله فقد آل الاتحاد إلى مجرد تسمية فارغة عن المعنى خالية من الفائدة.

ويقال لهم أيضاً: أتقولون أن اللاهوت اتحد بالناسوت حقيقة أم مجازاً؟

(١) مجموع الشرع الكنسي: (ص ٥١٣ - ٥١٤)، وانظر: الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/١٩٦، ١٩٨).

(٢) مجموع الشرع الكنسي: (ص ٥١٥)، وانظر: الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/٢٢٥، ٥٥٦، ٥٥٧،

فإن قالوا: مجازاً، فقد أبطلوا الاتحاد وتجاوزوا بإطلاق ما لا يجوز إطلاقه على الله سبحانه.

وإن قالوا: إنه اتحاد حقيقة، لزمهم أن تكون مشيئتهما واحدة؛ لأن الواحد لا يكون له إلا مشيئة واحدة، إذ لو كان للواحد مشيئتان للزم أن تكونا متماثلتين أو مختلفتين، فإن كانتا متماثلتين فأحدهما مغنية عن الأخرى، وإن كانتا مختلفتين تناقضت أحكامهما وامتنع حصول مرادهما، فثبت أنه لا بد من إبطال إحدى المشيئتين إن كان الاتحاد حقيقة، أو إبطال الاتحاد جملة إذا ثبتت الطبيعتان والمشيئتان^(١).

(١) انظر: المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل، لأبي الفضل المالكي المسعودي، تحقيق وتقديم وتعليق: د. رمضان الصفاوي البدرى، د. مصطفى الذهبي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الاولى ١٤١٨هـ: (ص ١٢٢)، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص ٣٨٢-٣٨٤).

المبحث الثالث: المسيح عليه السلام في الإسلام.

عقيدة المسلمين في شخص المسيح عليه السلام مبنية على ما جاء في نصوص الكتاب والسنة، أوجزها في النقاط التالية:

• المسيح عليه السلام ليس إلهًا، ولا ابن إله؛ كما يزعم النصارى، فالله واحدٌ أحدٌ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، سبحانه وتعالى عن مثل هذه الأمور، فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وقد أكدَّ الباري جل جلاله هذا المعنى في كثير من آيات القرآن الكريم، قال جل شأنه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص ١-٤].

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونَ ۝١١٦﴾ [سورة البقرة ١١٦-١١٧].
﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدًّا رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [سورة الجن ٣].

وقد أنكر الله ﷻ أشد النكير وأغلظه على أهل الكتاب من اليهود والنصارى لادعائهم الولد له ﷻ (١) فقال جل شأنه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَالَهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾ [سورة التوبة ٣٠].

كما قال ﷻ: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٣٥ وَإِنَّ لِلَّهِ رَبِّ وَرَبِّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝٣٦﴾ [سورة مريم ٣٤-٣٦].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنْبَغِي

(١) انظر: الله ﷻ واحد أم ثلاثة، د. منقذ بن محمد السقار، دار السلام، الطبعة الأولى: (ص ١١٠).

لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَنْخِذَ وَلَدًا ﴿١٢﴾ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾ [سورة مريم ٨٨-٩٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يَعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْتًا أَحَدٌ» (١).

• أكد الإسلام في كثير من النصوص على بشرية المسيح عيسى عليه السلام، وأنه مخلوق مربوب كسائر الخلق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران ٥٩]، يقول صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: في قدرة الله؛ حيث خلقه من غير أب، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ حيث خلقه من غير أب ولا أم، قال تعالى: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فالذي خلق آدم عليه السلام من غير أب ولا أم قادر على أن يخلق عيسى عليه السلام من غير أب بطريق الأولى والأحرى، وإن جاز ادعاء الألوهية في عيسى عليه السلام لكونه مخلوقاً من غير أب فجواز ذلك في آدم عليه السلام بطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل، فدعواه في عيسى أشد بطلاناً وأظهر فساداً، ولكن الرب صلى الله عليه وسلم أراد أن يظهر قدرته لخلق حين خلق آدم لا من ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى" (٢).

كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمَّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: (١٢/٤٠٣/٤٩٧٤)

(٢) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، إعداد: أحمد عسيري، جامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية: (ص ٣٩٢).

أَنْفٍ يُؤَفِّكُونَ ﴿٧٥﴾ [سورة المائدة ٧٥]. فأبطل دعوى ألوهيتهما بصفة الأكل، لأن الإله الحق مزره عن الأكل والشرب وآلاته وأسبابه^(١)، وبين حقيقتهما المساوية لحقيقة غيرهما من أفراد نوعهما وجنسهما، بدليل أنهما كانا يأكلان الطعام، وكل من يأكل الطعام مفتقر إلى ما يقيم بنيته ويمد حياته، إلى جانب أن أكل الطعام يستلزم الحاجة إلى دفع الفضلات، وعليه فلا يمكن أن يكون رباً خالقاً، ولا ينبغي أن يكون إلهاً معبوداً^(٢).

• عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ [سورة النساء ١٧١-١٧٢]. قال قتادة: "في قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ هو قوله: كن فكان"، كما قال: "ليس الكلمة صار عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى"^(٣). وقال الشعبي: "الكلمة حين قال له: كن، فكان عيسى بـ "كن"، وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان"^(٤).

(١) حقيقة المثل الأعلى: د. عيسى بن عبد الله السعدي، أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الطائف، دار ابن الجوزي: (ص ٢٥).

(٢) سد الذرائع في مسائل العقيدة على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة، عبد الله الجندي، الجامعة الإسلامية، ١٤٢٢هـ: العدد: (١١٤ ص ١٢)، وانظر: الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر الزرعي "ابن القيم الجوزية"، تحقيق: د. علي بن محمد دخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة: (٣/٤٨٢).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية الحراني، تحقيق وتعليق: د. علي الأملعي وآخرون، دار الفضيلة، الطبعة الأولى: (١/٢٧٥).

(٤) المصدر السابق: (١/٢٧٦).

قال أحمد: "وأما قوله جل ثناؤه: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾^ط أي: من أمره كان الروح فيه" (١)،
كقوله تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ﴾^ط [سورة الجاثية ١٣].

وقد جاءت أولى كلماته التي أنطقه الله ﷻ بها في المهد إقراراً منه ﷻ
بالعبودية لله ﷻ (٢) يقول الباري ﷻ: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ
صَبِيًّا﴾ (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ [سورة مريم ٢٩-٣١]. يقول الشيخ
الشنقيطي ﷻ: "ذكر الله ﷻ في هذه الآية الكريمة أن أول كلمة نطق لهم بها
عيسى وهو صبي في مهده أنه عبد الله، وفي ذلك أعظم زجر للنصارى عن دعواهم
أنه الله أو ابنه أو إله معه، وهذه الكلمة التي نطق بها عيسى في أول خطابه لهم ذكرها
الله جلَّ وعلا عنه في مواضع أخر" (٣)، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ
أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا
لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ (٧٢) [سورة المائدة ٧٢]، وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا
صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (٣٦) [سورة مريم ٣٦].

• ليس له من خصائص الربوبية أو الألوهية شيء (٤)، قال تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا
عَبْدٌ أُنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٥٩) [سورة الزخرف ٥٩]، وقد رفض الإسلام
رفضاً قاطعاً نظرة النصارى إلى المسيح ﷻ، فرفض رأي القائلين بالطبيعة الإلهية
للمسيح ﷻ، وكذا رأي القائلين بالطبعيتين إلهية وإنسية، وعدَّ كلا الرأيين كفرةً

(١) المصدر السابق: (٢٧٦/١).

(٢) انظر: سيرة نبي الله عيسى بن مريم ﷻ وبيان فساد دين النصارى، د. محمد سعد عبدالدايم: (ص ١١١)

(٣) الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، جمع: أبو المنذر محمود
المنياوي، مكتبة ابن عباس، مصر، الطبعة الأولى: (٥٦١/٢)

(٤) موسوعة الملل والأديان، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي السقاف، الناشر: موقع الدرر السننية

على الإنترنت www.dorar.net، (٢٣٩/١).

وخروجاً من دين الله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة المائدة ٧٢]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة المائدة ٧٣].

ثم وجه الله ﷻ الكلام إلى كلا الفريقين مؤكداً على بشرية المسيح ﷺ ومحذراً إياهم من الغلو فيه قائلاً: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِكُلَّانِ الطَّعَامِ أَنْظَرَ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرَ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة المائدة ٧٤-٧٧].

وفي نهاية هذا الفصل لابد من الإشارة إلى أن قول النصارى بألوهية المسيح ﷺ وبنوته لله تعالى، وقولهم: بأنه ذو طبيعة إلهية، أو ذو طبيعتين إلهية وإنسية معاً، إنما هو زيغ وضلال، أدخل ضمن غيره من ضلالات القوم وبدعهم.

الفصل الثاني

التناقض حول انبثاق الروح القدس

وفيه تمهيد وستة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بـ "انبثاق الروح القدس".

المبحث الثاني: حقيقة الروح القدس عند النصارى.

المبحث الثالث: تاريخ إضافة لفظ "والابن" إلى قانون الإيمان.

المبحث الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية.

المبحث الخامس: موقف الكنيسة الأرثوذكسية من انبثاق الروح القدس

المبحث السادس: الروح القدس في الإسلام.

الفصل الثاني

التناقض حول انبثاق الروح القدس

تمهيد:

الروح القدس هو ثالث أطراف الثالوث الأقدس كما يرى النصارى، والذي تسنم موقعه الإلهي في مجمع القسطنطينية سنة (٣٨١م) أقنوماً ثالثاً مجدداً ومسجوداً له حيث قيل: "ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي، المنبثق من الآب نسجد له، ونمجده مع الآب والابن الناطق في الأنبياء".

وبذلك تبلورت عقيدة التثليث عند النصارى، وأصبحت عقيدة ملزمة يجب على كل نصراني أن يعتنقها، ويُحكم بلعن وكُفر من يعارضها ويقول بغيرها.

يقول ابن البطريق^(١) في بيان قرارهم: "زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية - الإيمان بروح القدس - المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له ومجدد، وثبتوا أن الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه، وثلاث خواص وحدية في تثليث وتثليث في وحدية، كيان واحد في ثلاثة أقانيم، إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة"^(٢).

(١) سعيد بن البطريق: طبيب مؤرخ، من أهل مصر. ولد بالفسطاط، وأقيم بطريركا في الإسكندرية وسمي إتيشيوس (Entychius) سنة (٣٢١ هـ)، له: "نظم الجواهر" في التاريخ، و"الجدل بين المخالف والنصراني"، و"علم وعمل" كناش في الطب، عاش بين عامي: (٢٦٣-٣٢٨ هـ = ٨٧٧-٩٤٠م). الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م: (٩٢/٣).
(٢) انظر: العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية "حوار يدور في فضاء اللاهوت المسيحي"، أحمد عمران، منشورات دار الوعي، بيروت: (ص ٢٢٧)، النصرانية والإسلام، المستشار محمد عزت الطهطاوي، القاهرة ١٩٨٦م، الطبعة الثانية: (ص ٤٧).

ثم حدث خلاف عنيف بين النصارى في منتصف القرن التاسع حول الأقبوسم الذي انبثق منه الروح القدس (١).

فذهب الكاثوليك إلى أن الروح القدس منبثق من الآب والابن معاً، بينما رفض الأرثوذكس زيادة لفظ "الابن" على قانون الإيمان، فالانبثاق لديهم من الآب وحده (٢)، يقول البابا شنودة الثالث: "وهذه الإضافة كانت سبباً للانقسام في الكنيسة ولا تزال" (٣).

كما يقول في كتابه الروح القدس: "ولكن الكاثوليك يقولون: المنبثق من الآب والابن، فيضيفون عبارة والابن "filioque"، وهي إضافة لم تكن موجودة إطلاقاً في أصل قانون الإيمان، ولم تكن معروفة في القرون المسيحية الأولى ومبدأ ظهورها كان - كما يقولون - في إسبانيا في القرن السادس وانتقل منها إلى رومة. . . ، ولم تستقر إضافة "والابن" عند الكاثوليك اللاتين إلا في القرن الحادي عشر، وقد سببت انقسامات كثيرة بلا داع، وهي أيضاً ضد مفهومنا للثالوث القدوس.

وكما قال البعض: إنها تجعل في الثالوث ابنين وأبوين، إن كان الروح القدس يعتبر ابناً للابن، إن كان منبثقاً منه، ويكون الابن أباً له أيضاً! " (٤).

(١) كتر النفائس: (ص ١٦٢).

(٢) قانون الإيمان، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية بالقاهرة - مطبعة الأنبا رويس الأفسس - العباسية، الطبعة الأولى: (ص ٩١)، وانظر: كتر النفائس: (ص ١٦٢) الروح القدس وعمله فينا: البابا شنودة الثالث، ١٩٩١م، القاهرة، الطبعة الأولى: (ص ١٥).

(٣) قانون الإيمان: (ص ٩١).

(٤) الروح القدس وعمله فينا: (ص ١٥).

المبحث الأول: التعريف بـ"انبثاق الروح القدس"

"انبثاق الروح القدس" من العقائد النصرانية التي لا يزال الخلاف عليها قائماً بين الطوائف إلى الآن^(١).

أولاً: الانبثاق لغة:

انبثق ينبثق انبثاقاً فهو منبثق والمفعول منبثق عنه، انبثق: انثقب وانثقب.

انبثق السيل: انفجر، وبثق السيل موضع كذا أي: خرقة وشقه، وانبثق السيل عليهم: أي أقبل عليهم فجأة.

وفي حديث هاجر أمّ اسماعيل "فغمز بعقبه على الأرض فانبثقت الماء"^(٢) أي انفجر وجرى. انبثق الفجر: ظهر ولاح وانتشر نوره.

انبثق منه نور شفاف: طلع وصدر، فالانبثاق هو الخروج أو الصدور^(٣).

ثانياً: الروح لغة:

(روح): الرأ والواو والحاء أصل كبير مطرد، يدلُّ على سَعَةٍ وفُسْحَةٍ واطِّراد.

وأصل ذلك كلُّه الرِّيح، وأصل الياء في الريح الواو، وإنَّما قلبت ياءً لكسرة ما قبلها.

(الروح) ما به حياة النفس، والجمع أرواح، و(في الفلسفة) ما يقابل المادة، وروح القدس

عند النصارى الأَقْنوم الثالث، والروح الأمين وروح القدس عند المسلمين جبريل عَلَيْهِ السَّلَام^(٤).

(١) انظر: قانون الإيمان: (ص ٩١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾:

(٣/١٢٣٠ح ٣١٨٥).

(٣) انظر: المعجم الوسيط: (٣٨/١)، موسوعة علم اللاهوت: (١٣٤/١)، لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور

الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى: (١٠/١٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات

المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية ببيروت: (١/٢٣١).

(٤) المعجم الوسيط: (٣٨٠/١)، معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار

الفكر ١٣٩٩هـ: (٤٥٤/٢).

ثالثاً: القدس لغة:

(قدس): القاف والذال والسين أصلٌ صحيحٌ، وهو يدلُّ على الطهر.

والتقدّيس: التّطهير والتّبريك، وتقدّس أي تطهر، وفي التّزئيل: ﴿وَمَنْ نُسِيحُ بِمَحْمَدِكَ

وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [سورة البقرة ٣٠] قال الزجاج: معنى نُقدس لك: أي نُطهر أنفسنا لك.

وقدس الأقداس (عند اليهود) المكان الأكثر قدسية في متعبدهم وهو قبة الهيكل،

والروح القدس: سيّدنا جبرئيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي الحديث: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي»^(١)

يَعْنِي: جَبْرِئِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ طَهَارَةٍ.

وفي صِفَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَيَّدَنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، مَعْنَاهُ: رُوحُ الطَّهَارَةِ، وَهُوَ

جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والروح القدس عند النصارى الأَقْنُومِ الثالث^(٢).

وانبثاق الروح القدس عند النصارى يعني خروج وصدور الأَقْنُومِ الثالث في لاهوتهم

المقدس. من الآب على قول طائفة منهم، ومن الآب والابن معاً على قول طائفة أخرى.

وقد أدى هذا الخلاف بين النصارى إلى الانشقاق النهائي بين الكنائس القائلة

بالطبيعتين والمشئتين سنة (١٠٥٤م) فانقسمت الكنيسة إلى كنيستين رئيسيتين:

(١) مصنف عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، تحقيق:

حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي، الهند، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ:

(١١/٢٥٠ح ٢٠١٠)، قال الحافظ ابن حجر: "حديث «إن روح القدس نفث في روعي» أخرجه ابن أبي الدنيا في

القناعة، وصححه الحاكم من طريق ابن مسعود". فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو

الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام

بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله ابن باز:

(٢٠/١).

(٢) انظر: المعجم الوسيط: (٧١٩/٢)، تاج العروس من جواهر القاموس: (٣٥٥/١٦-٣٥٦).

1) الكنيسة الشرقية اليونانية: ويقال لها أيضاً: "كنيسة الروم الأرثوذكس"، وهي التي يذهب أتباعها إلى أن روح القدس منبثق عن الآب وحده، والمشايعون لها أكثرهم في الشرق في بلاد اليونان وتركيا والصرب وغيرها.

2) الكنيسة الغربية اللاتينية: ويقال لها أيضاً: "كنيسة روما"، "الكنيسة الكاثوليكية" "الكنيسة البطرسيّة"، وهي التي تذهب إلى أن روح القدس منبثق عن الآب والابن معاً، والمشايعون لها أكثرهم في الغرب.

أما البروتستانت: فالبعض يتبع الكاثوليك، والبعض الآخر يكتفي بالاعتقاد بأقنومية الروح القدس، ولاهوته ومساواته للآب والابن في الجوهر دون التعرض لمسألة الانبثاق^(١).

يقول القس جيمس أنس "بروتستاني": "وعلى ما يظهر فإن اعتقاد الغربيين أقرب للصواب، بدليل عدم تمييز الكتاب بين علاقة كل من الآب والابن بالروح القدس، فيسميه "روح الآب" وأيضاً "روح الابن" ويذكر إرساله من الآب^(٢)، وأيضاً من الابن^(٣)، وأنه يُظهر لنا أمور الآب وأيضاً أمور الابن. . . . ، وكل ما يعيننا هو اعتقادنا بأقنومية الروح ولاهوته ومساواته للآب والابن في الجوهر، أما هل الانبثاق من الآب وحده أو من الآب والابن معاً، فليس في طاقتنا تقديم إجابة قاطعة عنه لأنه من الأسرار غير المعلنة لنا بوضوح، فيكون حكمنا في هذه المسألة من باب الترجيح"^(٤).

(١) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٢ / ١٣٧)، الفروق العقيدية: (ص ١٤)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٦٠)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٦٤)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي: (ص ١١٣)، اللاهوت النظامي: (ص ١٧٤)، الروح القدس وعمله فينا: (ص ١٥) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: (ص ١١٣ - ١١٤)، محاضرات في النصرانية: (ص ١٤٥-١٦٥) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٥٠).

(٢) (يو ١٤ : ٢٦).

(٣) (يو ١٦ : ٧).

(٤) اللاهوت النظامي: (ص ١٩٥).

المبحث الثاني: حقيقة الروح القدس في اصطلاح النصارى

قبل بيان حقيقة الروح القدس عند النصارى لابد من إلقاء الضوء على معنى الروح القدس في الكتاب المقدس:

أولاً: العهد القديم: يتكرر ذكر "روح الله"، أو "روح الرب" كثيراً في جميع أجزاء العهد القديم، ولكنه لا يذكر التعبير الهام في تاريخ الكنيسة أن الروح القدس أحد الأقانيم الثلاثة! فليس فيه ما يشير إلى الروح القدس كأقنوم متميز! (١).

الروح في العهد القديم هو: "روح الله"، مما جاء فيه: "وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه العَمْر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه." (٢).

ويعلن العهد القديم بأن روح الله "قدوس": "لا تطرحني من قدام وجهك، وروحك القدوس، لا تترعه مني." (٣)، "ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه، فتحول لهم عدواً، وهو حارهم. ثم ذكر الأيام القديمة، موسى وشعبه: أين الذي أصعدهم من البحر مع راعي غنمه؟ أين الذي جعل في وسطهم روح قدسه" (٤).

ثانياً: العهد الجديد: يعلن بكل جلاء "أن الروح القدس أقنوم في اللاهوت، وهو واحد مع الآب والابن، وإن كان متميزاً عنهما، وكان له دور في الخليقة، وفي حفظها، بخاصة في الخلائق التي فيها نسمة حياة، وله دوره في الفداء، فهو الذي أوحى للأنبياء عن مجيء المخلص. . . . وجعل من المؤمنين كنيسة واحدة جامعة، وهو الذي يمنحها القوة لتشهد للمسيح، وهو الذي يرشدها إلى كل الحق، وهو الذي يجدد قلب الإنسان الذي يؤمن بالمسيح، ويسكن فيه جاعلاً منه هيكلًا له، ومطهرًا إياه، وهو الذي يعينه في صراعه ضد الجسد، والعالم والشيطان، كما يعينه في العبادة والصلاة.

(١) انظر: دائرة المعارف الكتابية (٤/١٤٣، ١٤٧).

(٢) (تك ١: ٢).

(٣) (مز ٥١: ١١).

(٤) (إش ٦٣: ١٠-١١).

وبقوته التي أقام بها يسوع من الأموات سيقم القديسين الراقدين في الوقت المعين عند مجيء المسيح^(١)، "وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائة أيضاً بروحه الساكن فيكم"^(٢).

ويرى النصارى أن الروح القدس هو الأَقنوم الثالث في الذات الإلهية، فهو في نظرهم أقنوم قائم بذاته، وإله مستقل بذاته، بمعنى أنهم يقولون عنه (الله الروح القدس)، كما يقولون عن الأَقنومين الآخرين (الله الآب)، (الله الابن)^(٣).

يقول القس جيمس أنس: "كل قارئ للكتاب المقدس يرى بوضوح أن الروح القدس شخص ذو صفات إلهية، ويقوم بأعمال لا يقوم بها إلا الله، وقد وهب بركات عظيمة لكل المؤمنين الذين عرفوه وسلموا نفوسهم له باعتباره الأَقنوم الثالث في اللاهوت، ويُنسب إليه ك شخص: العقل، والمعرفة ومشاعر الحبة والحزن، ويقف منه الناس المواقف التي يقفونها من الأشخاص، فيشورون، ويكذبون، ويجدّفون عليه، ويزدرون به، ويُحزنونه، فليس الروح القدس تأثيراً ولا انفعالاً ولا مجرد قوة، بل هو شخص الله ذاته، إنه روح الله، وأحد الأَقنوم الثلاثة"^(٤) لأن "الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد"^(٥).

يقول يس منصور: "الروح القدس هو الأَقنوم الثالث في اللاهوت، وهو ليس مجرد تأثير أو صفة أو قوة، بل هو ذات حقيقي وشخص حي، وأقنوم متميز ولكنه غير منفصل، وهو وحدة أقنومية غير أقنوم الآب، وغير أقنوم الابن، وهو نظير الآب والابن، و مساوٍ لهما في السلطان والمقام، ومشارك وإياهما في جوهر واحد لاهوت واحد، وهذا سر عظيم أعلنه الكتاب المقدس، ويقبله العقل، وإن يكن فوق العقل"^(٦).

(١) دائرة المعارف الكتابية: (٤/٤٨٨).

(٢) (روا: ٨: ١١)

(٣) انظر: قانون الإيمان: (ص ٨٤)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتاخي سمس الصغير": (ص ١١٢).

(٤) اللاهوت النظامي: (ص ١٩٠).

(٥) (١ يو ٥: ٧).

(٦) رسالة التثليث والتوحيد: يس منصور، مطبعة الإسكندرية، الطبعة الثانية: (ص ٢٦٠).

ويقول زكي شنودة: "الروح القدس هو الأقنوم الثالث من اللاهوت الأقدس، وهو مساوٍ للآب والابن في الذات والجوهر والطبع، وكل فضل اللاهوت، وهو روح الله، وحياة الكون، ومصدر الحكمة والبركة، ومنبع النظام والقوة، ولذلك فهو يستحق العبادة الإلهية والمحبة والإكرام والثقة مع الآب والابن" (١).

وعن السبب في إطلاق اسم الروح القدس على هذا الأقنوم جاء في شرح أصول

الإيمان:

"س: لماذا يقال عنه الروح القدس؟"

ج: يقال عن الأقنوم الثالث (الروح القدس) ليس لكونه يمتاز بقداسته عن الأقنومين الأول والثاني، بل إشارة إلى نوع فعله، لأنه هو مصدر القداسة في كل الخليقة، فكما أن الابن يسمى (الكلمة) لكونه الإله المتكلم كذلك الروح تسمى (الروح القدس) لكونه الفاعل في القداسة" (٢).

يقول القس جيمس أنس: "لما كانت تسمية أقانيم الثالوث الأقدس من الأسرار الإلهية فيجب أن يكون كلامنا فيها مبنياً على الكتاب المقدس، ومنه نرى أنه سُمي (الروح) ليس لأن بينه وبين الأقنومين الآخرين تمييزاً في روحانية الجوهر، لأنهم متساوون في ذلك، بل إشارة إلى عمله غير المنظور وهو إنارة أرواحنا وإرشادها وتجديدها وتقديسها، ولذلك سُمي أيضاً (روح القداسة) و(روح الحق) و(روح الحكمة) و(روح السلام) و(روح المحبة)؛ لأنه ينشئ كل ذلك فينا وكلمة (القدس) تميزه عن جميع الأرواح المخلوقة التي هي دونه في القداسة بما لا يقاس" (٣).

(١) تاريخ الأقباط: (١/٢٤٠).

(٢) شرح أصول الإيمان: (ص ٥٧).

(٣) اللاهوت النظامي: (ص ١٩٠).

المبحث الثالث: تاريخ إضافة لفظ "والابن" إلى قانون الإيمان.

أضاف الكاثوليك في تلاوة قانون الإيمان عبارة (Filioque) وهي باللاتينية وتعني (الابن)، ويعدون هذه الاضافة إضافة حسنة، حيث إنها تفسر حقيقة من حقائق الإيمان المسيحي.

يقول البطريرك^(١) مكسيموس مظلوم: "يجب على كل المسيحيين أن يعتقدوا ويقبلوا حق إيماننا هذا، وهكذا يعترفون جميعاً بأن الروح القدس هو من الآب والابن منذ الأزل، ويتخذ جوهره ووجوده من الآب والابن معاً، من اثنيهما انبثاقاً أزلياً كمن مبدأً واحد ونفخة واحدة، ثم نوضح أن أقوال الآباء القديسين عن الروح القدس: إنه ينبثق من الآب والابن. معناه هو هذا: أي أن الابن أيضاً هو علة أقتوم الروح القدس كما تقول الروم، أو مبدأه كما يقول اللاتينيون نظير ما أن الآب هو علته ومبدأه؛ ولأن كل ما للآب منحه لابنه الوحيد عند إيلاده ما عدا كونه أباً، فهكذا هو اتخذ من الآب أزلياً أن يبتثق الروح القدس، وما عدا هذا نحكم أيضاً بأن زيادة لفظة (والابن) في قانون الإيمان قد كانت زيادة حسنة، وقد وضعت بغاية الصواب من حيث إنها تفسر حقيقة من حقائق الإيمان، ولأجل أن الضرورة كانت حينئذٍ تقتضي هذه"^(٢).

وقد أضيفت هذه اللفظة في إسبانيا سنة (٤٠٠م) في مجمع طليطلة الأول لإثبات الانبثاق المزدوج للروح القدس دحضاً لتعاليم شيعة تدعى (بريسيليانيسيت)، ومما جاء فيه: "نؤمن بالإله الواحد الحقيقي، الآب والابن والروح القدس، خالق ما يُرى وما لا يُرى، الذي به كان كل شيء في السماء وعلى الأرض، هذا هو الإله الوحيد، وهذا هو الثالوث الوحيد ذو الاسم الإلهي (الجوهر الإلهي) ولكن الآب ليس هو الابن نفسه، ولكن له ابن ليس هو الآب، الابن ليس هو الآب، ولكنه ابن الله من ذات طبيعة الآب، والروح هو

(١) البطريرك: هو أب الكنيسة كلها، يرأس المجمع المقدس، ويشترك مع الأساقفة في سيامة المطارنة والأساقفة وعمل الميرون. قاموس المصطلحات الكنسية، تادرس ملطي: (ص١٣).

(٢) إعلام مسمى صدق حقيقة الانبثاق، ودحض المصير على الانشقاق: السيد مكسيموس مظلوم البطريرك الأنطاكي، طبع في دير الرهبان الفرنسيسكانيين في مدينة أورشليم سنة ١٨٤٨م: (ص٩-١٠).

المعزي الذي ليس هو الآب نفسه ولا الابن، ولكنه ينبثق من الآب والابن، فالآب إذاً غير مولود، والابن مولود والمعزي غير مولود، ولكنه ينبثق من الآب والابن"^(١).

وفي سنة (٥٨٩م) طلب مجمع طليطلة الثالث من القوط المنتصرين أن يوقعوا أسماءهم على الدستور مع وجود الزيادة فيه.

وفي مجمع طليطلة الرابع سنة: (٦٣٨م) صار ذلك النص بزيادة "والابن" هو النص المقبول، ومما جاء فيه: "إننا نعتزف على حسب الأسفار الإلهية والعقيدة التي تقبلناها من الآباء القديسين، أن الآب والابن، والروح القدس لهم لاهوت وجوهر واحد، وفي إيماننا بالثالوث المتعدد الأقانيم وكلامنا على الوحدة في اللاهوت لا نجعل بين الأقانيم اختلاطاً ولا في الجوهر انفصلاً، نقول: إن الله لم يصنعه ولم يلد له أحد، ونقول: إن الابن لم يصنعه الآب ولكنه ولده، ونعتزف بأن الروح القدس لم يُصنع ولم يولد ولكنه ينبثق من الآب والابن".

وُثلي ذلك النص مع الزيادة في مجمع طليطلة الثامن سنة (٦٥٣م) ثم في مجمع طليطلة الثاني عشر سنة (٦٨١م).

وفي سنة (٨٠٩م) أمر الإمبراطور شارلمان بإضافة تلك اللفظة إلى قانون الإيمان، فعارض البابا لاون الثالث زيادة كلمة (والابن) وحجته أن المجامع المسكونية منعت إدخال أي زيادة على ما وضعته في الدستور، ولذلك أمر بنقش دستور الإيمان باللغتين اللاتينية واليونانية بدون الزيادة على صفيحتين من الفضة، علقهما على منبر الاعتراف في كنيسة القديس بطرس في رومة حيث لا تزالان محفوظتين حتى الآن.

ولم يُسمح باستعمال الدستور مع الزيادة في القُداس في رومة حتى سنة (١٠١٤م) ففي تلك السنة اقتنع البابا بندكتوس الثامن بإدخال الزيادة استجابة لإلحاح الإمبراطور هنري الثاني.

(١) مجموع الشرع الكنسي: (ص ٢٥٠)، وانظر: الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/١٦٧)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٦٠).

يقول الأسقف بيرسون في تفسير المادة الثامنة من دستور الإيمان: "والآن على الرغم من أن زيادة كلمة (والابن) على الدستور الأصلي كان بدون موافقة الكنيسة الشرقية وعلى الرغم من احتجاجاتها بأن الزيادة لا تجوز شرعاً، ففي الزيادة مع ذلك بعض الحقيقة، ويمكن أن يستعملها الذين أضافوها، ويعتقدون بصوابها ما داموا لا يدعون بأنها من وضع ذلك الجمع، بل يصرحون أنها زيادة للإيضاح، كما أنه لا يجوز الحكم على أولئك الذين لاحترامهم الفائق للتحديدات الجمعية لا يسمحون بإدخال أي زيادة عليها، ولا يريدون أن ينطقوا بأية لغة إلا لغة الكتب المقدسة، وبما نطق به آباؤهم، أي معلمو الكنيسة".

وفي سنة (١٠٧٧م) لم يعارض ثيوفيلكتس الغرب في إبقائه دستور إيمانه متضمناً كلمة (والابن) ولكنه حصر اعتراضه في إدخال الكلمة في متن الدستور.

يقول الدكتور بوسي: "بما أن الكلمة التي وجدت طريقها إلى الدستور قبلت في أول الأمر على أنها جزء من الدستور القسطنطيني، وبعد أن صارت في متته مدة مئتي سنة لم تنزع منه فيما بعد خشية من زعزعة إيمان الشعب أو تشويش أفكاره، فلم يكن إذاً من خطأ في قبولها أولاً، وعدم حذفها فيما بعد. . . .

إن الأرثوذكسيين إنما يُصدرون الحكم ضد آباءهم أنفسهم في إعلانهم أن الزيادة بدعة؛ لأنه مما يناقض شرائع ومبادئ الكنيسة أن يكون لنا شركة مع المبتدعين، ومع ذلك فمن عهد فوتيوس في سنة (٨٨٦م) إلى سنة (١٠٠٩م) على الأقل واطب كل من الشرق والغرب على تلاوة دستور الإيمان كل حسب النص الذي عنده بدون أن يحدث بينهما انشقاق"^(١).

(١) انظر: مجموع الشرع الكنسي: (ص٢٤٨-٢٥٤)، الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/١٦٧)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٦٠).

المبحث الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية ومن وافقها في قضية الإيمان بانثاق الروح القدس

يعتقد الكاثوليك ومن وافقهم أن قضية انثاق الروح القدس من الآب والابن معاً منذ الأزل من مبدأ واحد ونفخة واحدة مؤسس على ألفاظ الكتاب المقدس، وشهادة الآباء.

المطلب الأول: البراهين الكتابية:

يستشهد الكاثوليك على صحة ما ذهبوا إليه بالنصوص التالية:

١. بعد أن قال يسوع لرسله القديسين: "أنا هو الطريق والحق والحياة، لا يمضي أحد إلى الآب إلا بي، فلو كنتم تعرفونني لعرفتم أبي أيضاً، منذ الآن تعرفونه، وقد رأيتموه"^(١).
- أردف كلامه بقوله لهم: "وأنا أطلب من الآب أن يعطيكم بارقليطاً"^(٢) آخر يثبت معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يطيق العالم أن يقبله"^(٣).
- فالبارقليط إذاً هو روح الحق، فهو إذاً روح الابن الذي هو الحق، ثم قال: "وإذا جاء البارقليط الروح القدس الذي يرسله الآب باسمي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم ما قلته لكم"^(٤).

(١) (يو ١٤ : ٦-٧).

(٢) في الترجمة العربية لإنجيل يوحنا لم يذكر المترجم "البارقليط" بهذا اللفظ المعربة حروفه، وهذا بحسب ما يذكر الأب متى المسكين نقص معيب وتصرف من المترجم، حيث ترجم معناها من اليونانية إلى معناها بالعربية وجعلها اسم صفة (المعزي). ويعتبر إنجيل يوحنا في اللغة اليونانية الأصلية هو الإنجيل الوحيد الذي أعطى للروح القدس لغواً من جهة النحو صفته الشخصية، إذ نقله من دائرة المجرّدات كقوة إلى ذات مشخّصة، فمهد بهذا اللقب لمفهوم الثالوث. انظر: المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا، دراسة وتحليل: الأب متى المسكين: (ص ٢٤٧). يقول موريس بوكاي ما نصه: "ذلك يقودنا بمنتهى المنطق إلى أن نرى في الـ "paraclet" عند يوحنا كائناً بشرياً مثل المسيح يتمتع بحاسي السمع والكلام، وهما الحاستان اللتان يتضمّنهما نص يوحنا بشكل قاطع. إذاً فالمسيح يصرح بأن الله سيرسل فيما بعد كائناً بشرياً على هذه الأرض ليؤدي الدور الذي عرفه يوحنا، وهو دور نبي يسمع صوت الله، ويكرر على مسامع البشر رسالته-محمد ﷺ- وذلك هو التفسير المنطقي لنص يوحنا إذاً أعطينا الكلمات معناها الفعلي" دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: دانة للطباعة والنشر دمشق، بيروت، ١٩٩١، الطبعة الأولى: (ص ١٢٨-١٢٩).

(٣) (يو ١٤ : ١٦).

(٤) (يو ١٤ : ٢٦).

فما هو إرسال البارقليط باسم الابن إلا انبثاقه منه كانبثاقه من الآب، ثم أتبع كلامه قائلاً بعد ذلك: "وإذا جاء البارقليط الذي أنا أرسله إليكم من الآب هو يشهد لي"^(١).

"لأنني إن لم أذهب لا يأتيكم البارقليط، وإذا انطلقت أرسلته إليكم"^(٢)، فترى أيمن أن يُفهم الإرسال المذكور بطريقة الأمر؟ حاشا؛ لأن الأقانيم الإلهية الثلاثة متساوون بالجواهر والعزة والكرامة، وليس فيهم أصغر وأكبر وأمر ومأمور، بل يُفهم بالإرسال الصدور لا غير؛ لأنه كما أن إرسال الآب الابن ليس هو إلا صدور الابن من الآب بالولادة، هكذا إرسال الابن الروح القدس ليس هو إلا صدور الروح القدس من الابن بالانبثاق.

٢. كما قال عن البارقليط: "وهو يمجدني لأنه مما لي يأخذ، ويخبركم جميع ما للآب فهو لي، من أجل هذا قلت لكم أن مما لي يأخذ ويخبركم"^(٣).

فهذه العبارة كما يقرر البطريرك مكسيموس لا يوجد أوضح منها حيث تبين انبثاق الروح القدس من الابن أيضاً، إذ أن الروح القدس يأخذ مما للابن الذي هو جميع ما للآب تماماً.

٣. ما ورد في رسالة بولس إلى أهل غلاطية: "فإذا أنتم بنون أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم"^(٤). كما أنه كتب إلى أهل رومية: "وأما أنتم فلستم في البشارة، بل في الروح، إن كان روح الله يثبت فيكم، وإن أحد ليس له روح المسيح، فهذا ليس هو للمسيح"^(٥)، "والروح يشهد لأن الروح هو الحق"^(٦).

(١) (يو ١٥ : ٢٦)

(٢) (يو ١٦ : ٧)

(٣) (يو ١٦ : ١٤-١٥)

(٤) (غلا ٤ : ٦).

(٥) (رو ٨ : ٩).

(٦) (١ يو ٥ : ٦).

يقول البطريرك الأنطاكي مكسيموس: "فبعد إن ألقاظاً هكذا مدونة في الكتاب الإلهي، أيمن أن مع ذلك يستطيع أحد المسيحيين أن يقول عن الروح القدس: إنه لا ينبثق من الابن كانبثاقه من الآب، أو ليس هو روح الابن؟ ولا يُعدّ ضالاً في الإيمان الذي حقائقه لا تتجزأ، بل من ينكر واحدة فقط منها بعناد صوري فيحسب أراثيكياً، ولو آمن هو بكل حقائقه الأخرى.

ثانياً: إنه مبدأ مسلم به من كل آباء الكنيسة وعلمائها واللاهوتيين أجمعين "أن كل قضية نراها محفوظة في كل آنٍ وأينٍ بين المؤمنين، ولا تكون مرسومة في مجمع مسكوني أو يُعرف لها بداية زمن متأخر عن الرسل فهي تكون من التقليد الرسولي، والحال أن الاعتقاد بأن الروح القدس من الآب والابن، ما عدا كونه واضحاً في الكتاب المقدس بالنصوص الموردة آنفاً فهو عند المؤمنين لا سيما الكاثوليكين أبناء الكنيسة الجامعة بمعتقد عام في كل آنٍ وأينٍ، ولم يرسم كتعليم جديد في مجمع ما مسكوني، ولا يعرف لهذا الاعتقاد بداية متأخرة عن زمن الحواريين.

فهو إذاً موطد بعد الكتاب الإلهي من التقليد الرسولي أيضاً، ولذلك فإن عدداً وافراً من الآباء القديسين شرقاً وغرباً قد أوردوه في مؤلفاتهم كقاعدة من قواعد الإيمان"^(١).

(١) إعلام مسمى صدق حقيقة الانبثاق ودحض المصّر على الانشقاق: (ص ١٥).

المطلب الثاني: شهادة الآباء^(١):

يستدل البطريرك الأنطاكي مكسيموس مظلوم على صحة معتقد الكاثوليك بالانبثاق المزدوج للروح القدس بأقوال الآباء الشرقيين عملاً بقول القائل: "من فمك أدينك" فيقول: "أما نظراً إلى أقوال الآباء القديسين المؤكدة لهذه الحقيقة الدينية شرقاً وغرباً فهي وافرة العدد جداً، ولكن نحن نكتفي بأن نورد ههنا جانباً مما كتبه القديسون الشرقيون":

1) القديس أناسيوس الكبير:

قال في رسالته إلى سراييون: "من حيث إن الروح القدس له الرتبة والطبيعة نظراً إلى الابن التي للابن نظراً إلى الآب. فكيف يمكن أن الذي يُسمى الروح القدس خليقة لا يعتقد هذا المعتقد نفسه بالضرورة عن الابن".

وقال في مقالته الثانية ضد الآريوسيين: إن السيد المعطي الروح القدس يقول: "إن كنت أنا أخرج الشياطين بروح الله. . . فهذا الكلام قاله لليهود كإنسان، وإذا أوضح لتلاميذه لاهوته وعظمته، قد صرح لهم أنه ليس بأقل من الروح القدس بل هو أعظم منه (نظراً للعلة) ومساوياً له، وكان يعطيهم الروح قائلاً: خذوا الروح القدس، وأيضاً: أنا أرسله إليكم، وأيضاً: هو يمجدني وما يسمعه يتكلم به".

وكتب في مقالته الرابعة ضد الآريوسيين قائلاً: "إن المسيح يمنح الروح، لأن كل ما هو للروح القدس فقد اتخذ من الكلمة، فلا تأخذ ثلاثة شمس بل شمساً واحدة وشعاعها والنور المنبثق من كليهما".

وقال في عظته على تجسد الكلمة: لهذا كان داود يرتل قائلاً: "لأن ينبوع الحياة عندك، وبنورك نعاين النور"، وذلك لأنه قد عرف أن الابن عند الآب هو ينبوع الروح القدس.

ودوّن في صورة الإيمان المؤلفة منه هكذا: "إن الروح القدس هو من الآب والابن لا مصنوع ولا مخلوق ولا مولود بل منبثق".

(١) إعلام مسمى صدق حقيقة الانبثاق ودحض المصّر على الانشقاق: (ص ١٦-٢٥).

2) القديس باسيليوس الكبير^(١):

قال القديس باسيليوس الكبير في الليتورجيا^(٢) المعنونة باسمه في الأفشين الذي قبل أفشين التقديس هكذا:

"يا أبا الإله العظيم مخلصنا وربنا ورجاءنا يسوع المسيح الذي منه صدر الروح الحق".
وكتب في مقالته عن الروح القدس: "إننا لا نقول آيين ولا ابنين، لأن الروح القدس ليس هو ابناً ولا يدعى ابناً، لأننا لم نقبل من الروح القدس شيئاً مثل ما قبل الروح القدس من الابن".

وقال في الرأس الرابع عشر من كتابه عن الروح القدس: "إن اسم الآب، والابن والروح القدس قد وضعوا معاً، ولأجل ذلك كما أن الابن يُنسب إلى الآب: هكذا الروح القدس ينسب إلى الابن، حسب نظام كلمة الله المسلمة لنا في المعمودية، والحال أن الابن لا ينسب إلى الآب إلا نسبة العلة بإتلاده منه، فإذا لم تكن نسبة الروح القدس إلى الابن إلا نسبة العلة بانثاقه منه".

3) القديس غريغوريوس الثيولوجوس^(٣):

قال في مقالته الخامسة عن اللاهوت معترضاً هكذا: "فماذا ينقص الروح القدس عن أن يكون ابناً، لأنه إن كان لا ينقصه شيء فهو إذاً ابن"، ثم يجب هو نفسه على ذلك قائلاً: "إننا نعرف بأنه لا ينقصه شيء؛ لأنه ليس إلهاً غير كامل، بل إن اختلاف الصدور والإضافة

(١) باسيليوس الكبير: (٣٢٩-٣٧٩) ولد في قيصرية "في قلب تركيا" من أبوين مسيحيين، تم ترسيمه أسقفاً لقيصرية سنة (٣٦٤م)، عمل على توحيد الكنيسة، يعد باسيليوس رجل فكر وعمل وإدارة، له العديد من العظات التفسيرية وبحثن لاهوتيان ومن مواظبه: كتاب الأيام الستة، انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص ٤٩٥-٥١٢).
(٢) الليتورجيا: الصلاة الكنسية الجماعية. قاموس المصطلحات الكنسية: (ص ٤٦).

(٣) غريغوريوس التريتي "الناطق بالإلهيات أو الثيولوجوس" اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ مولده، ولد في مدينة صغيرة تقع في الجنوب الغربي من كبادوكية وتدعى: نزيتره، انتخب أسقفاً لنزينزة عام (٣٢٥م)، شكلت عقيدة الثالوث لديه هاجساً لا يفارقه، فدافع عنها بلا ملل. يعده أنصاره رائداً في اللاهوت الأرثوذكسي، وهليلي جمع في صدره الحضارتين الإغريقية والمسيحية، كان من ألمع من كتب باليونانية شعراً في عصره. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص ٥١٣-٥٢٨).

يصير تسميتهم مختلفة، أي أن صدور الابن من الآب، وإضافته إليه بالبنوة، وصدور الروح القدس من الابن وإضافته إليه بالانبثاق تصيران ذاك وحده يُدعى ابناً، وهذا وحده يُسمى روحاً قدوساً، وهكذا تختلف التسمية.

وقال في مقالته التي تلاها أمام آباء المجمع المسكوني الثاني القسطنطيني الأول: "إن المتره عن المبدأ، والمبدأ، وذاك الذي هو مع المبدأ، هم إله واحد، أما الاسم المتره عن المبدأ فينسب للآب، والمبدأ هو الابن، والذي مع المبدأ هو الروح القدس، فإذا الابن هو مبدأ الروح القدس بنتيجة كلية الوضوح".

4) القديس كيرلوس الإسكندري:

قال في كتابه عن الإيمان المستقيم: "إن إيهاب الحياة يجب أن ينسب لا لطبيعة الجسد بل لطبيعة القوة العليا، وللطبيعة الفائقة على كل المخلوقات كأنها من أقنوم الله الآب، الذي منه صدر الابن مساوياً له في كل الأشياء، وأما الروح المحيي فهو ينبثق من كليهما".

وقال في كتابه المدعو الكتر: "إن الروح القدس كما أنه هو روح الآب، هكذا هو روح الابن".

وقال في كتابه الرابع ضد نسطوريوس: "كما أن الروح القدس يخرج من الآب وهو له بحسب الطبيعة، فهذا النوع نفسه على حد سواء يخرج بالابن إذ أنه هو له طبيعياً".

5) القديس أيفانيوس^(١):

قال في كتابه المرسى: "إن الروح القدس هو روح الآب والابن. وهو من الآب والابن"، وقال في دحضه الهرطقة السادسة والستين ضد سابليوس: "إن الروح القدس هو دائماً مع الآب والابن وليس كأخ للآب ولا مولوداً ولا مخلوقاً ولا كأخ للابن، بل منبثق وليس هو غريباً من الآب والابن، بل هو من الجوهر نفسه ومن ذات اللاهوت أي من الآب والابن".

(١) القديس أيفانيوس: ولد سنة (٣١٥م) في فلسطين من والدين يهوديين، عين أسقفاً بقبرص سنة (٣٦٧م)، اتسم بغيرته الشديدة وحزمه الشديد بخصوص الإيمان المسيحي المستقيم، مع حبه الفائق للفقراء، كان مقاوماً للتفسير الحرفي للكتاب المقدس، ومعارضاً للأيقونات من أهم كتبه: الإنسان ذو المرساة الثابتة، ضد الهرطقات، الأوزان والمقاييس انظر: سير القديسين والشهداء في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: نسخة إلكترونية.

كما قال: "إنه ربما يقول أحد: إذا نحن نقول إنه يوجد ابنان، فكيف إذا الكلمة هو الابن الوحيد؟! "

فأجيب عن ذلك: من هو أنت يا هذا حتى أنك تتكلم ضد الله، لأنه سمي ابناً ذاك الذي هو منه، وروحاً قدوساً ذاك الذي من كليهما؟ فاسمع يا هذا! إن الآب هو آب لابن حقيقي وكله نور، والابن هو ابن لآبٍ حقيقي نور من نور، والروح القدس روح الحق هو نور ثالث من الآب والابن. "

6) القديس يوحنا الدمشقي^(١):

قال في كتابه الأول عن الإيمان المستقيم في الرأس ١٨: "إن الابن هو تمثال الآب والروح القدس هو تمثال الابن، فإذاً كما أن الابن هو تمثال الآب لعله صدوره منه بالولادة، هكذا الروح القدس هو تمثال الابن لعله صدوره منه بالانبثاق".

يقول الأب يوسف رمزي بعد سياقه للأدلة التي يبرهن بها على صحة معتقد الكاثوليك "وبعد أمام هذه الأدلة الصريحة الواضحة ألا نسجد شكراً لله لأنه حفظ كنيستنا في الإيمان السليم لعقيدة انبثاق الروح القدس من الآب والابن كما وضحت من النصوص الكتابية وتعاليم آبائنا القديسين؟ نعم لربنا المجد والتقديس والإكرام والخلاص لنفوسنا آمين"^(٢).

ولا يوجد ردُّ على قوله أبلغ من قول الباري تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا

﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ رَبِّهِمْ

وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿[سورة الكهف ١٠٣ - ١٠٥].

(١) القديس يوحنا الدمشقي: (٦٦٠، ٧٤٩)، ولد في دمشق في إحدى كبريات الأسر المسيحية، شغل والده منصباً رفيعاً في الإدارة الأموية، كان أول من حاول أن يضع عرضاً مجمللاً للعقيدة المسيحية، ووجه اهتمامه إلى شرح الكتاب المقدس والحياة النسكية، كان خطيباً لبقاً، وعُني بالشعر والموسيقى الكنسيين، كان متأثراً بصورة كبيرة بيوحنا فم الذهب. من مؤلفاته: ينبوع المعرفة، مبحث في الثالوث الأقدس، بيان الإيمان القويم وشرحه. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص ٦٦١-٦٨٦).

(٢) مقال انبثاق الروح القدس من الآب والابن: الأب يوسف رمزي، موقع سلطنة الجبل بلا دنس، تاريخ المقال: (٢٠١٠/٧/١١م).

المبحث الخامس: موقف الكنيسة الأرثوذكسية من انبثاق الروح القدس

تجمع الكنائس الأرثوذكسية سواء الخلقيدونية منها أو غير الخلقيدونية على انبثاق روح القدس من الآب وحده^(١).

المطلب الأول: انبثاق الروح القدس من الآب وحده عند الأرثوذكس.

جاء في دستور الإيمان الأرثوذكسي المؤلف من اثني عشر بنداً: "نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يُرى وما لا يُرى، وبرز واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق. . . ، وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجّد، الناطق بالأنبياء".

وترى الكنيسة الأرثوذكسية أن في تعليم الكنيسة الكاثوليكية ومن وافقها تحريفاً لدستور الإيمان المنقوش باللاتينية واليونانية بدون زيادة لفظ "والابن" بل إن هذه الإضافة على قانون الإيمان تُعد هادمة لخواص الأقانيم الإلهية وسر الثالوث كله، جاء في دستور الإيمان الأرثوذكسي ما نصه:

"س: لماذا قلت: المنبثق من الآب فقط، بينما اللاتين والبروتستانت يقولون: المنبثق من الآب والابن؟

ج: إن قولهم هذا في الروح القدس تحريف لدستور الإيمان الأرثوذكسي الشريف المنقوش باليونانية واللاتينية على ألواح فضية بأمر البابا الأول لاون الثالث في الجيل التاسع في الفاتيكان سنة (٨١٠م) بدون زيادة لفظ (والابن) بل قولهم هذا هو هادم خواص الأقانيم الإلهية وسر الثالوث كله، لأن الانبثاق فعل باطني في اللاهوت يختص بالآب وحده، ولا يمكن أن يُنسب هذا الانبثاق للابن لثلاثاً يكون الابن ابناً وآباً في آن واحد، ويصير الروح القدس شريكهما في كل شيء باثقاً نفسه أو باثقاً روحاً غيره، فيصير عندنا ثلاثة آباء فيتبلبل نظام الثالوث الأقدس، لاسيما وأن يسوع نفسه قال لتلاميذه: "سأرسل لكم روح الحق الذي من

(١) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٦٤)، انبثاق الروح القدس في فكر الآباء الأولين: القمص تادرس

ملطي: (ص٥)، الفروق العقيدية: (ص١٤).

الآب ينبثق" (١) فخصص انبثاق الروح القدس من الآب بتقديمه كلمة "من الآب" على "ينبثق" لسابق علمه بأن الكنيستين البابوية والبروتستانتية ستخالفان قوله وترعمان باطلاً أن الروح القدس منبثق من الآب والابن معاً لا من الآب فقط، وتقعان في الضلال الميين" (٢).

يقول القمص عبد المسيح ثاوفيلس في شرح قانون الإيمان:

"هكذا عبّر عنه رب المجد: "ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق" (٣)، وهكذا سجل مجمع القسطنطينية المنعقد سنة (٣٨١م) في قانون الإيمان، لكن البابا بنديكتوس الثامن بابا روما عام (١٠١٤م) زاد لفظة "والابن" على هذه العبارة وجعلها المنبثق من الآب والابن، مُبرراً عملاًه بالقول: حيث إن الآب والابن واحد في الجوهر؛ فالمنبثق من الآب منبثق من الابن. . . ، على أنه لا يحق لنا أن نزيد على ما عبر به الرب يسوع.

وورد في قانون الإيمان: "واعتقادنا المستقيم في الثالث القدوس أن الآب والد للابن باثق للروح القدس، وأن الابن مولود من الآب أزلاً، ومن الروح القدس ومن مريم العذراء زنياً للتجسد، وأن الروح القدس منبثق من الآب أزلاً، ومُرسَل منه ومن الابن زنياً "يوم الخمسين" (٤) ليقيم للابن ملكوتاً، ويؤيد الرسل وخدام الله المؤمنين بالقوة والموهب المختلفة؛ لتدعيم صرح هذا الملكوت. . .

(١) (يو ١٥: ٢٦).

(٢) دستور الإيمان الأرثوذكسي المسمى "الطريق القويم في التعليم المسيحي المستقيم" توفيق الحداد، كنيسة النبي إلياس الغيور للروم الأرثوذكس في مدينة قطنا، سوريا: (ص ٦-٧).

(٣) (يو ١٥: ٢٦).

(٤) يوم الخمسين: ويسمى بعيد العنصرة، وهو عيد حلول الروح القدس، وسُمي بعيد الخمسين؛ لأنه يأتي بعد القيامة بخمسين يوماً، أما كلمة "عنصرة" فهي كلمة عبرية معناها "اجتماع"، وفيها أيضاً معنى الامتناع؛ لأنهم كانوا يمتنعون عن العمل في هذا اليوم، ويعتقد النصارى بأن الروح القدس استعلن في يوم الخمسين في مظهرين مظهر ريح عاصف ومظهر ألسنة كأنها نار "ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع بنفس واحدة، وصار بغتة من السماء صوت كما هبوب ريح عاصف وملاً كل البيت حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها نار، واستقرت على كل واحد منهم فامتألوا جميعاً من الروح القدس وأخذوا يتكلمون بلغة غير لغتهم على ما منحهم الروح القدس أن ينطقوا".
انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٣/٣٧٠)، الروح القدس الرب الحيي: الأب متى المسكين، مطبعة دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، الطبعة الأولى: (ص ١٤٣)، تأملات في عيد حلول الروح القدس: نيافة الأب يوانس، الطبعة الأولى: (ص ١٠)، أديان العالم: حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة: (ص ٢٤٢).

ولا يعني انبثاق الروح القدس من الآب انفصاله عنه فالأقانيم الإلهية مع تميزها تتسم بوحداية الجوهر، إنما يعني ظهور أثره واضحاً فيما أفاضه على مخلوقاته من الحيوية وعلى المؤمنين من النعم والبركات. . . ، تماماً كما تصدر الفكرة من العقل وتبقى فيه في نفس الوقت" (١).

المطلب الثاني: علاقة الروح القدس بالآب والابن عند الأرثوذكس.

"ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي" (٢)، وأيضاً: "إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت، أرسله إليكم" (٣).

يرى علماء اللاهوت الأرثوذكسي أن هناك فرقاً لاهوتياً كبيراً بين لفظ "الانبثاق" و"الإرسال".

يقول البابا شنودة الثالث: "من المهم أن نعرف أن هناك فرقاً لاهوتياً كبيراً بين الإرسال والانبثاق، فالإرسال في حدود الزمن، أما الانبثاق فهو منذ الأزل" (٤).

وكمثال نقول: كما أنه قيل عن تجسد "الابن" "ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس" (٥) ليفتدي الذين تحت الناموس" (٦).

وعلى الرغم من إرسال الابن إلى العالم في ملء الزمان، إلا أن الابن كان مولوداً من الآب منذ الأزل بل إن "كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان" (٧)، فولادته

(١) شرح وتفسير قانون الإيمان: المتنيح عبد المسيح ثاوفيلس النخيلي، تقديم ومراجعة نيافة الحبر الأنبا بيشوي ونيافة الحبر الأنبا موسى، مطبعة دير الشهيد مارمينا العجائبي. بمريوط: (ص ٧٦).

(٢) (يو ١٥ : ٢٦).

(٣) (يو ١٦ : ٧).

(٤) قانون الإيمان: (ص ٩١-٩٢).

(٥) الناموس: أصلها كلمة يونانية بمعنى شريعة أو قانون، وتستخدم للتعبير عن وصايا الله. قاموس المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية.

(٦) (غلا ٤ : ٤-٥).

(٧) (يو ١ : ٣).

الأزلية شيء، وإرساله في ملء الزمان شيء آخر. . . ، هكذا الأمر مع الروح القدس: انبثاقه الأزلي شيء وإرساله على التلاميذ في يوم الخمسين شيء آخر" (١).

كما يقول الأب متى المسكين: "قول المسيح أرسله أنا إليكم من الآب" (٢) أجبرنا أن نتبع المعنى اللاهوتي في كلمتي "الانبثاق" و"الإرسال"، فلو تعمقنا في معنى الانبثاق نفهمه أنه دوام الانبعاث، كانبعاث النور من مصدره، أو كانبعاث الروح من مصدر الحياة، حتى أن كلمة "انبعاث" في الأصل العبري تحمل تماماً معنى الانبثاق، وقد رجعنا إلى القديس باسيليوس في إحدى رسائله عن الروح القدس، فوجدناه يتكلم عن الانبثاق هكذا:

"الروح القدس الذي من نبعه تستمد كل الخليقة صلاحها هو متصل بالابن ولا يُدرك إلا متصلاً به، أما كيانه فيأخذه من الآب الذي ينبثق منه. . . .

الابن هو الذي يعلن الروح القدس، الروح القدس ينبثق من الآب في الابن. . . .

الروح القدس يُستعلن في الابن وبه".

وقول القديس باسيليوس يثير عقلنا جداً، وخصوصاً في جعل الانبثاق شديد الوضوح أنه من الآب فقط، ولا يمكن أن يكون من الآب والابن معاً، إذ جعل الانبثاق فعلاً غائباً "أي له غاية" وغايته تنصب في الابن: ينبثق من الآب في الابن" إذاً لا يمكن أن يكون منبثقاً من الآب والابن وإلا لزم أن يكون منبثقاً منهما في آخر وإلى آخر ومن يكون هذا الآخر؟!

لا يمكن أن يكون العالم أو الإنسان، لأن هذا معناه: إما أن يكون العالم أو الإنسان قائماً أزلياً كأزلية الانبثاق! وإما أن الانبثاق نفسه المتعلق بالعالم أو الإنسان "غير الأزلي" هو أيضاً غير أزلي، وكلا الوضعين خطأ.

أما إذا قيل: إن الروح القدس ينبثق من الآب والابن إلى لا شيء، فهنا تصاب كلمة "الانبثاق" بعجز كلي يفقدها معناها ومبناها، كأن تقول مثلاً: إن النور ينبثق من المصباح إلى لا شيء، فالنور إن لم يكن له ما يستقبله كيف يُدعى نوراً وكيف يقال إنه ينبثق؟

(١) قانون الإيمان: (ص ٩٢-٩٤)، وانظر: الروح القدس وعمله فينا: (ص ١٦).

(٢) (يو ١٥: ٢٦).

كذلك الروح القدس هو روح، ونور وحق، وحياة، وحب منبثق من الآب ومستقر في الابن، معلن في الابن ومستعلن أيضاً بالابن، وعلى هذا الأساس استطاع المسيح أن يرسله من عند الآب! "(١).

وللتمييز بين إرسال الروح القدس وبين انبثاقه يدعو القمص تادرس ملطي إلى تأمل النصوص الواردة في كتابات يوحنا:

"وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم" (٢).

"وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بما قلته لكم" (٣).

"ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي" (٤).

"وأما الآن فأنا ماضٍ إلى الذي أرسلني. . . ، لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم" (٥).

المطلب الثالث: نتائج عقيدة الانبثاق من الآب والابن.

يرفض الأرثوذكس القول بانبثاق الروح القدس من الآب والابن معاً؛ لأن هذا القول يفضي إلى نتائج باطلة حسب معتقدتهم، يقول القمص ملطي: إن القول بازدواج الانبثاق للروح القدس من الآب والابن معاً يعني الآتي:

(١) الروح القدس الرب المحيي: (١٥١/١-١٥٢).

(٢) (يو ١٤ : ١٦-١٧).

(٣) (يو ١٤ : ٢٦).

(٤) (يو ١٥ : ٢٦).

(٥) (يو ١٦ : ٥-٧).

(١) تشويش الخواص الأقتنومية، فالابن يشارك في أقنوم الآب أو يحل محله.
 (٢) في الثالث القدوس توجد علتان أو أصلان، الأمر الذي لا يتفق مع وحدانية الآب الإلهية.

(٣) الانبثاق من الآب للروح القدس غير تام.
 (٤) يجعل من الابن علة ومعلولاً في ذات الوقت وهذا لغو.
 (٥) يجعل من الآب علة مباشرة وغير مباشرة لانبثاق الروح القدس، الآب علة مباشرة إذ يلد الابن مباشرة، ومن الآب يثبث الروح القدس وهو علة غير مباشرة، لأن الروح القدس ينبثق منه خلال الابن الأمر الذي لم يحدث حتى في حلقة الطبيعة المركبة المتغيرة.
 (٦) إن كان للابن القدرة على أن يكون الأصل "كما للآب" بينما ننكر ذلك للروح القدس إذا فالروح أقل في القوة من الابن، الأمر الذي اعتبر جنون مرقيون".

يقول الأب فوتس: "إن كلمة الآب في هذه الحالة تفقد مغزاها والمعنى المراد منها؛ لأن الخاصية التي تتسم بها هذه الكلمة لا تعود تخص الآب بصفة مطلقة، ويختلط الأقتنومان الإلهيان الواحد والآخر في شخص واحد منفرد، وهذا رأي سابليوس، أو بالحري رأي منحرف آخر شبيه سايل".

ورد في طومس سنة (١٢٨٥م) لإغريغوريوس القبرصي ما يلي:
 "من المعترف به أن البارقليط بنفسه يضيء ويعلن عن ذاته أزلياً بواسطة الابن، وذلك كما يضيء الضوء ويستعلن من الشمس بواسطة الأشعة، ولكن هذا لا يعني أن الروح القدس يأخذ كيانه من الابن أو بواسطة الابن"^(١).

ويناقش غريغوريوس بالاماس قضية انبثاق الروح القدس أساساً من وجهتي نظر:

أ- انبثاقه السببي "العلي" من الآب وحده.

(١) انبثاق الروح القدس في فكر الآباء الأولين: (ص ١١).

ب- انبثاقه الفعال من الآب خلال الابن أو منه.

ويعلق ميندروف على ذلك بقوله: "بهذا المعنى يوضح بالاماس الفقرات الواردة في أقوال الآباء خصوصاً أقوال القديس كيرلس الإسكندري، والتي تؤكد صدور الروح من الاثنين أو من "الابن" أو "بواسطة الابن".

يقول بالاماس: "عندما نفهم أن الروح القدس ينبثق من الاثنين؛ لأنه يصدر جوهرياً من الآب بواسطة الابن يلزم أن تفهم هذا التعليم بهذا المعنى:

إن ما يصدر هو قدرات الله وطاقاته الأساسية وليس أقنوم الروح الإلهي، إن أقنوم الروح الكلي القداسة لا يصدر عن الابن، إنه لا يعطى ولا يسلم لأحد "إنسان" ما يناله المرء هو النعمة والطاقة الإلهية".

ويلاحظ بالاماس "أن الفقرات الواردة في أقوال الآباء الشرقيين والتي تبدو للوهلة الأولى أنها تؤيد العقيدة الكاثوليكية لا تذكر أن الروح ينبثق من أقنوم الابن، بل من طبيعة الابن، أي: "تصدر طبيعياً منه"، فالذي يصدر بالطبيعة هو الطاقة وليس الأقنوم، وليس ثمة شك أن تلك الفقرات الأبائية المتنازع عليها تميل -من سياق الحديث- أن تثبت ألوهية الابن ببرهان سوتيريولوجي Soteriology "خلاصي"، فالله وحده قادر أن يمنح عطية الروح؛ لذلك فالمسيح هو الله، إذ له طبيعة مشتركة مع الآب، علاوة على هذا فإن عبارة: "والابن" كان أول من نادى بها الجامع الإسبانية في القرنين السادس والسابع كبرهان ضد الآريوسيين، وعليه فإن بالاماس يتوصل إلى نتيجة مفادها: "إن انتشار الروح من الآب والابن هو دليل على وحدة الجوهر، فما ينبثق من هذا الجوهر "الواحد" المشترك هو طاقة Energy وليس أقنوماً إلهياً، لأن أقنوم الروح نفسه يشارك فيه "أي في الجوهر الواحد" ولا يتسنى له أن ينبثق من ذاته".

كما يُفرّق بالاماس بين العبارات في العهد الجديد والتي تتحدث عن الروح باستخدام أداة التعريف "ال" وتلك التي تتحدث عنه بدون الأداة، فالأخيرة تدل على مواهب وطاقات روحية وهي بطبيعة الحال تصدر عن الآب والابن بل وعن الروح نفسه، لأن جوهر الله كله

هو علة هذه الطاقات الروحية. . . ، على أية حال فالابن هو القناة الوحيدة لتدفق النعمة المقدسة تجاهنا، لأنه هو وحده الذي تجسد".

وهكذا يُلخص بالاماس رأيه في العبارات التالية: "ينتمي الروح القدس إلى السيد المسيح من حيث الجوهر والطاقة، لأن المسيح هو الله ومع هذا فمن جهة الجوهر والأقنوم ينتمي إليه ولا ينبثق منه، بينما حسب الطاقة ينتمي إليه وينبثق منه"^(١).
تعالى الله عما يصفه به هؤلاء المشركون علواً كبيراً.

المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الأرثوذكسية.

يستدل الأرثوذكس على صحة معتقدتهم في انبثاق الروح القدس من الآب وحده بما يلي:

أولاً: ما جاء في قانون الإيمان الأول.

يستند الأرثوذكس في إثبات صحة معتقدتهم بانبثاق الروح القدس من الآب وحده إلى ما جاء في تعليم الكنيسة الأول بأن الروح القدس منبثق من الآب فقط، كما نص على ذلك الكتاب المقدس: "ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق"^(٢).

وإلى ما جاء في مجمع القسطنطينية الثاني المنعقد برئاسة البابا تيموثاوس البطريرك الإسكندري من حرم من يقول ويُعلم بغير ذلك، ونقش الدستور على لوحين من فضة باليونانية واللاتينية صحيحاً سالملاً بدون الزيادة، وحرّم كل من يعترف بالزيادة، كتب لفوتبوس يدافع عن كنيسته: "إننا نحن فضلاً عن كوننا لا نقول ذلك، يعني: "المنبثق من الآب والابن" نحكم بأن الذين تجاسروا من الأصل أن يعلموه هم مخالفون للوصايا الإلهية ومغيرون للأقوال اللاهوتية أقوال السيد المسيح والرسل وسائر الآباء الذين التأموا مجتمعاً وسلموا الدستور المقدس، ونحسبهم مع يهودا؛ لأنهم ارتكبوا ارتكابه لا بأنهم دفعوا جسد الرب للموت بل بأنهم شقوا وفصلوا المؤمنين أعضاء جسده بعضهم عن بعض، ودفعوهم بذلك للموت الأبدي، أو بالحري خنقوا أنفسهم كما فعل التلميذ الملتوي المذكور".

وقد نص قانون الإيمان الذي وضعه الآباء على ما يلي:

(١) انبثاق الروح القدس في فكر الآباء الأولين: (ص ١٢-١٣).

(٢) (يو ١٥: ٢٦).

"نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب" فلا الكتاب المقدس ولا قانون الإيمان يجوي عقيدة الكاثوليك التي تقول أن الروح القدس "منبثق من الآب والابن"، وهي العبارة التي ترددها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في قانون الإيمان رسمياً ابتداءً من سنة (١٠٥٤ م)، وإضافة عبارة "والابن" هي إضافة مبتدعة، ولم تقبل بها كل الكنائس الأرثوذكسية في العالم الخلقيدونية وغير الخلقيدونية^(١).

ثانياً: البراهين الكتابية.

يرتكز الموقف الأرثوذكسي في هذا الإيمان على ثلاث شهادات كتابية نُسبت للمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(١) "ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي"^(٢).

(٢) "وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم معزياً آخر، ليملك معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله"^(٣).

(٣) "وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم"^(٤).

ثالثاً: شهادة الآباء^(٥)

أ- يستند الأرثوذكس إلى شهادات الآباء المعترف بقداستهم من كل الكنائس والتي تبرهن على أن اعتقاد الكنيسة منذ عصورها الأولى هو أن الروح القدس ينبثق من الآب وحده:

1- القديس أثناسيوس الرسولي، قال: "إن لنا إلهاً واحداً وهو الآب الذي لا بداءة له وهو مبدأ الأشياء كلها لأن منه الكلمة يولد والروح ينبثق".

(١) انظر: تاريخ الكنيسة القبطية: الشماس منسي القمص، مطبعة اليقظة بشارع الفحالة - مصر الطبعة الأولى:

(ص ٤٤٤-٤٤٧)، الحوارات اللاهوتية، نيافة الأنبا بيشوي: (ص ١٠).

(٢) (يو ١٥: ٢٦).

(٣) (يو ١٤: ١٦-١٧).

(٤) (يو ١٤: ٢٦).

(٥) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (١/١٣٤-١٣٥)، تاريخ الكنيسة القبطية: (ص ٤٤٨-٤٤٩)، انبثاق الروح

القدس في فكر الآباء الأولين: (ص ١٩-١).

- 2- **القديس كيرلس الإسكندري**، قال في الحرم التاسع: "إن الروح خاص بالابن"، فسأله ثاوذريتوس عم يعني بذلك؟ فأجابه: "إن الروح القدس ينبثق من الله الآب حسب قول المخلص لكنه ليس غريباً من الابن"، وقد شرح قوله: "ليس غريباً من الابن" بقوله في رسالة إلى نسطور: "إنه ليس غريباً من الابن بحسب الجوهر يعني مساوياً له في الجوهر إلى الأبد".
- 3- **الأسقف الروماني داماسوس**: قال سنة (٣٦٦م) في اعتراف إيمانه الذي كتبه للأسقف باولينوس: "إنه يقبل قبولاً كاملاً اعتقاد المجمع الثاني المسكوني في انبثاق الروح القدس، ويلعن كل من يتجاسر أن يقول: "إن الروح القدس كان بواسطة الابن، والذين لا ينادون بكل حرية أن للروح القدس جوهرًا واحدًا أو سلطة واحدة مع الآب والابن".
- 4- **القديس باسيليوس الكبير**: قال في مقالته المشهورة بالرد على أنوميوس: "كما أن الروح القدس ليس له الولادة بحالة ما هكذا، والابن ليس له الانبثاق، وكما أن الابن ليس هو من الروح القدس هكذا، والروح القدس ليس هو من الابن، وكما أن الابن مولود من الآب وحده هكذا فالروح القدس ينبثق من الآب وحده".
- كما قال: "كما أن الكلمة الخالق شيد السماء، هكذا الروح القدس، الصادر من الله والذي من الآب ينبثق".
- 5- **القديس غريغوريوس نيصص**^(١): قال في ميمرة^(٢) المختص بالإفادة والتفهم عن اللاهوت: "إن الخاصة الانبثاقية هي موجودة في الآب فقط".
- 6- **القديس يوحنا ذهبي الفم** قال: "إن الآب علة واحدة للابن والروح القدس".

(١) غريغوريوس النيصي: (٣٣٥-٣٩٣) ولد في قيصرية "كبادوكية"، مال إلى خدمة الكنيسة وصار شماساً قارئاً، له آثار كثيرة ومتنوعة، ظهر منها رجل ثقافة فلسفية وعلمية واسعة، اصطبغت فلسفته بالصبغة الأفلاطونية. ومن أهم مؤلفاته: "كتاب التعليم الكبير" الذي يعد خلاصة العقيدة المسيحية، وله مؤلفات في تاريخ الخليقة: خلق الإنسان، تفسير الأيام الستة، انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص ٥١٣-٥٤٢).

(٢) ميمرة: كلمة سريرية معناها: "قول"، والجمع ميامر، وهي قصائد تعليمية قصصية تقرأ ولاتنشد. قاموس المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية.

كما قال: "إن الذين تشايعوا لمكدونيوس لم يؤمنوا أن المنبثق من الآب -بطريقة لا تدرك- كان هو الله".

7- القديس أوغسطينوس^(١): قال في رده على هرطقة آريوس: "لا يظن أن الروح بواسطة الترتيب هو منه "أي الابن"، كما أنه هو ذاته "الابن" "من الآب"، بل كلاهما من الآب، الابن يولد والروح ينبثق".

8- القديس إيرونيموس^(٢): قال في مخاطبته داماسوس: "إننا المؤمنون بالروح القدس أيضاً الذي من الآب خاصة ينبثق".

ب) كما يستدل الأرثوذكس بما ورد من شهادات الآباء الرومان: مثل البابا "بنديكتوس" الذي قرر عدم الزيادة على قانون الإيمان النيقوي، وأيده من جاء بعده حتى اسطفانوس الخامس، ولم يضيف كلمة "والابن".

ج) كما وجدت شهادات في كتب الأقباط التابع المطبوعة برومية والتي تصرح بانثاق الروح من الآب: ورد في (ص ٢٥٧، ٢٥٨) من كتاب الخولاجي^(٣) المطبوع برومية سنة (١٧٣٦م) ما يأتي:

(١) القديس أوغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠): ويضبط الاسم بـ"أوغسطينس" في بعض المصادر، من أشهر آباء الكنيسة الغربية وأبعدهم أثراً، لم يعرف له نداً إلا عندما ظهر توما الأكويني بخلاصته اللاهوتية، ولد بمدينة تاغسطا في الجزائر، كان والده وثنياً بينما كانت والدته مسيحية، بذلت قصارى جهدها لتغرس فيه حب الكنيسة وتبته روح الإيمان المسيحي، انتقل إلى قرطاجنة ومن ثم إلى روما، كان أثر الفلسفة الأفلاطونية عميقاً في فكر أوغسطينوس الفلسفي واللاهوتي وقد لخص موقفه بقوله: "أدرك لكي تؤمن، وآمن لكي تدرك"، رسم كاهناً في الأربعين من عمره، وسيم أسقفاً على هيبون ما بين (٣٩٥-٣٩٧)، هاجم المانوية والدونانية والبيلاجية بلسانه وقلمه، كان غزير الكتابة حيث ذكر بأنه كتب إلى سنة (٤٢٧م) ٩٣ كتاباً مؤلفة من ٢٣٢ جزءاً فضلاً عن مواعظه ورسائله المتعددة، من أشهر مؤلفاته: الاعترافات، مدينة الله، الثالث، في البدع. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص ٧٢٧-٧٥٤).

(٢) إيرونيموس (٣٤٧-٤٢٠): ولد في أسرة مسيحية ذات يسر ومكانة في ستريدون، يعد رومانياً بثقافته، وقع في تناقضات مختلفة ووقف مواقف مضطربة في قضايا أساسية، كان متشدداً في القضايا الأخلاقية. من مؤلفاته: ترجمة الكتاب المقدس "الفولغاتا"، وله تفسير للكتاب المقدس. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص ٣٩١-٤٢٠).

(٣) الخولاجي: أي كتاب الصلوات. قاموس المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية.

"الروح القدس غير المستحيل، المتسلط، المحيي، المنبثق من الآب الذي نطق في الأنبياء حل على آباؤنا كوعد المسيح وتكلموا بكل لغة.

وورد في كتاب اللقاف والسجدة المطبوع برومية سنة (١٧٦٢م): (ص ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤١٦، ٤١٧) قول صريح بأن الروح القدس منبثق من الآب فقط^(١).

يتضح مما سبق كيف تفنن علماء اللاهوت النصارى في إثبات صحة ما ذهبوا إليه في هذه العقيدة المليئة بالتناقض والاضطراب، والتي لا يمكن للعقل السليم أن يقبلها أو يتصورها فضلاً عن أن يؤمن بها، فما بني على باطل باطل مثله، وقد تحير علماء النصارى في تفسير عقيدة التثليث والروابط التي تجمع الأقانيم الثلاثة، في حين أن لكل واحد منهم حقيقة تختلف عن حقيقة الآخر، وهذا التشابك والتضاد في تفسيرهم للأقانيم الثلاثة يجعل عقيدة الروح القدس عقبة وعثرة أمام أصحابها، فإنهم لم يتفوقوا على معنى واضح لحقيقة الروح القدس وتحديد ماهيته.

فذهب بعضهم إلى أنه ذات الله، بينما ذهب آخرون إلى أنه حياته، ثم نجد في قانون إيمانهم: "ونؤمن بالروح القدس المنبثق من الآب" وهذا التصور لمفهوم الروح القدس وما جاء في نص قانون الإيمان يعارض أحدهما الآخر، فكيف يكون الروح القدس هو ذات الله أو حياته، ثم يقال بأنه انبثق من الآب على رأي طائفة منهم، أو من الآب والابن معاً على رأي الطائفة الأخرى! ! فهل ينبثق الشيء من نفسه؟! فالانبثاق يدل على أن هناك أصلاً منبثقاً عنه وفرعاً منبثقاً منه^(٢). يقول حبيب سعيد: "ولست أنكر أن مثل هذه الألفاظ اللاهوتية تقف عقبة كأداء أمام الفكر المعاصر وخاصة بين شباب المفكرين، ولكنها عقبة لا مناص من مواجهتها، ولسنا نرضى أن نترك هذه العقيدة الجوهرية في المسيحية لغزاً لا معنى له، وعثرة

(١) تاريخ الكنيسة القبطية: (ص ٤٤٩).

(٢) انظر: الروح القدس في اليهودية والنصرانية والإسلام: د. عمر وفيق الداوق، دار البشائر الإسلامية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م: (ص ٣٧-٣٩)، إغاثة اللفهان (٢/١٠٤٠)، التثليث بين الوثنية والمسيحية د. محمود علي حماية، مكتبة النافذة، الطبعة الثانية: (ص ٥٦)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٢/١١٦).

أمام التفكير العصري الحديث، أجل لابد من التسليم بأن ذات الله ستبقى سرّاً يفوق مداركنا البشرية" (١).

ويقول القس عبد الله صايغ: "بقيت عقبة معينة يمكن أن تقف حائلاً بين إتمام الاتحاد بين الكاثوليك والأرثوذكس، وهي بعض العقائد الدينية المتأصلة في القلوب والتي من الصعب جداً تغييرها، منها: عقيدة انبثاق الروح القدس، وهي التي لا يزال الخلاف عليها قائماً بين الكنيستين من عهد المجامع المسكونية التي كانت تجتمع للبحث في الخلافات بغية حلها، ولكن حل هذه العقدة استعصى عليهم.

ويقال: إنه حينما كان المجمع يبحث بالنص عن الروح القدس كمنبثق من الآب والابن حسبما ارتأى الجانب الكاثوليكي، تمسك الجانب الأرثوذكسي بالنص القائل: منبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن، هاتان الصيغتان المختلف عليهما في قانون الإيمان.

وقيل في التاريخ: إنه أثناء البحث في هذا الموضوع الخطير واحتماد الجدل بين الفريقين، أن أحداً من الرجال المؤمنين الأتقياء بين المجتمعين تنحى جانباً وأخذ يبكي بدموع منسكبة فأتى إليه بعضهم يسألونه لِمَ تبكي؟! أجابهم: على الروح القدس المفقود من المجمع الآن؛ لأنه لو كان روح الله بينكم لما اختلفتم عليه" (٢).

يقول ابن تيمية رحمته الله: "وقولهم: (ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي، المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب مسجود له، ومجد ناطق في الأنبياء). . . أن الانبثاق خصوا به روح القدس، ولم يقولوا في الكلمة إنها منبثقة.

والانبثاق لو كان حقاً لكان بالكلمة أشبه منه بالحياة، وكلما تدبر العاقل كلامهم في الأمانة وغيرها وجد فيه من التناقض والفساد ما لا يخفى إلا على أجهل العباد، ووجد فيه من مناقضته التوراة والإنجيل، وسائر كتب الله ما لا يخفى من تدبر هذا وهذا.

(١) الروح القدس: حبيب سعيد (ص ٦٢) نقلاً عن الروح القدس في اليهودية والنصرانية والإسلام: (ص ٣٩).

(٢) الوحدة والاتحاد المسيحي: القس عبد الله صايغ: (ص ١٤-١٥) نقلاً عن: الروح القدس في اليهودية والنصرانية

والإسلام: (ص ٤٠-٤١).

ووجد فيه من مناقضة صريح العقول ما لا يخفى إلا على معاند أو جهول، فقولهم متناقض في نفسه، ومخالف لصريح العقول، وصحيح المنقول عن جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين" (١).

كما يقول ﷺ في موضع آخر: "وتسميتهم لحياته روح القدس أسماء ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان، وأنه ليس معهم على ما ادعوه من الأقانيم حجة أصلاً لا سمعية ولا عقلية، وأنه ليس لقولهم بالتثليث مستند شرعي كما تبين أنه ليس له مستند عقلي" (٢).

يقول الباري تبارك وتعالى: ﴿ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُنْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ ﴾ [سورة البقرة ٧٩].

وهنا يظهر جلياً أنّ النصارى كانوا يحرفون دينهم عمداً إذا رأوا في التحريف مصلحة لهم أو انتصاراً لعقيدتهم.

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (١٨٢/٢-١٨٣).

(٢) المصدر السابق: (١٥٥/٢).

المبحث السادس: الروح القدس في الإسلام.

بنظرة متأنية في تعليم الإسلام عن الروح القدس يتضح أن:

أولاً: الروح القدس في الإسلام هو جبريل عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [سورة البقرة ٨٧] يقول الشيخ محمد العثيمين رحمته الله: "قوله تعالى: ﴿بُرُوحِ الْقُدُسِ﴾ من باب إضافة الموصوف إلى صفته، أي: بالروح المقدس؛ والقدس، و"القدس" بمعنى الطاهر؛ واختلف المفسرون في المراد بـ "روح القدس":

القول الأول: إن المراد روح عيسى عليه السلام؛ لأنها روح قدسية طاهرة؛ فيكون معنى:

﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ أي: أيدناه بروح طيبة طاهرة تريد الخير، ولا تريد الشر.

والقول الثاني: إن المراد بـ "روح القدس": الإنجيل؛ لأن الإنجيل وحي؛ والوحي

يسمى روحاً، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [سورة الشورى ٥٢].

والقول الثالث: إن المراد بـ "روح القدس" جبريل عليه السلام كما قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ

رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [سورة النحل ١٠٢]، وهو جبريل عليه السلام، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت وهو يهجو المشركين: «اللهم أيده بروح القدس»^(١) أي جبريل؛ وهذا أصح الأقوال.

وهو أن المراد بـ "روح القدس": جبريل عليه السلام يكون قريباً له يؤيده، ويقويه، ويلقنه

الحجة على أعدائه؛ وهذا الذي رجحناه هو الذي رجحه ابن جرير وابن كثير، أن المراد بـ "روح القدس": جبريل عليه السلام " (٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة، باب الشعر في المسجد: (١/٤٦٣-٤٥٣).

(٢) تفسير سورة الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١:

(٢٨١/١).

يقول ابن تيمية رحمه الله: "فهذا حسان بن ثابت واحد من المؤمنين لما نافع عن الله ورسوله وهجا المشركين الذين يكذبون الرسول أيده الله بروح القدس وهو جبريل عليه السلام، وأهل الأرض يعلمون أن محمداً عليه السلام لم يكن يجعل اللاهوت متحداً بناسوت حسان بن ثابت، فعلم أن إخباره بأن الله أيده بروح القدس لا يقتضي اتحاد اللاهوت بالناسوت، فعلم أن التأيد بروح القدس ليس من خصائص المسيح، وأهل الكتاب يقرون بذلك، وأن غيره من الأنبياء كان مؤيداً بروح القدس كداود وغيره، بل يقولون إن الحواريين كانت فيهم روح القدس، وقد ثبت باتفاق المسلمين واليهود والنصارى أن روح القدس يكون في غير المسيح بل في غير الأنبياء"^(١).

وقال جلّ وعلا: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل ١٠٢] يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ أمر الله جلّ وعلا نبيه عليه السلام في هذه الآية الكريمة: أن يقول إن هذا القرآن الذي زعموا أنه افتراء بسبب تبديل الله آية مكان آية، أنه نزل عليه روح القدس من ربه جلّ وعلا، فليس مفترياً له، وروح القدس: جبريل عليه السلام، ومعناه الروح المقدّس، أي: الطاهر من كل ما لا يليق"^(٢).

ومن أسمائه أيضاً "الروح الأمين"، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزَّلُنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(١١٣) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ^(١١٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿ [سورة الشعراء ١٩٢-١٩٤].

ثانياً: أنه مخلوق مربوب لا يتصف بشيء من صفات الألوهية.

الروح القدس عليه السلام مربوب مخلوق لا يتصف بشيء من صفات الألوهية كما يزعم النصارى الذين حاروا في أمر انبثاقه! ، ومادة خلقه من نور، جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (١٨٤/٢).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ١٤١٥هـ: (٤٥٣/٢).

رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم» (١)، ويعد الإيمان بالملائكة في الإسلام ركناً من أركان الإيمان لا يجوز إنكاره أبداً.

أما عن نظرة النصارى إلى الروح القدس عَلَيْهِ السَّلَام فقد رفضها الإسلام رفضاً قاطعاً، وعدّ ما اعتنقوه كفراً وخروجاً من دين الله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة ٧٣].

ثالثاً: أنه وسائر الملائكة عرضة للفناء كسائر المخلوقات.

فالملائكة يموتون كما يموت الإنس والجن، جاء ذلك صريحاً في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [سورة الزمر ٦٨] فالملائكة تشملهم الآية؛ لأنهم في السماء، يقول ابن كثير عند تفسيره هذه الآية: "هذه هي النفخة الثانية، وهي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله كما جاء مصرحاً به مفسراً في حديث الصور المشهور، ثم يقبض أرواح الباقيين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم، الذي كان أولاً، وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء، ويقول: ﴿لَمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ﴾ [سورة غافر ١٦] ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ الْوَحْدُ الْقَهَّارِ﴾ [سورة غافر ١٦] أنا الذي كنت وحدي وقد قهرت كل شيء، وحكمت بالفناء على كل شيء" (٢).

ومما يدل على أنهم يموتون، قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص ٨٨]، وهل يموت أحد منهم قبل نفخة الصور؟ هذا ما لا نعلمه، ولا نستطيع الخوض فيه؛ لعدم وجود النصوص المثبتة له أو النافية (٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرفائق، باب في أحاديث متفرقة: (٤/٢٢٩٤ ح ٢٩٩٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: (٧/١٠٤).

(٣) عالم الملائكة الأبرار: عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثالثة: (ص ٩).

الفصل الثالث

التناقض حول الملك الألفي

فيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القائلون بالتفسير الحرفي للملك الألفي.

المبحث الثاني: القائلون بالتفسير الروحي للملك الألفي.

المبحث الثالث: نزول المسيح عليه السلام ومدة مكثه في آخر الزمان في الإسلام .

الفصل الثالث

التناقض حول الملك الألفي

تمهيد:

المجيء الثاني للمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ من العقائد الإيمانية الراسخة المتفق عليها عند النصارى بجميع طوائفهم، بل يُعد مجيئه الثاني الرجاء المبارك للكنيسة^(١).

يقول بولس: "لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتعقل والبرّ والتقوى في العالم الحاضر منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجلنا"^(٢).

إلا أن هذا الاتفاق أعقبه نزاع واختلاف حول قضية مهمة مرتبطة بهذا المجيء وهي ما اصطالحوا على تسميته "بالمملك الألفي"^(٣) هذا المصطلح الذي كان كفيلاً ليس بإدارة الحوار الفكري حوله فقط، بل بإدارة الصراعات الفكرية بين الطوائف، وصولاً إلى توجيه الفكر السياسي لبعض القادة المؤمنين به^(٤).

(١) انظر: الفروق العقيدية: (ص ١٤ - ١٥)، شرح أصول الإيمان: (ص ٥٣٦)، مختصر التعليم المسيحي: (ص ٥٠)، المجيء الثاني للمسيح وعلاقته بالعقائد الكتابية: القس وديع ميخائيل: (ص ٨)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: ر. ك سيرول، ترجمة نكلس سلامة مكتبة المنار: (ص ٣٠٧)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: القس بيشوي حلمي، دار نوبار للطباعة، الطبعة الأولى: (ص ٤٠٣)، المجيء الثاني للمسيح متى يكون وما هي علاماته: القس عبد المسيح بسيط، مطبعة مدارس الأحد، الطبعة الثالثة: (ص ٩-١٤)، أساسيات مسيحية: د. زكريا استاورو، الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل، منشورات بيت عنيا: (ص ٥٨)، مجلة كنيسة، صادرة عن الكنيسة الإنجيلية اللوثرية كانون الأول ٢٠٠٤م عدد خاص بعيد الميلاد المجيد، رئيس التحرير المطران: د. منيب يونان: (ص ٨)، مجيء المسيح ثانية وسوابقه التاريخية: القس منيس عبد النور، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م: (ص ١٨).

(٢) (٢: ١١-١٣).

(٣) أي تملك الأبرار مع المسيح لمدة ألف سنة، انظر: الملك الألفي في تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية، الأب متى المسكين: (ص ١).

(٤) انظر مجمل ما ورد في نبوءات الكتاب المقدس: هرمجدون ونهاية أمريكا وإسرائيل: منصور عبد الحكيم، مكتبة رياض الحلبي ٢٠٠٧م، الطبعة الأولى؛ النبوءة والسياسة غريس هالسل، ترجمة محمد السماك، دار الشروق الطبعة الثالثة؛ المباحثة من الأسفار المقدسة، الطبعة الأولى بالإسكندرية ١٩٨٥م: (ص ٣٩٩ - ٤٠٣).

جاء في دائرة المعارف الكتابية: "وأهم الأمور التي دار حولها الجدل هو الحكم الألفي للمسيح على الأرض المشار إليه في سفر الرؤيا (٢٠: ١ - ١٠)"^(١).

وحاصل الخلاف بين علماء النصارى حول متى وكيف تتم هذه الألف سنة؟ والآراء الرئيسة حول هذا الموضوع تنقسم إلى قسمين^(٢):

أولاً: القائلون بالتفسير الحرفي للملك الألفي. وهؤلاء بدورهم ينقسمون إلى فريقين:

أ- سابقو الألف سنة.

ب- لاحقو الألف سنة.

ثانياً: القائلون بالتفسير الرمزي "الروحي" للملك الألفي. وتأخذ بهذا التفسير كل من الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية وبعض الكنائس البروتستانتية أيضاً^(٣).

(١) دائرة المعارف الكتابية: (٥٩٥/٢).

(٢) جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس تقسيم آخر لا يختلف في مضمونه عن التقسيم المثبت أعلاه حيث جاء فيه ما نصه: "هناك اختلاف كبير بين علماء المسيحية حول الملك الألفي والآراء الرئيسة حول هذا الموضوع هي: أ) الاعتقاد بالحيء الثاني للمسيح بعد الألف سنة: وهو رأي يعتقد بحرفية حلول فترة "ألف سنة" من السلام للكنيسة على الأرض وبعد هذه الألف سنة يُحل الشيطان ثانية، لكن حينئذٍ يجيء المسيح ثانية ليهزمه ويهلكه للأبد. ب) الاعتقاد بالحيء الثاني للمسيح سابقاً للألف سنة: وهو رأي يعتقد أيضاً بحرفية حلول هذه الفترة لكنه يعتقد أن الحيء ثانية للمسيح يسبق ملك الألف سنة، وأن هذا الملك يتم قبل إزالة الشيطان نهائياً. ج) اللا ألفية: وهو الاعتقاد بأن فترة الألف سنة ليست سوى رمز للفترة بين صعود المسيح إلى السماء وحيئه الثاني، ويعتقد هذا الرأي بأن الملك الألفي ملك للمسيح داخل قلوب المؤمنين وفي كنيسته، أي أنه هو نفسه عصر الكنيسة وتنتهي هذه الفترة بمحيئه ثانية". التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: (ص ٢٧٩٤).

(٣) انظر: الملك الألفي: (ص ٢ - ١٤)، نبوءات سفر الرؤيا: القمص اثناسيوس اسكندر - كنيسة العذراء مريم القبطية الأرثوذكسية، كتشنر أونتاريو - كندا: (ص ٣١)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٢١٧).

المبحث الأول: القائلون بالتفسير الحرفي للملك الألفي.

وهؤلاء ينقسمون إلى فريقين:

أولاً: "اللاحقية" لاحقو الألف سنة:

يعتقدون بأن المجيء الثاني للمسيح ﷺ من أجل إقامة ملكوته بعد فترة "ألف سنة" من السلام للكنيسة على الأرض، وبعد هذه الألف سنة يُحل الشيطان ثانية، ويعتبرون ذلك بمثابة تهيئة الطريق لعودة المسيح ﷺ ثانية، حيث يتزل ليهزمه، ويقيم الأموات للدينونة بعد تدمير العالم الحاضر، وبدأت هذه النظرية منذ بداية الإصلاح البروتستانتي، لكنها بدأت في التراجع لما وجده أتباعها من صعوبة في تحديد بداية الألف سنة^(١).

ثانياً: "السابقية" سابقو الألف سنة:

وهم الذين يعتقدون بأن المجيء الثاني للمسيح ﷺ يسبق ملك الألف سنة، يقول عنهم الأب متى المسكين شارحاً عقيدتهم:

"وهم الذين يعتقدون بأن المجيء الثاني للمسيح، يسبقه وليمة الملك الألفي، وهؤلاء منقسمون فيما بينهم بشأن مكان الملك الألفي للقديسين هل هو في السماء أم على الأرض؟ وهم يعتقدون بأنه عند مجيء المسيح ثانية في وقت مفاجئ يقوم الأبرار وحدهم من الموت بأجسادهم الأرضية، ومن ثم فإنهم يطلقون على قيامة الأبرار هذه لقب "القيامة الأولى"، وفي نفس الوقت يُباد الأشرار من الأرض، ويجدد اليهود عبادتهم في أورشليم، ويُقيد الشيطان ويُعمُّ البرّ والسلام على كل الأرض، ويملك المسيح بالجدد في أورشليم مدة ألف سنة، بعد أن يبهد كل الحكومات والنظم السياسية القائمة، ويسود السلام العالم، إذ يسكن الذئب مع الخروف، ولا تكون هناك حروب، ويؤمن كل العالم بالمسيح، وفي نهاية الألف سنة يُحل الشيطان ويحاول تضليل الأمم، وتجميعهم للحرب ضد القديسين، وتحدث

(١) انظر: الصهيونية تحرف الإنجيل: سهيل التغلي، دير الشرفة، لبنان ١٩٩٨م: (ص١١٢)، عودة المسيح ثانية ودينونة العالم: نصر الله زكريا، مطبوعات نظرة للمستقبل ٢٠١٠م، الفصل التاسع، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: (ص٢٧٩٤).

المعركة الفاصلة (هرمجدون) التي ينتصر المسيح فيها على الشيطان ثم يقوم الأشرار "القيامة الثانية" من الأموات للدينونة وينتهي العالم" (١).

وهؤلاء السابقون ينقسمون إلى فريقين:

(١) فريق قديم تاريخي.

(٢) فريق حديث تدبيري.

الفريق الأول: "التاريخيون" سابقو الألف

ساد الاعتقاد بجمية عودة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل الألف سنة وإقامة ملكوته على الأرض عندما يأتي خلال القرون الثلاثة الأولى للنصرانية، حيث كان هذا الاعتقاد منتشرًا بين الأيونيين (٢) والمونتانيين (٣) وبعض الغنوصيين (٤).

(١) الملك الألفي: (ص ٣-٤).

(٢) الأيونيون: طائفة من اليهود المنتصرين المحكوم عليهم بالهرطقة، انتشروا في شرق الأردن والجزيرة العربية في القرون الثلاثة الأولى للنصرانية، ينكرون لاهوت المسيح وميلاده العذراوي، ويغالون في التمسك بالناموس، ويعتقدون بحرفية الملك الألفي، واسمهم مشتق من الكلمة العبرانية "أبونيم" أي الفقراء، انظر: موسوعة آباء الكنيسة، عادل فرج عبد المسيح، اللجنة الاستشارية المطران يوحنا إبراهيم، د. القس مكرم نجيب، القس أندريه زكي، الأب منصور مستريح، دار الثقافة، دون رقم للطبعة: (٢٣٨/١-٢٣٩).

(٣) المونتانيون: نسبة إلى "مونتanos" الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، وينادون بحرفية الملك الألفي، ويحرمون الزواج للمتزمين ويغالون في الصوم، وأشهر من انضم إليهم من آباء الكنيسة هو ترتليانوس، استقرت في الغرب عام (٢٠٠م). انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص ٢٨٣).

(٤) الغنوصيون: جماعة انتشرت في القرون الثلاثة الأولى، وينادون بأن الخلاص بالمعرفة، كما ينادون بحرفية الملك الألفي، وأن تجسد المسيح وصلبه كان خيالياً، وقد حُكم عليهم بالهرطقة. انظر الملك الألفي: (ص ٤ - ٦) تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص ٢٧١)، جاء في الأصول الوثنية للمسيحية: "والغنوصية أقدم من المسيحية وليست بالتالي تياراً منها أو هرطقة، بل العكس صحيح فإنجيل يوحنا أصلاً هو نقل للفكر الغنوصي بل هو غنوصية ذات وجه مزدكي فارسي، خاصة عند الحديث عن صراع نور الكلمة مع الظلمات أو صراع الحق مع الكذب". الأصول الوثنية للمسيحية، اندرية نايتون، إدغار ويند، كارل غوستاف، ترجمة سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية: (ص ٢٣).

وقد قبل بعض آباء الكنيسة هذا التعليم بكل سهولة وفي مقدمتهم بايياس^(١) ويوستينوس^(٢) الذي قال: "إن الرب يسوع سيعود إلى أورشليم ويعيش مع تلاميذه يأكل ويشرب، وأن المسيحيين سيجتمعون هناك ويعيشون مع المسيح والأنبياء والبطارقة في سعادة كاملة ألف سنة".

لكنه يعود ويقرر بنفسه أن هذا التعليم لا يعتبر جزءاً لاهوتياً من الإيمان ويعترف بأن كثيراً من النصارى لا يأخذون بهذا التعليم ولا يقرونه.

ومن ثم يأتي إيرينيوس "١٣٠ - ٢٠٠م" وينادي بنفس التعليم مستشهداً بأقوال بايياس وبنفس تصوراته، وهو الذي ربط الملك الألفي بفكرة السبعة آلاف سنة عمر العالم، حيث جعل الألف السابعة والأخيرة للعالم هي ملكوت المسيح الأرضي مع الأبرار، ويتبعه في هذا الربط كل من "كوموديانوس" في منتصف القرن الثالث و"فيكتورنيوس" في أواخر القرن الثالث، ومن الآباء الذين قبلوا التفسير الحرفي للملك الألفي "ميلتو" أسقف ساردس وهيوليتس الروماني^{(٣)(٤)}.

(١) بايياس الهيرابولي (٦٠-١٣٠): أسقف هيرابوليس في فريجية الصغرى، يجهل الكثير عن حياته، ويقال عنه أنه تلميذ يوحنا الرسول، كان مناهضاً للغنوصية من مؤلفاته: تفسير كلمات السيد. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص ١٧٣-١٧٨).

(٢) يوستينوس (١٠٠ - ١٦٥م) ولد في نابلس، كان والده وثنياً، اعتنق المسيحية بعد طول بحث في دراسة التعاليم، قضى سنواته الأخيرة في روما، من أشهر مؤلفاته: الدفاع الأول، الدفاع الثاني، الحوار مع تريفون اليهودي. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص ٢٢٤ - ٢٣٢).

(٣) هيوليتس الروماني: تلميذ إيرينيوس، عمل على دحض المونتانية والغنوصية، كان متشدداً تجاه الخطيئة في الكنيسة، وبسبب هذا الموقف انفصل عن السلطة الكنسية، توفي بعد عام (٢٣٥). انظر: تاريخ الفكر عند آباء الكنيسة: (ص ٣٥١-٣٥٨).

(٤) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٢/١٨٩-١٩٠)، الملك الألفي: (ص ٣ - ٧)، الهجاء الثاني: عبد المسيح بسيط: (ص ١٥٨-١٦٤)، تفسير وتأملات الآباء الأولين، رؤيا يوحنا اللاهوتي - القمص تادرس يعقوب ملطي، كنيسة مارجرس باسورتنج الإصحاح: (٢٠/٦).

الفريق الثاني: "التدبيريون" سابقو الألف.

ويرى أتباع هذه النظرية أن النصرانية كفرقة تُعد من الفرق اليهودية، ولذلك يخلطون بين ما هو يهودي وما هو نصراني، وبين الدين والأحداث السياسية وبين ما ورد في العهد القديم في سفر دانيال وحزقيال وبين ما ورد في العهد الجديد في سفر الرؤيا.

وأول من تبني هذه الفكرة جماعة الأحرار وبخاصة "الإخوان بلايموث"^(١) وبلغت هذه الفكرة أقصى قوتها في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي في ألمانيا، ومن ثم انتقلت عبر البحار واستقرت في الولايات المتحدة الأمريكية، ونشأت في القرن التاسع عشر جماعة السبتيين الذين لقبوا بالأدفنست^(٢) أي: الجعيين إشارة إلى اعتقادهم بمجيء المسيح الثاني للملك الألفي على الأرض وجعلتها عقيدتها الأولى، وبدأت تضع مواعيد محددة لمجيء المسيح وكذبت فيها جميعاً، وتبعهم "المورمون"^(٣) و"شهود يهوه" وحركات كنسية أخرى،

(١) الإخوان بلايموث: نهضت هذه الحركة في إنجلترا وإيرلند سنة (١٨٣٠م) وعرف أتباع هذه الحركة غالباً بالإخوة البلايموث؛ لأن مدينة بلايموث في إنجلترا كانت من أقوى مراكزهم، كما دعيت الحركة أيضاً بالداربية، وقد ركزت هذه الحركة على الكنيسة والنبوة، خاصة ما يتعلق بالمجيء الثاني للمسيح، واعتبروا الكتاب المقدس بل والتاريخ البشري كله مرتبط بإسرائيل كشعب الله، وأن المسيح سيأتي ليحكم العالم من خلال اليهود، وأن الكنيسة ما هي إلا فترة عارضة في التاريخ ظهرت عندما فشل اليهود في قبول المسيح ورفضوه، فرفضهم الله إلى حين. انظر: المجيء الثاني متى يكون: عبد المسيح بسيط: (ص ١١٣).

(٢) الأدفنست أو الألفيين السبتيين: جماعة نصرانية تنادي بالمجيء الثاني للمسيح، ويتوقعون أن مملكة إسرائيل ستسيطر على العالم بأسره، يتبعون العهد القديم أكثر من الجديد، ويحفظون السبت بدلاً من الأحد، ويطبقون عيد المظالم كاليهود تماماً. انظر: كتر النفائس: (ص ١٣٢).

(٣) المورمون: طائفة نصرانية جديدة نسبياً، منشقة عن النصرانية الأم، وتدعو إلى التمسك بالكتب اليهودية وكتاب المورمون وكتاب المبادئ والعهد وغيرها، ويدعون إلى الإيمان بالمسيح الذي جاء - في نظرهم - لينقذ اليهود من الاضطهاد، والإيمان بأن المبادئ والمراسم الأربعة للإنجيل هي الإيمان برهم يسوع المسيح كما يقولون، والتوبة والعماد بالنعطيس لغفران الخطايا، ووضع الأيدي لموهبة الروح القدس. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: (٦٤٥-٦٣٦/٢).

تؤمن وتروج لهذه الفكرة، ويتزعم هذه الاتجاهات الآن قيادات مؤثرة يبثون أفكارهم عبر وسائل الإعلام^(١).

ثالثاً: البراهين الكتابية التي يستند إليها القائلون بالتفسير الحرفي للملك الألفي.

يرى القائلون بالتفسير الحرفي للملك الألفي أن فترة "الألف سنة" فترة يسودها الفرح والأمن والسلام، ويستدلون بما جاء في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد:

أ- العهد القديم:

(١) "ويخرج قضيب من جذع يَسَّى، وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب، ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفثيه، ويكون البر منطقة متنيه، والأمانة منطقة حَقْوِيه، فيسكن الذئب مع الخروف، ويربض النمر مع الجدي، والعجل والشبل والمسمن معاً، وصبي صغير يسوقها. . . ، ويكون في ذلك اليوم السيد أن يعيد يده ثانية ليقطني بقية شعبه التي بقيت من آشور ومن مصر ومن فتروس ومن كوش ومن عيلام ومن شنعار ومن حماة ومن جزائر البحر، ويرفع راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض"^(٢).

(٢) "وتقول في ذلك اليوم: أحمدك يا رب لأنه إذا غضبت علي ارتد غضبك فتعزيني هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب لأن ياه يهوه قوتي وترنيمي وقد صار لي خلاصاً. . . ،

(١) انظر: الحجيء الثاني: (ص ١١٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/١٨٩-١٩٣)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٢١٨-٢٢٢)، نبوءات سفر الرؤيا: (ص ٣١)، موقف اليمين المسيحي والكنائس الأمريكية من قضايا الشرق الأوسط ضمن كراسات استراتيجية، الصادرة عن مركز الأهرام للدراسات السياسية، السنة الثالثة عشرة، ٢٠٠٣م العدد رقم: (١٢٢).

(٢) (إش ١١: ١-١٢)

رثّموا للرب لأنه قد صنع مفتخراً، ليكن هذا معروفاً في كل الأرض، صوتي واهتفي يا ساكنة صهيون لأن قدوس إسرائيل عظيم في وسطك" (١).

٣) "لأني هأنذا خالق سماوات جديدة وأرضاً جديدة، فلا تذكر الأولى ولا تخطر على بال، بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد فيما أنا خالق لأني هأنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحاً فأبتهج بأورشليم وأفرح بشعبي، ولا يُسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ، ولا يكون بعد هناك طفل أيام ولا شيخ لم يكمل أيامه لأن الصبي يموت ابن مئة سنة، والخاطيء يلعن ابن مئة سنة. . . ، الذئب والحمل يرعيان معاً والأسد يأكل التبن كالبقر، أما الحية فالتراب طعامها لا يؤذون ولا يُهلكون في كل جبل قدسي قال الرب" (٢).

ب- ما جاء في العهد الجديد:

"ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية، وسلسلة عظيمة على يده، فقبض على التنين، الحية القديمة، الذي هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة وطرحه في الهاوية، وأغلق عليه، وختم عليه لكي لا يُضللّ الأمم فيما بعد حتى تتم الألف سنة. وبعد ذلك لا بد أن يُحلّ زماناً يسيراً. ورأيت عروشاً فجلسوا عليها وأعطوا حكماً، ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله، والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته، ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة، وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف سنة، هذه هي القيامة الأولى، مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم، بل سيكونون كهنة لله والمسيح، وسيملكون معه ألف سنة" (٣).

(١) (إش ١٢ : ١ - ٦)

(٢) (إش ٦٥ : ١٧ - ٢٥)

(٣) (رؤ ٢٠ : ١ - ٦)

المبحث الثاني: القائلون بالتفسير الروحي للملك الألفي

تأخذ الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية وبعض الكنائس البروتستانتية بالتفسير

الروحي للملك الألفي. (١)

المطلب الأول: بيان عقيدتهم.

يؤمن أتباع هذه النظرية بأن الملك الألفي ملك روحي للمسيح في قلوب أتباعه المؤمنين به وعلى كنيسته، وأن هذا الملك قد ابتداءً فعلاً على الصليب وسيكمل بمجيئه الثاني في نهاية الأيام من أجل الدينونة وأن الألف سنة رمز معروفة مدته في علم الله وحده، فلا تؤخذ بمدلولها الحسابي إطلاقاً وإنما بمدلول رمزيتها للكمال (٢).

يقول البابا شنودة الثالث: "كلمة "ألف سنة" هي تعبير رمزي لا تؤخذ بالمعنى الحرفي إطلاقاً، فرقم (١٠) يرمز للكمال، ورقم الألف هو (١٠×١٠×١٠) أي مضاعفات هذا الرقم. . . ، فالألف سنة هي فترة غير محدودة مثلها مثل أيام الخليقة الستة والقياس مع الفارق، وهي الفترة من الصليب حتى يُحَلَّ الشيطان من سجنه" (٣).

وحاصل فكر هؤلاء في موضوع الملك الألفي يدور حول خمسة محاور (٤):

المحور الأول: أن ملك المسيح هو ملك روحي: ويستدلون بقوله لبيلاطس: "مملكتي ليست من هذا العالم" (٥)، ويؤكدون على هذا المعنى مراراً، فهم حسب تصورهم يعيشون الآن في ملك الألف سنة التي ذكرت في سفر الرؤيا، وقد بدأت بزعمهم منذ وضع المسيح على الصليب، وستنتهي قبل مجيئه الثاني بقليل، حيث يُحَلَّ الشيطان من قيده ويعمل بقوة شديدة.

(١) انظر: الملك الألفي: (ص ١٤)، نبوءات سفر الرؤيا (ص ٣١)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٢١٧).

(٢) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (١٩٢/٢)، اللاهوت المقارن: الباباشنودة: (١١٧/١-١١٨)، الملك الألفي: (ص ١٤-١٦).

(٣) اللاهوت المقارن: الباباشنودة: (١١٨/١).

(٤) انظر: المصدر السابق: (١١٢/١-١٢٠)، الملك الألفي: (ص ١٤-٢٤)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية:

(ص ٤٥٤-٤٥٦)، موسوعة علم اللاهوت: (١٩٢/٢-١٩٣)، اللاهوت النظامي: (ص ٥٦٩)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٢١١-٢١٣).

(٥) (يو ١٨: ٣٦).

المحور الثاني: الألف سنة هي مدة رمزية.

فهي لا تعني ألف سنة تحديداً، بل تعني فترة تامة من الصليب حتى الآونة الأخيرة للدينونة، ويستدلون بقول بطرس: "ولكن لا يخفَ عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء: أن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم" (١).

وكذلك كل الأعداد الوارد ذكرها في سفر الرؤيا هي أعداد رمزية: "وقد أجمع المفسرون القدامى والمحدثون على ضرورة تفسير سفر الرؤيا تفسيراً رمزياً، كما شرحه أوريجانوس (٢)، اكليمينزس الإسكندري (٣)، والقديس جيروم (٤) الرافض لفكرة الملك الألفي الحرفي" (٥).

المحور الثالث: الألف سنة فترة سلام.

من الأمور التي تميز الملك الألفي لديهم وجود السلام، حيث يقول الكاهن في القداس الغريغوري موجهاً كلامه للمسيح: "وصرت لنا وسيطاً مع الآب والحاجز المتوسط نقضته والعداوة القديمة هدمتها، وأصلحت الأرضين مع السمائين وجعلت الاثنين واحداً".

فقد أتم المسيح -بزعمهم- بعمل الفداء الصلح بين السماء والأرض، وبين الله والإنسان، وأيضاً بين الشعب والشعوب الأخرى.

(١) (٢ بط ٣: ٨).

(٢) أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤): ولد في عائلة مسيحية مصرية ربما في الاسكندرية، عاش حياة التقشف ممارساً الفقر الإنجيلي في أقصى مظاهره، ظهر تأثره بالفلسفة الأفلاطونية التي لم تسمح له بيئته بالتخلص منها، من مؤلفاته: في المبادئ، الرد على سلسيوس، شرح انجيل يوحنا. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (٣٩٩-٤٢٢).
(٣) اكليمينزس الإسكندري: ولد من أبوين وثنيين في أثينا أو الإسكندرية، تتلمذ في الفلسفة على يد أشهر المعلمين في اليونان وجنوب إيطاليا، ثم هاجر إلى فلسطين، أدخل في اللاهوت الفكر النظري، يغلب على فكره ونفسه الاندفاع الأفلاطوني ويكثر في مؤلفاته الاستشهاد من كتب اليونانيين أفلاطون، هوميروس وغيرهم، من مؤلفاته: الإرشاد لليونانيين، المري، المتفرقات. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص ٣٨٦).

(٤) جيروم: يُعد من آباء الغرب الذين فسروا الكتاب المقدس. وقد تم الحديث عنه سابقاً تحت اسم "إيرونيوموس" (ص ١١٨). انظر: قاموس آباء الكنيسة: نسخة إلكترونية.

(٥) موسوعة علم اللاهوت: (١٩٢/٢).

المحور الرابع: في الألف سنة يكون الشيطان مقيداً.

في هذه الألفية يكون الشيطان مقيداً بزعمهم حتى تتم مقاصد الله في الشعوب والتاريخ، ويستدلون على تقييد المسيح للشيطان بالصليب بالشواهد التالية:

- "رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء"^(١).
- "الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً"^(٢).
- "رئيس هذا العالم قد دين"^(٣).
- "ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب، وكل قوة العدو، ولا يضركم شيء"^(٤).

كما يشبهون دور الشيطان في غواية البشر الآن بإنسان مخيف مقيد بسلسلة، ولكنه بالرغم من قيوده فإنه يتمكن من الإتيان بحركات ويعاكس من هو قريب منه، وفي دائرة مجاله كالأسد في القفص الحديدي في حديقة الحيوان يمكنه إيذاء من يقترب منه على الرغم من وجود القفص! !

المحور الخامس: مجيء المسيح الثاني للدينونة.

استقر هذا الأمر في تقليد الكنيسة وتراثها عبر الأجيال، وسجله قانون إيمانهم الذي يرددونه شرقاً وغرباً في صلواتهم فيهتفون قائلين: "يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات"، وينبئ هذا على تعليم الكتاب إذ جاء فيه: "فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله"^(٥).

(١) (لو ١٠ : ١٨).

(٢) (يو ١٢ : ٣١).

(٣) (يو ١٦ : ١١).

(٤) (لو ١٠ : ١٩).

(٥) (مت ١٦ : ٢٧).

"ويصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السماوات إلى أقصاها"^(١).

جاء في القديس المرقسي: "ونتظر مجيئه الثاني الآتي من السماوات، المخوف والمملوء مجداً في انقضاء هذا الدهر، الذي يأتي فيه ليدين المسكونة بالعدل، ويعطي كل واحد حسب أعماله إن كان خيراً وإن كان شراً".

ويؤيد هذا الأمر ما نسب إلى المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: "ها أنا آتي سريعاً وأجرتي معي، لأجازي كل واحد كما يكون عمله"^(٢).

المطلب الثاني: موقفهم من القائلين بالتفسير الحرفي للملك الألفي.

رفضت الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية وبعض الكنائس البروتستانتية التفسير الحرفي للملك الألفي رفضاً تاماً^(٣)، بل تم اعتباره من البدع والأفكار اليهودية الدخيلة على الكنيسة^(٤) من بداية نشأتها وذلك عن طريقين:

(١) دخول اليهود للنصرانية ومعهم تصوراتهم المادية، فبثوا هذه الأفكار وسط الكتابات والعظات، وتقبلها بعض آباء الكنيسة في القرون الأولى بكل سذاجة.

(٢) المحاورات الدينية بين اليهود وبعض آباء الكنيسة مما جعل الآباء وقد أخذهم الغيرة والحماسة يؤكدون أن كل ما كان لليهود من بركات ووعود صارت بكاملها لكنيسة

(١) مت ٢٤: ٣٠ - ٣١.

(٢) رؤ ٢٢: ١٢.

(٣) انظر: نبوءات سفر الرؤيا: القمص اثناسيوس اسكندر: (ص ٣١) الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٢١٧)، الملك الألفي: (ص ١٤).

(٤) انظر: المحيى الثاني: عبد المسيح بسيط: (ص ١٥٦ - ١٦١)، الصهيونية تحرف الإنجيل: (ص ١٤)، عقائدنا الأرثوذكسية: (ص ٤٥٣).

العهد الجديد، وحرّم اليهود من كل بركة فحولوا بذلك الفكر اليهودي المادي وجعلوه للكنيسة كما فعل يوستينوس وترتليان^(١).

وقد رأت مدرسة الإسكندرية في هذا الفكر خطراً عظيماً، فانبرى له بعض القديسين كأوريجينوس، وتلاه البابا "ديوناسيوس الكبير" وأدحضوا فكرة التفسير الحرفي لسفر الرؤيا بل اعتبر القديس أغسطينوس من يقول بها مهرطقاً، وتم حرّم هذه البدعة في المجمع المسكوني الثاني سنة: (٣٨١م)^(٢).

مما جاء فيه: "وقد أبسل بالإجمال كل بدعة برزت للوجود في عهد الملوك الذين سبقوا الثمامه. . . . ، وليبرهن المجمع أنه يقر ويعترف بالإيمان نفسه، لم يصنع دستوراً جديداً للإيمان، ولكنه أحدث تعديلاً طفيفاً في دستور الإيمان النيقاوي بإضافة الجملة: "الذي لا فناء لملكه" دحضاً لبدعة أبوليناريوس الذي قال إن ملك المسيح يمتد إلى ألف سنة"^(٣).

المطلب الثالث: الاعتراضات على التفسير الحرفي للملك الألفي.

قد أورد الرافضون لهذا التفسير من النصارى جملة من الاعتراضات يُذكر منها ما يأتي:

(١) أنه لم يرد في أقوال المسيح ولو لمرة واحدة حديث له عن "الحكم الألفي"^(٤) بالمعنى الذي استنبطه هؤلاء المبتدعة مما جاء في سفر الرؤيا حسب مفهومه اللفظي، ولم يرد أيضاً شيء من هذا القبيل في جميع الأناجيل، فالمسيح عندما تحدث عن مجيئه الثاني لم يتحدث عن مجيء يتزل فيه ليبقى على الأرض ألف عام، بل يجيء للدينونة والشواهد الكتابية على ذلك كثيرة:

(١) انظر: رؤيا يوحنا اللاهوتي، القمص تادرس ملطي: (الإصحاح ٢٠ - ص٦).

(٢) انظر: المصدر السابق: (ص٧)، نبوءات سفر الرؤيا: (ص٣١).

(٣) مجموع الشرع الكنسي: (ص٢٤٢ - ٢٤٣).

(٤) مصطلح "الملك الألفي" مصطلح غير كتابي، فلم يرد في الكتاب المقدس بعهديه، ولكن تعبير "الألف سنة" ذكرت في موضع واحد في الكتاب المقدس في سفر الرؤيا (٢٠: ١ - ١٠) ست مرات. انظر: هذه عقائدنا: (ص١٤٦).

- "لأن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله" (١).
 - "ومتى جاء ابن الإنسان في مجده، وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار، ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي أبي. . . ، فيمضوني هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية" (٢).
 - ". . . يسمع جميع من في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة" (٣).
- وغيرها كثير، وهذا يبرهن على أن الكتاب المقدس لم يتحدث عن أي مجيء آخر للمسيح سوى مجيئه الثاني للدينونة، فمن أين أتوا بهذه العقيدة الغربية عند روح الكتاب؟! (٤).

(٢) إن مجيء المسيح للدينونة، فما معنى مجيئه للملك الألفي؟!.

في هذه الحالة سيكون هناك ثلاث مجيئات:

(١) مجيء للتجسد والفداء.

(٢) مجيء للحكم الألفي.

(٣) مجيء للدينونة.

والمناداة بثلاث مجيئات أمر لا يقبله أحد، وضد التعليم المسيحي الذي ينتظر المجيء

الثاني، ومعه الدينونة وانقضاء الدهر (٥).

(٣) إن القول بالتفسير الحرفي مرفوض تماماً؛ لأنه يناقض بين نظام العهدين القديم

والجديد تناقضاً لا يمكن معه الجمع بينهما، فبحسب التفسير الحرفي للعهد القديم يلزم أن

(١) (مت ١٦ : ٢٧).

(٢) (مت ٢٥ : ٣١ - ٤٦).

(٣) (يو ٥ : ٢٨ - ٢٩).

(٤) انظر: عقائدنا الأرثوذكسية: (ص ٤٥٦)، المجيء الثاني: (ص ١٦٢).

(٥) اللاهوت المقارن: الباباشنودة (١١٢/١ - ١١٤)، وانظر: مجيء المسيح ثانية: (ص ٤٠).

رؤيا حزقيال تتضمن رجوع الديانة اليهودية أعظم وأوسع مما كانت في القديم، وبحسب العهد الجديد يلزم أن تموت الديانة اليهودية لأنها أكملت وظيفتها عند موت المسيح ولم يعد لها سلطان إلهي، فكيف يمكن الجمع بين ما كان محصوراً خاصاً بأمة وبين ما هو ممتد إلى كل العالم؟! (١).

٤) إن القول بالملك الألفي للمسيح يتعارض مع تعليم الكتاب المقدس عن طبيعة ملكوت المسيح، فمن المعلوم أن المسيح قد رفض الملك الأرضي، لأنه أراد ملكاً روحياً على قلوب الناس لا سلطاناً عالمياً (٢)، "قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم، وأما يسوع فإذا علم أنهم مزعمون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف إلى الجبل وحده" (٣)، ويكفي هذا في الرد القاطع على الحكم الألفي الأرضي حيث يقول المسيح: "مملكتي ليست من هذا العالم" (٤).

٥) لم ترد هذه العقيدة مطلقاً في جميع قوانين إيمان الكنيسة المسيحية، بل إن قوانين الإيمان التي صدرت عن جميع الكنائس الشرقية والغربية صرحت بمعارضتها ورفضها، كما لم ترد في كتب الصلوات والقداسات، حيث نقول في قانون الإيمان الذي تردده جميع الطوائف الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية: "وأيضاً يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات...، ومنتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي" (٥).

٦) قد أجمع علماء التفسير واللاهوتيين أنه لا يجوز لأحد أن يستنبط من الأسفار الرؤية وحدها عقيدة لا أساس لها، ثم يحاول إثباتها بتطويع تفسير بعض النبوءات والتعاليم الكتابية لخدمة آرائه الخاصة التي يستنبطها من الأسفار الرؤئية، يقول يوحنا: "ورأيت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن أجل كلمة الله، والذين لم يسجدوا للوحش ولا

(١) انظر: اللاهوت النظامي: (ص ٥٨٥ - ٥٨٦)، مجيء المسيح ثانية: (ص ٢٨).

(٢) انظر: مجيء المسيح ثانية: (ص ١٩)، اللاهوت المقارن: الباباشنودة (١/١١٥)، دائرة المعارف الكتابية: (٢/٥٩٥).

(٣) (يو ٦: ١٤-١٥).

(٤) (يو ١٨: ٣٦).

(٥) المجيء الثاني: (ص ١٦١-١٦٢).

لصورته، ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم، فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة^(١). مع الفحص الدقيق لهذا النص يلاحظ أنه خلا تماماً من أية إشارة لمجيء المسيح ثانية مع أن المجيء الثاني هو الأساس الذي يضع عليه القائلون بالحكم الألفي كل عقيدتهم، وكل ما ذكر بخصوص هذه الألف سنة من جهة العلامات السماوية الملازمة لها، "ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية. . . ، وقيدته ألف سنة"^(٢).

أما الإصحاح السابق لتزول الملاك وتقييده للشيطان ألف سنة فيتضح منه أن المسيح لا يزال مستتراً في السماء يمارس حكم العالم وحربه ضد الشيطان بصورة غير منظورة، فالتفسير الحرفي يتعارض مع الحقائق الكتابية المعلنة في باقي الأسفار^(٣).

جاء في دائرة المعارف الكتابية مانصه:

"إننا نضع هذه الملحوظات أمام دارسي الكتاب المقدس الذين يبحثون عن الحقيقة:

أ) إن عقيدة الملك الألفي للمسيح على الأرض لم ترد مطلقاً في قوانين إيمان الكنيسة المسيحية بل إن قوانين الإيمان التي صدرت عن الكنائس التاريخية قد صرحت بمعارضتها لهذه العقيدة.

ب) إن التعليم بالملك الألفي لا يستند على أساس كتابي صريح يقبله الجميع، والآراء المتعددة عنه متناقضة، ولا يتفق أصحابها حتى في النقاط الأساسية.

ج) لم يذكر هذا التعليم في الأجزاء الكتابية الواضحة التي تعالج موضوع المجيء الثاني والتي يجب الرجوع إليها في دراسة الموضوع.

د) إن عقيدة الملك الألفي تتعارض مع الفصول الكتابية التي تربط المجيء الثاني:

- بقيامة الأبرار والأشرار، -أي جميع الأموات- في وقت واحد.

(١) (رؤ: ٢٠: ٤).

(٢) (رؤ: ٢٠: ١-٢).

(٣) انظر: المجيء الثاني: (ص ١٦٢)، الملك الألفي: (ص ١٤-١٥).

- بالدينونة المتزامنة للأبرار والأشرار.
- بفناء العالم الحاضر وخلق سماوات وأرض جديدة.

فكل هذه الفصول الكتابية لا يرد فيها أي ذكر للملك الألفي، ولا تسمح بوجود فترة تتسع لمثل هذا الملك.

هـ) إن فكرة الملك الألفي في أساسها فكرة يهودية، ولها تطلعات يهودية، وواضح أنّها نبتت من المفهوم المادي عند اليهود بأن مملكة المسيا - المسيح - ستكون مملكة أرضية^(١). يتضح مما سبق أن الخلاف بين طوائف النصارى حول تفسير "الملك الألفي" خلاف جوهرى، وإن كان لا يمس حتمية المجيء الثاني للمسيح ﷺ، إلا أن كل طائفة فسرت الأمور الغيبية المتعلقة بالمستقبل وفق طريقتها الخاصة، فوصلت كل منها إلى طريق يختلف عن الأخرى مما يظهر الاختلافات والتناقضات التي اعتدنا عليها. . .

ولاشك بأن مجيء المسيح ﷺ ثانية للدينونة عند النصارى بالكيفية التي ذكرت من العقائد الوثنية التي تسربت إلى دينهم فلم يغادر النصارى شيئاً مما قاله الوثنيون عن آلهتهم المتجسدة إلا وقالوه بحق المسيح ﷺ!

يقول الكسندر موري: "كان اليونانيون القدماء يحترمون عيد قيام أدوني من بين الأمم ويعظمونه جداً، وكانوا يأتون بصنم على أنه أدوني ويتلون عليه جناز الموت وهم يكون ويرتلون أناشيد الحزن واليأس، ومن بعد ذلك ترتفع أصوات الفرحة والسرور وينادى بأن أدوني عاد حياً وقام".

وأوزريس المخلص المولود من عذراء قام من بعد موته والمصريون يدعونه الواحد المبعوث. وقال مهامي: "إن محور التعليم الديني عند الوثنيين في مصر في القرون الخالية هو الإيمان بقيام الإله الوسيط الظاهر بالناسوت والمولود من عذراء من بين الأمم، وأبدية

(١) دائرة المعارف الكتابية: (٥٩٥/٢).

تملكه لملكوت السماوات، وكانوا يعيدون عيد الفصح بفصل الربيع تذكّاراً لقيام الإله المخلص أدوني من بين الأموات ويمرحون فرحاً، ويموجون تيهاً، ويعتقدون أنه قدم نفسه ذبيحة فداء عن الناس، وأنه مانح للسلام والحياة وفتاح للحق.

ومترات مخلص الفرس وهو الوسيط بين الله والناس، كانت عبادته شائعة في بلاد الفرس والآرمن وآسيا الصغرى، مات قتيلاً ثم قام من بين الأموات، ويوم القيامة الواقع في ٢٥ آذار يأتون بشاب يتماوت ردحاً قصيراً، ثم يقوم على أنه عاد حياً، وما ذلك إلا تمثيلاً لموته وقيامته ويعتقدون أنه بتألمه نالوا الخلاص ويدعونه المخلص.

وفي يوم عيد قيامة المذكور سابقاً يقعد الكهنة على القبر الذي يعملونه في معابده ليكونه ويندبونه في ظلام الليل، ثم يشعلون السرج بغتةً وينادون: "افرحوا وتهللوا أيها القديسيون المخلصون فقد عاد ربكم الذي بموته وآلامه وأوجاعه نلنا الخلاص".

ويعتقد البوذيون بظهور بوذا مراراً عديدة بالناسوت ليؤهلهم ويعلمهم باتحادهم بذاته المحيطة، وأنه في الأيام الأخيرة يأتي أيضاً، وقد جاء ذكر هذا في كتبهم المقدسة، وأن المقصود من مجيئه إلى هذا العالم هو إعادة النظام والسعادة إلى هذه الدنيا.

ويعتقد الصينيون أنه في الأيام الأخيرة عند انقضاء الألف عام يأتي إلى الدنيا إنسان إلهي يعيد السلام والسعادة إليها، وكتبهم الدينية الخمسة مشحونة بذكر عصر ذهبي في المستقبل.

ويعتقد الجوس القدماء أنه سيمر على الأرض ألف عام يؤمن عندها الناس جميعاً بدين زورستر.

وأتباع بوخص ينتظرون مجيئه الثاني ليحكم على الدنيا ويعيد إلى الناس السعادة.

والاسكندنافيون القدماء يعتقدون أنه في اليوم الأخير سيصيب الناس بلايا وأوبئة وتتمت الأرض وتتساقط النجوم من السماء ومن بعد ذلك تقيد الحية العظيمة بسلاسل ويصبح دين "أدرين" مسيطراً على الجميع^(١).

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: محمد طاهر البيروتي، تحقيق: محمد الشرقاوي، دار الصحوة للنشر، القاهرة: (ص ١٥٨-١٦٩).

المبحث الثالث: نزول المسيح ﷺ ومدة مكثه في آخر الزمان في الإسلام.

نزول المسيح ﷺ في آخر الزمان حقيقة تؤكدتها نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة حيث يُعد نزوله شرطاً من أشراط الساعة الكبرى وأمانة من أمارتها.

يقول الباري تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا يَا إِلَهَتَنَا خَيْرٌ أَمُّهُ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرْتِ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [سورة الزخرف ٥٧-٦١]

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك وقتادة: "إنه خروج عيسى ﷺ، وذلك علم من أعلام الساعة؛ لأن الله ينزله من السماء قبيل قيام الساعة، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهما "وأنه لعلم للساعة بفتح العين واللام أي أمانة" (١).

ويقول جل شأنه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعَ الظُّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة النساء ١٥٧-١٥٩]، قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة المعنى: ليؤمنن بالمسيح، فالهاء عائدة على عيسى ﷺ، وروى مجاهد: أن الهاءين جميعاً عائدة لعيسى ﷺ والمعنى: ليؤمنن به من كان حياً حين نزوله يوم القيامة.

يقول الحسن: قبل موت عيسى، والله إنه لحي عند الله الآن؛ ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون، قال أبو هريرة رضي الله عنه: "قبل موت عيسى يعيدها ثلاث مرات" (٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، صححه أبو إسحاق وإبراهيم اطفيش،

الطبعة الثانية: (١٠٥/١٦).

(٢) المصدر السابق: (١١/٦).

يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالدَّتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا ۗ﴾ [سورة المائدة ١١٠]، وقوله: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة آل عمران ٤٦].

يقول أبو العباس: "كلمهم في المهدي حين برأ أمه فقال: إني عبد الله، وأما كلامه وهو كهل فإذا أنزله الله من السماء أنزله على صورة ابن ثلاث وثلاثين سنة، فهاتان آيتان وحجتان، يقول النحاس: "والكهل عند أهل اللغة من ناهز الأربعين" (١).

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: "الكهل الحليم" (٢).

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما تذاكرون؟»، قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والداية وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» (٣).

وقد تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالأخبار بتزول المسيح عليه السلام وأنه سيكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا يقبل الجزية.

فمن أسلم من أهل الملل قبل منه إسلامه وإلا قُتل، وهذا من باب الإخبار عن المسيح عليه السلام بذلك، و التشريع له بذلك فإنه إنما يحكم بمقتضى هذه الشريعة المطهرة، ويصلي مع المسلمين خلف إمامهم، ويقتل الدجال، ويكون إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً، وتكثر البركات في زمانه ويحل الأمن وتسود المحبة بين الناس ويهلك الله في زمانه يأجوج ومأجوج ببركة دعائه في ليلة واحدة، وتكون وفاته بالمدينة النبوية فيصلى عليه ويدفن بالحجرة النبوية (٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٩٠/٤ - ٩١).

(٢) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر - ١٤٠٣ هـ: (٣٤٣/١).

(٣) أخرجه: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، في صحيحه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الآيات التي تكون قبل الساعة: (٤/٢٢٢٥ ح/٢٩٠١).

(٤) النهاية في الفتن والملاحم، ابن كثير، دار المعرفة، الطبعة الرابعة: (١٥٠-١٤١/١).

أخرج البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن يتزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد».

وفي رواية: «حكماً عدلاً» وزاد: «حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»، ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا ان شئتم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء ١٥٩] (١).

كما أخرج أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجلاً مربعاً إلى الحمرة والبياض عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، وتقع الأمانة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ويصلي عليه المسلمون» (٢)، جاء في هذا الحديث أنه يمكن أربعين سنة، وثبت في صحيح مسلم أنه يمكن سبع سنين، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه، حتى تقبضه» (٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجمعة، باب التطيب للجمعة: (٥٥٦/٨ ح ٣٤٤٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني في المسند: مؤسسة قرطبة، القاهرة، الأحاديث مذيبة بتعليق شعيب الأرنؤوط: (٤٠٦/٢)، تعليق شعيب الأرنؤوط: الحديث صحيح.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكته في الأرض: (٢٢٥٨/٤ ح ٢٩٤٠).

قال ابن كثير رحمه الله: "فهذا مع هذا مشكل، اللهم إلا أن تُحمل هذه السَّبع على مُدَّة إقامته بعد نزوله، ويكون ذلك محمولاً على مُكثِّه فيها قبل رفعه مُضافاً إليه، وكان عمره قبل رفعه ثلاثاً وثلاثين سنة على المشهور، وهذه السبع تكملة الأربعين، فيكون هذا مُدَّة مُقامه في الأرض قبل رفعه وبعد نزوله، وأمَّا مُقامه في السَّماء قبل نزوله فهو مُدَّة طويلة. والله سبحانه أعلم" (١).

وعن النّوَّاس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رُحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم: قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طائفة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج حَلَّة بين الشام والعراق، فعاث يميناً وعات شمالاً يا عباد الله فاثبتوا» قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم»، قلنا يا رسول الله: فذلك اليوم الذي كسنة أتكفيننا صلاة يوم؟ قال: «لا اقدروا له قدره» قلنا يا رسول الله: وما إسرعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كنت ذُراً وأسبغه ضروراً وأمدّه خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون مملحين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: اخرجي كنوزك فلتبعه كنوزها كيغاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلاً شاباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعو فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فيتزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان

(١) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى:

كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدّ فيقتله، ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله ياجوج و مأجوج، وهم من كل حذب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ويُحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى ﷺ وأصحابه، فيرسل الله عليهم النعف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى ﷺ وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملاء زهمهم و تنتهم، فيرغب نبي الله عيسى ﷺ وأصحابه إلى الله، فيرسل طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر، ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة.

ثم يقال للأرض: أنبي ثمرتك، وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت أباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة»(١).

وعن ابن شهاب قال أخبرني نافع مولى أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه: أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»(٢).

وجاء عن الوليد بن مسلم عن ابن أبي ذئب عن ابن شهاب عن نافع مولى أبي قتادة رضي الله عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه:

(٤/٢٢٥٠-٢٢٥٥ ح ٢١٣٧).

(٢) المصدر السابق: كتاب الإيمان: باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ: (١/١٣٦ ح ٢٤٤).

فأممكم منكم» فقلت لابن أبي ذئب: إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع عن أبي هريرة: «وإمامكم منكم»، قال ابن أبي ذئب: تدري ما أمكم منكم؟ قلت: تخبرني، قال: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم" (١).

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة على نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ومن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه يتزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس يتزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها" (٢)، والواجب على كل مسلم التسليم بنصوص الكتاب والسنة والإيمان بمضمونها.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ: (١٣٧/١ ح ٢٤٦).

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية: شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة الخافقين دمشق الطبعة الثانية: (٩٤/٢).

الفصل الرابع

التناقض حول المطهر

وفيه تمهيد ومبحثان :

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من عقيدة المطهر.

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من عقيدة المطهر.

الفصل الرابع

التناقض حول المطهر

تمهيد:

ما هو مصير النفس بعد الموت؟

سؤال يردده علماء فرق النصارى، ويختلفون في الإجابة عليه! !

ففرقتنا الأرثوذكس والبروتستانت لهم رأي في حالة الروح بعد الموت، حيث نجد أن هناك اتفاقاً بين الفريقين على أن أرواح الصالحين تصعد إلى السماء مباشرة بعد الموت وتنعم في الفردوس مع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، بينما تذهب أرواح الأشرار إلى الجحيم، فلا يوجد مكان متوسط بين السماء والجحيم^(١).

أما فرقة الكاثوليك فلهم رأي يخالف الأرثوذكس والبروتستانت، فالحياة في مفهوم الكاثوليك لا تنتهي بموت الجسد، بل النفس تترك الجسد وتنزل إلى المطهر وهو مكان بين الجنة والنار تنفى فيه النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاء الكامل، فتعذب فيه مدة حتى تطهر، وعندئذ يُسمح لها بدخول الملكوت.

وعقيدة وجود المطهر من خصائص الكنيسة الكاثوليكية فحسب^(٢).

(١) انظر: هذه عقائدنا، ج. كلايدتارنر، الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل: (ص ١٤١-١٤٣)، اللاهوت النظامي: (ص ٥٤٤-٦٠٩).

(٢) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤١)، اللاهوت النظامي: (ص ٥٤٧)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٧٣-٧٤)، لماذا نرفض المطهر: (ص ١٨)؛ كتر النفائس: (ص ١٨٢-١٨٣)، شرح أصول الإيمان: (ص ٢٧٦).

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من عقيدة المطهر

عقيدة المطهر في الكنيسة الكاثوليكية قضية إيمانية، تلفت نظر المؤمن بها وتدعوه للتفكير في مسؤوليته عن أفعاله في الحياة وما بعد الموت^(١)، والتعريف بهذه العقيدة إنما يتحقق بتحديد مفهومها ونشأتها وأدلتها.

المطلب الأول: تعريف المطهر (Purgatory)

عند النصارى الكاثوليك "هو مكان تطهر فيه النفوس بعد الموت بعذاب موقوت"^(٢).

"وهو موضع متوسط بين النعيم والجحيم، تذهب إليه النفوس التائبة ولم تصل بعد إلى درجة النقاوة الكاملة للقاء الرب وتُنقى حيث تتعذب، أو بصلوات المؤمنين تفي ما بقي عليها من العدل الإلهي وتتطهر من الخطايا الصغيرة والهفوات، وتتقبل المغفرة من الله لتستحق الدخول للسماء التي لا يدخلها أي شخص دنس"^(٣).

وقيل: "هو حالة من يموتون في الصداقة الإلهية؛ ولكنهم وإن كانوا على ثقة من خلاصهم الأبدي ما زالوا يحتاجون للتطهير لدخول سعادة السماء"^(٤).

والمطهر: "عذاب تتطهر فيه نفوس الأبرار قبل دخولها السماء"^(٥).

إذاً فالمطهر عند الكاثوليك حال ومكان تذهب إليه النفوس التي لها بعض الهفوات والخطايا الصغيرة مما تغفر في الدهر الآتي، فتذهب هذه النفوس إلى مكان ثالث غير السماء وغير جهنم، وهذا المكان اصطُلحت الكنيسة الكاثوليكية على تسميته (المطهر)، وهو: سجن مؤقت تنال فيه نفس البار مغفرة خطاياها عن طريق احتمال بعض العذابات المؤقتة،

(١) انظر: التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢٢٢/١).

(٢) المعجم الوسيط: (٥٦٩/٢).

(٣) موسوعة علم اللاهوت: (٤٤١/٤).

(٤) مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٧١).

(٥) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى: (ص ٥٥).

حتى إذا ما تطهرت تماماً من سد خطاياها أدخلت من فورها للسماء مقر الطوباويين من الملائكة والقديسين^(١).

المطلب الثاني: نص العقيدة.

"في مجمع ليون الثاني (١٢٧٤م)، حيث أعلنت شهادة إيمان ميخائيل باليولوجس امبراطور القسطنطينية: إن مات المؤمنون التائبون حقاً في المحبة قبل أن يكفروا بثمار لائقة بالتوبة عما ارتكبهوه أو أهملوه، فستطهر نفوسهم بعد الموت بعقوبات مطهرة، هذا وإن شفاعات المؤمنين الأحياء ستفيدهم للتخفيف من هذه العقوبات، وهي ذبيحة القديس والصلوات والصدقات وسائر أعمال التقوى التي اعتاد المؤمنون أن يقوموا بها من أجل سائر المؤمنين بحسب ما أنشأته الكنيسة"^(٢).

المطلب الثالث: المجمع الكاثوليكية التي أعلنت وحددت عقيدة (المطهر).

أقرت الكنيسة الكاثوليكية عقيدة المطهر في بداية القرن السابع وصرح به قانونياً في عدة مجامع:

١. مجمع لاتيران المسكوني (١٢١٥م).
٢. مجمع ليون المسكوني (١٢٧٤م).
٣. وقد تم تأكيدها في مجمع فلورنسا المسكوني (١٤٣١م).
٤. وتم الحكم بقول "المطهر" كتعليم حقيقي للكنيسة الكاثوليكية في المجمع التريدينيني في الجلسة الخامسة والعشرين، وهي آخر جلساته بخصوص "المطهر" يقول: "لما كانت الكنيسة الكاثوليكية التي يرشدها الروح القدس قد علمت في مجامعها المقدسة وحديثاً في هذا المجمع المسكوني بأن ثمة مطهراً وبأن النفوس المعتقلة قد تساعد بصلوات المؤمنين

(١) انظر: الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٦٥).

(٢) عقيدة المطهر: للأب يوانس لحظي: (ص ٩).

ولا سيما بذبيحة المذبح^(١) الكفارية، فإن هذا المجمع المقدس يوصي الأساقفة بأن يهتموا الاهتمام كله بأن يؤمن المؤمنون بهذا التعليم الصادق عن المطهر، التعليم الذي تسلمناه من الآباء القديسين ومن المجمع المقدسة إيماناً ثابتاً، وأن يعلم ويبشر به في كل مكان، وأما الذي قرر بأن يُسمى مكان تطهير النفوس باسم (المطهر) وذلك بناءً على التقليد الشائع إذ ذاك وسلطة الآباء القديسين فهو البابا انيوشنسيوس الرابع في خطاب له لأسقف توسكولو بتاريخ: (٦ مارس ١٢٥٤م)^(٢).

٥. المجمع الفاتيكاني الثاني، مما جاء فيه عن المطهر: "إن الإيمان الخليق بالاحترام إيمان آبائنا بشركة الحياة بيننا وبين إخوتنا الذين وصلوا إلى المجد السماوي، أو الذين لا يزالون يتطهرون بعد موتهم ويتلقاه المجمع المقدس ببالغ التقوى"^(٣).

المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية

استدل الكاثوليك بعدد من الأدلة للبرهنة على صحة اعتقادهم بالمطهر أهمها:

أولاً: الكتاب المقدس.

أ- العهد القديم.

● تأكيد العهد القديم على أن الصلاة تكون من أجل غفران خطايا الذين ماتوا بخطاياهم، وعليه فلا بد من وجود مكان ثالث بين السماء وجهنم يتطهر فيه الإنسان من خطاياها، كما في سفر المكابيين الثاني: "وأخذوا يصلون ويتهلون إليه أن يمحو تلك الخطيئة، وبعد ذلك بدأ يهوذا النبيل يعظ الحاضرين أن يترهوا أنفسهم عن الخطيئة إذا رأوا بعيونهم (ما أصاب) الذين سقطوا لأجل الخطيئة، ثم جمع من كل واحد مقدمة فبلغ المجموع ألفي

(١) المذبح: مائدة مكعبة وسط الهيكل، يقام عليها -بحسب معتقد النصارى- الذبيحة المقدسة، ويوجد حول المذبح

غالباً أربعة أعمدة تنتهي بقبو يسمى العرش، ويرمز -عندهم- لقبو المسيح. قاموس المصطلحات الكنسية: (ص ٤٩).

(٢) انظر: اللاهوت النظامي: (ص ٥٤٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤١)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٦٧).

(٣) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٢/٩٧١)، وانظر: الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٦٨).

درهم من الفضة فأرسلها إلى أورشليم ليقدم بها ذبيحة عن الخطيئة، وكان ذلك من أحسن الصنيع وأتقاه؛ لاعتقاده قيامة الموتى لأنه لو لم يكن مترجياً قيامة الذين سقطوا لكنت صلاته من أجل الموتى باطلاً وعبثاً، ولاعتباره أن الذين رقدوا بالتقوى قد ادخر لهم ثواب جميل، وهو رأي مقدس تقوي ولهذا قدم الكفارة عن الموتى ليحلوا من الخطيئة" (١).

يوضح النص أن الصلاة هي من أجل غفران خطايا الذين ماتوا بخطاياهم؛ ولكن كيف تغفر الخطايا بعد الموت؟ كيف يتطهر الإنسان من خطاياهم ويقدم كفارة عنها إن كان هناك مكانان فقط السماء وجهنم ولا ثالث لهما؟! إن هذا النص يدعو كل إنسان للتفكير في هذا العمل الذي قام به يهوذا المكابي (٢).

ب- العهد الجديد.

● إعلان المسيح بأن الخطايا منها ما يغفر في هذه الدنيا، ومنها ما يغفر في الحياة الأخرى بعد الموت، حيث نُسب إليه: "كل من قال كلمة على ابن البشر يغفر له، وأما من قال عن الروح القدس فلا يغفر له لا في هذا الدهر ولا في الآتي" (٣).

وهنا يقول الأب يوانس لحظي في كتابه المطهر: "يظهر من النص أنه توجد خطايا تغفر في هذه الدنيا، وخطايا تغفر في الحياة الأخرى، وهنا نتساءل كيف تغفر الخطايا بعد الموت؟ كيف يتطهر الإنسان من خطاياهم ويقدم كفارة عنها إذا كانت هناك حالتان: في السماء وجهنم، ولا ثالث لهما كما يقول البعض، فأين المكان الذي تغفر فيه الخطايا؟" (٤).

(١) (٢ مك ١٢ : ٤٢-٤٦).

(٢) انظر: عقيدة المطهر للأب يوانس لحظي: (ص ١٠)، عقيدة المطهر الكاثوليكية: وليد عبد الحميد، جامعة النجف: (ص ٢٦٥).

(٣) (مت ١٢ : ٣٢).

(٤) عقيدة المطهر للأب يوانس لحظي: (ص ١٠).

يقول الأب لويس برسوم في كتابه المطهّر: "إذا سألت ما هي هذه الخطايا التي تغفر في الدهر الآتي أجبتك: إنها الخطايا غير الثقيلة، أي الخطايا العرضية كالخطايا التي تصنع دون إرادة كاملة أو معرفة كاملة، وكخطايا السهو وما إلى ذلك؛ لأن الخطايا الثقيلة لما كان عقابها جهنم وجهنم أبدية إذاً فهي غير قابلة للمغفرة في الدهر الآتي، وأما إذا سألت عن المكان الذي تغفر فيه تلك الخطايا؟ أجبتك: إنه ليس بالطبع السماء؛ لأن السماء مكان لا يدخله شيء نجس^(١)، ولا هو جهنم التي أعدت لأصحاب الخطايا الثقيلة: "الخائفون والكفرة والرجسون والقتلة والزناة والسحرة وعبدة الأوثان"^(٢).

إذاً فهو مكان ثالث غير السماء وغير جهنم، وهو ما تعارفنا على تسميته بالمطهّر"^(٣).

● تحذير المسيح للإنسان بضرورة إرضاء الخصم، مما نسب إليه قوله: "سارع إلى إرضاء خصمك ما دمت معه في الطريق لئلا يسلمك الخصم إلى القاضي والقاضي إلى الشرطي فتلقى في السجن، الحق أقول لك: لن تخرج منه حتى تؤدي آخر فلس"^(٤).

فطلب التوبة إنما يكون في الحياة وقبل الموت، وإذا مات الإنسان وعليه دين (أي غير تائب) فإنه يلتقى في السجن (المطهّر)، ولن يخرج منه حتى يوفي كل ما عليه، أي يتطهر تماماً من خطاياها، فالسجن هو المطهّر وليس جهنم؛ لأن من يدخل جهنم لا يخرج منها، فهي مصير أبدي، أما هنا فهو يشير إلى الخروج (لن يخرج) وبالطبع ليست السماء؛ لأنها

(١) (رؤ ٢١: ٢٧).

(٢) (رؤ ٢١: ٨).

(٣) الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٦٦).

(٤) (مت ٥: ٢٥-٢٦).

ليست سجن بل هي الفرحة الدائم مع الرب، فالسجن هنا إشارة إلى وجود مكان ثالث يوفي فيه الإنسان ديناً كان يجب إيفاءه على الأرض يسمى بالمطهر^(١).

● ما ورد في الرسالة الأولى إلى أهل كورونثوس: "سيظهر عمل كل واحد في يوم الله سيعلنه؛ لأنه في النار سيكشف ذلك اليوم، وهذه النار ستمتحن قيمة عمل كل واحد، فمن بقي عمله الذي بناه على الأساس نال أجره، ومن احترق عمله كان من الخاسرين، أما هو فسيخلص ولكن كما يخلص من يمر بنار"^(٢)، فالمقصود بالنار هنا كما يعتقد الكاثوليك هي النار التي تتقدم الدنيوية العامة، التي أعدت لتطهير مختاريه مما يشوبهم من عيوب ونقائص ليكونوا أهلاً لدخول السماء والتمتع بالسعادة الأبدية^(٣).

ثانياً: إيمان القديسين آباء الكنيسة بالمطهر^(٤).

أ- قول القديس قبريانوس: "إن التائبين الذين ماتوا بعد أن غفرت خطاياهم يجب عليهم أن يؤدوا في الحياة الأخرى ما تبقى لهم من التعويض المفروض، بينما الشهادة هي بمثابة تعويض كامل وافٍ، ليس بسيان غسل النفس من الخطايا باحتمال عذاب أليم طويل والتطهير بالنار وغسل النفس من الخطايا بشهادة الدم".

ب- قول القديس أوغسطينوس: "بعض الناس لا يعانون العذابات الزمنية إلا في هذه الحياة، وبعضهم بعد الموت فقط، وغيرهم في هذه الحياة وبعد الموت؛ إلا أنهم جميعاً يقفون بين يدي هذه المحكمة الصارمة الأخيرة".

(١) عقيدة المطهر للأب يوانس لحطي: (ص ١٠)، عقيدة المطهر: د. وليد عبد الحميد: (ص ٢٦٦).

(٢) (١ كو ٣: ١٣-١٥).

(٣) انظر: الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٦٧).

(٤) انظر: عقيدة المطهر للأب يوانس لحطي: (ص ١٢)، المطهر: د. وليد عبد الحميد: (ص ٢٦٧-٢٦٨).

ويتضح من كلامه السابق أن المطهر ليس حالة تبدأ بعد الموت ولكن بما أنها حالة اكتمال تكفير، فالتكفير يبدأ من هنا على الأرض ويكتمل بعد الموت بدلالة أن قسّم الناس إلى ثلاثة أصناف:

الأول: الذين يعانون العذابات في هذه الحياة الدنيا، ويقصد بهم الشهداء والقديسين الذين عاشوا تحت الاضطهاد والآلام وماتوا من أجل المسيح.

الثاني: الذين يعانون العذابات بعد الموت فقط، وهؤلاء الذين ماتوا دون أي تكفير عن خطايا الحياة الدنيا.

الثالث: الذين يعانون العذابات في هذه الحياة وبعد الموت، وهم الذين بدأوا مرحلة التكفير على الأرض وفاجأهم الموت، وبالتالي لا بد أن يكتمل تكفيرهم هذا وذلك يكون بعد الموت.

ج- قول كيرلس الأورشليمي^(١): "نتق بأننا نقدم عوناً كبيراً لنفوس الأموات بالصلاة من أجلهم، حين تكون الضحية المقدسة الرهيبة على المذبح نقدم لله من أجل الأموات صلواتنا، نقدم بوجه خاص المسيح المذبوح بسبب خطايانا وبذلك نستعطف الله المحب للبشر من أجلهم".

ثالثاً: صلوات الطقس القبطي.

الصلوات في الطقوس الدينية الكنسية تدل على أن نفوس الموتى في حالة تتطلب الصلاة من أجلها، وهذه ليست إلا حالة تكفير عن خطاياها، قد يكون بدأ على الأرض أو بعد الموت مباشرة، وهو ما تسميه الكنيسة الكاثوليكية بالمطهر.

(١) كيرلس الأورشليمي (٣١٣-٣٨٧): ولد بأورشليم أو قريباً منها لأبوين مؤمنين بالمسيحية في وقت تغلغت فيه الأفكار الآريوسية، نشأ راهباً ناسكاً، سيم شماساً سنة (٣٣٥م)، ثم قساً سنة (٣٤٣م)، أوكل إليه تعليم الموعوظين سنة (٣٤٨م، أو ٣٤٧م)، وفي أواخر عام (٣٥٠م) سيم أسقفاً على أورشليم. صدر حكم بنفيه وتجرده من أسقفيته ثلاث مرات، اشترك في مجمع القسطنطينية (٣٨١م) بناءً على أمر الامبراطور ثيودوسيوس، وفي عام (٣٨٨م) تنيح بعدما قضى (٣٨) عاماً أسقفاً على أورشليم منها (١٦) سنة في المنفى بعيداً عن أورشليم، تعد مقالاته للموعوظين من أهم كتاباته. انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص ٥٩٤-٦٠١)، القديس كيرلس الأورشليمي، القمص تادرس يعقوب ملطي، كنيسة الشهيد مارجرجس، اسبورتنج، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م: (ص ٧-١١).

أ- القداس الإلهي: بعد الجمع يقول الكاهن: "أولئك يا رب الذين أخذت نفوسهم نيحهم^(١) في فردوس النعيم في كورة الأحياء إلى الأبد في أورشليم السماوية في ذلك الموضع".

ب- في صلاة رفع البخور تصلي الكنيسة من أجل الراقدين: "تفضل يا رب نيح نفوسهم جميعاً في أحضان آباءنا القديس إبراهيم وإسحاق ويعقوب، كلهم جميعاً في موضع خضرة على ماء الراحة في فردوس النعيم، الموضع الذي هرب منه الحزن والكآبة والتنهد في نور قديسيك".

ج- في صلاة الجنازة.

1- جنازة الرجال الكبار: "وإن كان صنع شيئاً من الخطايا إليك مثل سائر البشر اغفر له وسامحه ولتزل عنه سائر عقوباته، لأنك لم تخلق الإنسان للهلاك بل للحياة نيحه في ذلك المكان".

2- في صلاة جنازة النساء الكبار: "نسألك يا محب البشر الممتحن ارجعها ونيحها وسامحها واغفر لها كثرة خطاياها وتجاوز عنها لأنك لم تخلق الإنسان للشروع بل للخيرات، فهي الآن أيضاً قائمة أمام منبر مسيحك، فليكن لها نياح وراحة وبرودة وفرح".

ويوجد كثير من هذه الصلوات التي إن دلت على شيء فإنما تدل على طلب هذه الراحة والغفران للنفس المتقلبة^(٢).

وتعتنق الكنيسة الكاثوليكية هذا المعتقد بوجود المطهر إيماناً منها برحمة الله البالغة وشفقته الشاملة بالخلق، فكان المطهر حتى لا يبقى الكثيرون ممن استحقوا العذاب في العذاب الأبدي إلى ما لا نهاية^(٣).

(١) المعنى المتعارف عليه عند النصارى أن تنيح بمعنى ارتاح وأخذ راحة وهدوءاً وسلاماً، ويقال عن الشخص أنه قد تنيح، أو هو متنيح، للدلالة على الذين انتقلوا، أي: توفوا. قاموس المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية.

(٢) انظر: عقيدة المطهر للأب يوانس لحظي: (ص ١٠)، عقيدة المطهر: د. وليد عبد الحميد: (ص ٢٦٨-٢٦٩).

(٣) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٧٤).

المطلب الخامس: العذاب في المطهر.

يرى الكاثوليك من النصارى أن في المطهر نوعين من العذاب:

الأول: عذاب الحرمان: وهو الحرمان من رؤية الله والتمتع بمشاهدة وجهه الكريم.

وهذه العقوبة تقترب بالثقة الوطيدة في السعادة الأخيرة (بعد المطهر)؛ لأن الموتى يعرفون أنهم أبناء الله وأصدقاؤه، ويتوقون إلى الاتحاد به اتحاداً صميمياً، فيزيدهم شعورهم هذا ألماً بعد الفراق المؤقت.

الثاني: عذاب الحواس: وهو عذاب النار تتطهر فيه النفوس من أدرانها قبل أن تلج

السماء^(١): "الحق أقول لك: لن تخرج منه حتى تؤدي آخر فلس"^(٢).

والعذاب الذي تتعرض له النفوس في المطهر هو أشد من كل عذاب في الحياة، حيث تتألم النفوس المطهريّة آلاماً فادحة، إلا أنه يمكن التخفيف عنها بالصلوات والأدعية، حيث يعتقد الكاثوليك في مساعدة النفوس التي تتعذب في المطهر وذلك بتقديم الطقوس الكنسية والصلوات لهم لكي يجتازوا فترة (المطهر) بأسرع وقت عن طريق أفعال الخير المقدمة لهم كالصلاة والصدقات ومنح الغفرانات وأعمال التوبة، خصوصاً عن طريق الذبائح المقدمة في الاحتفالات الإفخارستية.

وكان من تعليم الكنيسة في ذلك قولها:

"نمدّ لهم العون ونذكرهم، إن كان أبناء أيوب قد تطهروا بذبيحة أبيهم، لم نشك بأن تقادماً لأجل الراقيدين تجلب لهم بعض التعزية؟ ، فلا تتردد إذاً في مساعدة الذين رحلوا وتقدمة صلوات لأجلهم".

(١) مختصر في علم اللاهوت العقائدي، لودويغ أوت، ترجمة: جرجس المارديني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت:

(١٩٦٥م): (٢/١٥٠-١٥١).

(٢) (مت ٥: ٢٦).

وكذلك من تعليمها أيضاً: "ثمّة مكان للتنقية، والأنفس الموجودة هناك تؤازرها صلاة المؤمنين، ولا سيما ذبيحة الهيكل المرضية لدى الله" (١).

وجاء في كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ما يأتي: "كيف يمكننا المساهمة في تطهير النفوس في المطهر؟

إن المؤمنين الذين ما زالوا في رحلة على الأرض يمكنهم بمقتضى شركة القديسين أن يساعدوا النفوس التي في المطهر بالصلاة لأجلهم وخصوصاً بذبيحة الإفخارستيا، بل أيضاً بالصدقات والغفرانات وأعمال التوبة" (٢).

يقول البطريرك الأنطاكي مكسيموس مظلوم: "ونحكم أيضاً بأنّ الذين بعد فعل الندامة الحقيقية قد توفوا في حال محبة الله قبل أن يفوا بأفعال تستحق التوبة عن قصاص ما اجترموه وأهملوه فإن نفوسهم تتطهر بعد الموت بعذاب المطهر، وبأنّ أفعال المؤمنين الصالحة تفيدهم لنجاتهم من هذه العذابات، أي تقدمه القداس الإلهي والصلوات والصدقات وغير هذه من أفعال المحبة الممارسة من المسيحيين لأخوتهم المؤمنين" (٣).

"ولرؤساء الكنيسة الكاثوليكية ولاسيما البابا نفسه سلطة وقدرة على رفع العذاب عن النفوس في المطهر، وسبب هذا التعليم أن أصحابه يعتقدون أن المسيح أنقذهم من الخطية الأصلية وخطر الموت الأبدي بواسطة المعمودية، إذا لم يخطئوا بعد ممارستها، ولكن الخطايا التي ترتكب بعد المعمودية لا يكون التخلص منها إلا بجل من الكاهن عند الاعتراف الذي به الخلاص من القصاص الأبدي في هذه الحياة بواسطة سر التوبة وبعد الموت بعذاب المطهر،

(١) انظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية: (ص ٥٦)، الكنيسة الجامعة: الخوري جرجس فرج صغير. طبع بأورشليم دير الآباء الفرنسيسكانيين سنة (١٨٨٨م): (ص ١١٨-١١٩)، المسيحية في عقائدها: (ص ٤٨١) نقلا عن: الطائفة الكاثوليكية فرقتها وعقائدها وأثرها على العالم الإسلامي: أ. محمود بن علي آل عمر، جامعة أم القرى، مكة المكرمة: (ص ٣٣١-٣٣٢).

(٢) مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٧١).

(٣) إعلام مسمى صدق حقيقة الانبثاق ودحض المصّر على الانشقاق: (ص ١٠).

والوسائط العظيمة للتخلص من المطهر هي صلوات الأتقياء وذبيحة القديسين والغفرانات وتخصيص شيء من كنوز استحقاق القديسين^(١).

والملاحظ هنا أن تلك الصلوات والقرايين لا تلغي العذاب وإنما تخففه فقط، ويدوم العذاب في المطهر إلى أن يتم الوفاء تماماً بما على الإنسان من القصاصات الزمنية عن خطاياها.

المطلب السادس: حول المطهر عند الكاثوليك.

أولاً: أساسيات المطهر.

لعقيدة المطهر عند الكنيسة الكاثوليكية أساسان:

الأساس الأول: الإيمان بالدينونة الخاصة.

وهو من أهم أسس هذه العقيدة، وهي دينونة الله لكل إنسان بمفرده على الأعمال التي عملها في الدنيا وتتبعه إلى السماء بعد الموت مباشرة، فكل إنسان سيجازى حسب عمله، حيث لا يذهب إلى المطهر أو السماء أو جهنم إلا من اجتاز الدينونة الخاصة بصفة فردية، ومن خلال هذه الدينونة يتم تقرير مصيره^(٢).

فالكاثوليك يقسمون الناس إلى ثلاثة أقسام:

١. نوع بار ليس له حساب، وهؤلاء يندر وجودهم ولهم ملكوت السماوات.
٢. نوع من الأشرار، وهؤلاء هالكون ولهم جهنم.
٣. نوع متوسط، وهؤلاء لهم خطايا ثقيلة أو خفيفة لم ينالوا عنها قصاصاً في الأرض، لكنهم سينالون عنها قصاصاً في المطهر لكي يوفوا العدل الإلهي^(٣).

ويستند الكاثوليك في كلامهم عن الدينونة الخاصة إلى ما ورد في العهد الجديد من

نصوص تنسب إلى المسيح عَلَيْهِ السَّلَام وإلى ما ورد ذكره عن بولس.

(١) انظر: اللاهوت النظامي: (ص ٥٤٦)، كتر النفائس: (ص ١٨٥).

(٢) انظر: عقيدة المطهر، يوانس لحطي: (ص ٢).

(٣) الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٦٥).

١- نسب إلى المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: "كان رجل غني يلبس الأرجوان والكتان الناعم ويتنعم كل يوم تنعماً فاخراً، وكان رجل فقير اسمه لعازر ملقى عند بابه قد غطت القروح جسمه، وكان يشتهي أن يشبع من فئات مائدة الغني، غير أن الكلاب كانت تأتي فتلحس قروحه، ومات الفقير فحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم، ثم مات الغني ودفن، ورفع عينيه وهو في مثوى الأموات يقاسي العذاب، فرأى إبراهيم عن بعد ولعازر في أحضانه فنادى: يا أبت إبراهيم ارحمني! فأرسل لعازر ليبل طرف إصبعه في الماء ويبرد لساني، فإني معذب في هذا اللهب، فقال إبراهيم: يا بني، تذكر أنك نلت خيراتك في حياتك ونال لعازر البلاء، أما اليوم فهو ههنا يعزى وأنت تعذب، ومع هذا كله فبيننا وبينكم أقيمت هوة عميقة لكيلا يستطيع الذين يريدون الاجتياز من هنا إليكم أن يفعلوا ولكيلا يعبر من هناك إلينا"^(١)، فيصور المسيح في النص السابق -حسب معتقد الكاثوليك- حالة الإنسان بعد موته مباشرة حيث أنه يدان دينونة خاصة عما قدمه في الدنيا، فالغني والفقير كلاهما في حالة انتظار وفي مكان واحد، ثم جرى التمييز بينهما حيث حملت الملائكة الفقير إلى حضن إبراهيم ولم يذكر هذا للغني لأن الملائكة لا تحمل إنساناً خاطئاً، وفي كون الفقير يعزى والغني يعذب دليل على الدينونة الخاصة لكل فرد، حيث يمثل الشخص أمامها بعد موته مباشرة، وبناءً على هذا يتم تحديد مصيره إما في السماء أو المطهر أو جهنم"^(٢).

٢- ما جاء من كلام بولس لأهل فيليبي: "فالحياة عندي هي المسيح، والموت ربح، ولكن إذا كانت حياة الجسد تمكنني من القيام بعمل مثمر، فإني لا أدري ما أختار وأنا في نزاع بين أمرين: فلي رغبة في الرحيل لأكون مع المسيح، وهذا هو الأفضل جداً جداً، غير أن بقائي في الجسد أشد ضرورة لكم"^(٣).

(١) (لو ١٦: ١٩-٢٦).

(٢) انظر: عقيدة المطهر للآب يوانس لحظي: (ص ٢).

(٣) (في ١: ٢١-٢٥).

يرى الكاثوليك من خلال النص السابق أنه لا يوجد انتظار بعد الموت بل يكون مع المسيح، وذلك لا يتحقق إلا بعد الحساب عما اقترفه في حياته، وتلك هي الدينونة الخاصة التي تلي الموت مباشرة، إذ لو كان هناك انتظار للدينونة العامة لم يكن مع المسيح، فكيف يشتهي هذا الانتظار وهو عالم أن الجماعة محتاجة إليه؟ ألم يكن من الأفضل الانتظار مع الكنيسة المحتاجة إليه؟! (١).

الأساس الثاني: الخطيئة والعقاب.

أ- التفاوت بين الخطايا:

التفاوت بين الأشياء هو من طبيعة الحياة، وفي الخطيئة يوجد هذا التفاوت، فمنها الخطيئة الكبيرة والصغيرة، ومنها ما يُصلى لأجلها وما لا يصلى من أجلها، وتُسميها الكنيسة في لاهوتها "الخطيئة المميتة والخطيئة العرضية"، فهناك خطيئة تُغفر وخطيئة لا تُغفر. ويعتقد الكاثوليك أن من الخطايا خطيئة تؤدي بصاحبها إلى جهنم الأبدية، وخطيئة لا تؤدي إلى جهنم؛ لكنه بسببها لا يدخل إلى السماء إلا بعد أن يتطهر منها في المطهر، واستدلوا على ذلك بأدلة منها:

١. ما جاء عن المسيح أنه أوصى أتباعه بقوله: "لا تدينوا لثلاث تدانوا، فكما تدينون تدانون ويكال لكم بما تكيلون، لماذا تنظر إلى القذى الذي في عين أخيك؟ والخشبة التي في عينك أفلا تأبه لها؟! بل كيف تقول لأخيك: دعني أخرج القذى من عينك وها هي ذي الخشبة في عينك؟ أيها المرئي اخرج الخشبة من عينك أولاً، وعندئذ تبصر فتخرج القذى من عين أخيك" (٢).

لقد شبه المسيح الخطيئة الصغيرة بالقذى الذي يقع في العين ويرى بصعوبة لصغر حجمها، فهذه الخطيئة الصغيرة لا تؤدي إلى هلاك صاحبها ومع هذا لا

(١) عقيدة المطهر للآب يوانس لخطي: (ص ٢).

(٢) (مت ٧: ١-٥).

يجب أن تمهل بل لا بد من التخلص منها، وشبه الخطيئة الكبيرة بالخشبة التي تقف حائلاً بين الإنسان وأخيه الإنسان بل بينه وبين ذاته، وتؤدي إلى هلاكه، فوضح من خلال النص أن هناك تفاوتاً بين الخطايا^(١).

٢. ما ورد عن المسيح أنه فرّق بين الخطيئة التي تغفر، والخطيئة التي لا تغفر بقوله: "لذلك أقول لكم: كل خطيئة وتجديف يغفر للناس، وأما التجديف على الروح فلن يغفر، ومن قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له، أما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذه الدنيا ولا في الآخرة"^(٢).

وهذا المعنى أكدته قول القديس بولس إلى أهل روما: "إن أجره الخطيئة الموت" وهو ما يذكره القديس يوحنا في رسالته: "هناك خطيئة للموت"^(٣).

ب- عقاب الخطيئة.

لما ثبت أن الخطايا متفاوتة لزم من ذلك تفاوت العقاب أيضاً، وغفران الخطيئة شيء وعقابها شيء آخر، فغفران الخطايا لا يمنع من العقاب والتكفير، فالغفران-حسب اعتقادهم- يلزم من إيمانهم بالتحسد والفداء والصلب تكفيراً عن الخطيئة الأصلية واشتراكهم في آلام المسيح وتألّمهم معه.

وأما العقاب فهو بمثابة تطهير للنفس، كما تُطهر الناس الحديد من الصدأ ليرجع إلى طبيعته الأولى^(٤)، وهذا العقاب يكون على قدر الخطيئة، الأمر الذي يعتقد الكاثوليك أن المسيح بينه بقوله: "ويكال لكم بما تكيلون"^(٥).

(١) انظر: عقيدة المطهر للآب يوانس لحظي: (ص٦).

(٢) (مت ١٢: ٣١-٣٢).

(٣) انظر: عقيدة المطهر للآب يوانس لحظي: (ص٧).

(٤) انظر: عقيدة المطهر د. وليد عبد الحميد: (ص٢٧٦)، عقيدة المطهر للآب يوانس لحظي: (ص٨).

(٥) (مت ٧: ٢).

ثانياً: فلسفة المطهر لدى الكاثوليك.

تتجلى فلسفة المطهر لدى الكاثوليك في ثلاثة أركان:

- طبيعة الله.
- طبيعة الإنسان.
- إيمانهم بالمحبة المطهرة.

أولاً: طبيعة الله: يعتقد الكاثوليك أن طبيعة الله هي المحبة الكاملة التي يستمدون منها كل محبة حيث يوجد فيها الفرح الكامل والسعادة الكاملة، ويوجد فيها كل ما يتوق الإنسان إليه بطريقة كاملة لا نهائية.

ومحبة الله هي أن يشرك الإنسان في محبته وسعادته وفرحه الكامل، وهذه المحبة الكاملة لا ولن يشاركها أي محبة ناقصة، فالمشاركة لهذه المحبة تكون على نفس الكمال الذي هو فيها، وأنه لا توجد محبة كاملة غير الله لأن الله هو مصدر كل شيء، ولكن توجد محبة خلقت من الله تسعى لأن تكون كاملة، وهي محبة الإنسان التي وهب إياها من الله.

ثانياً: طبيعة الإنسان: يؤمن الكاثوليك بأن الإنسان هو صورة الله ومثاله: "وقال الله: لنصنع الإنسان على صورتنا كمثلنا: . . . فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم" (١).

فالإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله مدعو للقداسة مثل الله، كما ينص على ذلك سفر الأحبار في أكثر من موضع: "وكلم الرب موسى قائلاً: مُر كل جماعة بني إسرائيل وقل لهم كونوا قديسين لأني أنا الرب إلهكم قدوس" (٢).

(١) (تك ١: ٢٦-٢٧).

(٢) (أح: ١٩: ١-٢).

فالإنسان إذاً مطبوع بطبيعة الله استناداً لما ورد في رسالة القديس بطرس الثانية إلى أتباعه: "من سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله إلى الذين نالوا من فضل بر إلهنا....، لتصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية في ابتعادكم عما في الدنيا من فساد الشهوة"^(١).

وهذه القدرة في المشاركة في الطبيعة الإلهية وهبت للإنسان في المعمودية ليشارك المسيح في موته وقيامته، ويدخل من خلالها الحياة فائقة الطبيعة، أي الحياة في المسيح، التي بدأت على الأرض وتكتمل في السماء، وحتى يصل الإنسان إلى هذه الرؤية لا بد من التخلص من نقصه في المحبة؛ لأن الإنسان إلى آخر لحظة من حياته لن يتخلى عن ذاته، ولن يخرج من ذاته ليكون مثل الله، وحتى يتخلص من هذا النقص في المحبة لا بد أن يتطهر، فلا بد من المطهر لكل إنسان حتى يشترك في حياة الله المحبة الكاملة.

ثالثاً: المحبة المُطَهِّرة: يعتقد الكاثوليك بأن الإنسان يبدأ التكفير في الحياة الدنيا للتححرر من ذاته وليهبها لله، وهذا التحرر هو الألم الذي يعانیه في حياته ويستكمل بعد موته، وهذا الألم الذي يعانیه الإنسان في حياته إن لم يكن له قيمة تطهير لصار ألماً لا يحتمل وحجر عثرة في حياة الإنسان يؤدي به إلى هلاك نفسه، ولذا يقال: إن المطهر يبدأ هنا في هذه الحياة الدنيا على الأرض ألماً قد يكون في الجسد مع النفس وبعد الموت يكون تطهيراً بالنار.

ولا فرق بين النار التي تهلك في جهنم، والنار التي تطهر في المطهر، والنار التي تُسعد في السماء، فالناس مختلفون أمام المحبة الثابتة اللامتناهية: فإن كانوا مخالفين تماماً للمحبة عذبتهنم نار الله، وإن كانوا قادرين على الإطهار طهرتهم هذه النار، وإن كانوا متحدين بالله أسعدتهم هذه النار، فنار المحبة هي التي تطهر مع اختلاف بسيط بين نار جهنم ونار المطهر في أن الأولى مؤقتة والثانية دائمة.

وعليه فإن المطهر هو محبة مطهرة لا بد للإنسان أن يمر بها ليدخل ويشارك الله محبته الكاملة، فالمطهر هو ألم يقاسيه الإنسان طوعاً ليشترك في خلاص نفسه، وهو ألم اختياري لا يريد الإنسان أن يفوته على الإطلاق ففيه يحترق الإنسان بنار المحبة المطهرة، وكلما شعر

(١) (٢ بط: ١: ٤).

بالاحترق والتطهير رأى نفسه يمتلك القدرة على مشاركة المحبة الكاملة (الله) فيغمره فرح لا يفوقه فرح آخر إلا فرح السماء، وحين يرى الإنسان نفسه أمام المحبة الكاملة لا يسعه إلا أن يرغب فيها، وليس ألمه إلا الشعور بأنه غير قادر على ذلك تماماً، فألم الإنسان هنا هو الاعتراف في وعي تام بأنه عاجز عن المحبة الحقيقية.

والمطهر هو ساعة الحقيقة باكتشاف النفس في كامل حقيقتها على ضوء قداسة الله، وهذه المعرفة التامة للنفس يسميها البعض (صلب النفس)، حيث يشعر الإنسان بألم التطهير ويفرح بالتخلص من نقص المحبة، وليدخل ويشارك الله المحبة الكاملة^(١).

(١) انظر: عقيدة المطهر: د. وليد عبد الحميد: (ص٢٧٦-٢٧٩)، عقيدة المطهر للأب يوانس لحطي: (ص١٤-١٧).

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من عقيدة المطهر.

رفضت الكنائس الأرثوذكسية والبروتستانتية فكرة المطهر^(١)، بل اعتبرها البروتستانت من العقائد الوثنية التي دخلت للكنيسة الكاثوليكية من المصريين القدماء والإغريق والرومان، إذ قد نقلها الكهنة الكاثوليك لما فيها من منفعة مادية، فاستطاعوا أن يستغلوها في جمع النقود للصلاة في القديس على الأرواح التي يقال أنها تتعذب بمطهر^(٢).

وقد أورد الرافضون لهذه العقيدة من النصارى جملة من الاعتراضات منها:

١. إن عقيدة المطهر لا مستند لها من نصوص الكتاب المقدس، إذ تؤكد النصوص على مكانين فقط لا ثالث لهما هما: السماء، والجحيم، وليس فيها ما يشير على الإطلاق إلى عذاب المؤمنين بعد موتهم، بل فيه ما ينفي ذلك ولو ادعى الكاثوليك أن في الكتب تلميحاً إلى المطهر.

وأما الكتب التي تذكر المطهر، فهذه لم تكتب في أيام الرسل، بل بعدهم بأجيال كثيرة، والكتب الأصلية القانونية لا يوجد فيها هذا أصلاً، وعليه فإن هذا التعليم إضافة بشرية على كل التعاليم الإلهية، فهو يتناقض تماماً مع ما جاء في الأسفار المقدسة^(٣).

ورد في شرح أصول الإيمان:

س: "هل يوجد محل كـ (المطهر) أو (السجن) ليقوم فيه شعب المسيح غير المكملين إلى أن يطلقهم الله بصلوات الكنيسة وقدايس الكهنة؟

ج: لا دليل على وجود محل كهذا، ولا أحد قرأ في كتاب الله عن رسول أو قسيس يأمر بتقديم قدايس لأجل الموتى أو يقف ليقدمها لأجلهم، بل يتضح جلياً من كتاب الله أن

(١) انظر: اللاهوت النظامي: (ص ٥٤٨)، لماذا نرفض المطهر: (ص ١٨)، شرح أصول الإيمان: (ص ٢٦٧).

(٢) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤١)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس: صموئيل يندكت، الفصل

الخامس، البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية، ميخائيل مشاققة، طبع في بيروت ١٨٦٤م: (ص ٩٤)، الباحث في

اعتقادات بعض الكنائس: كاتب إنجيلي، طبع في بيروت ١٨٦٦م: (ص ١١٢).

(٣) المصادر السابقة، والصفحات نفسها.

الأشرار عند موتهم يهبطون إلى جهنم حيث يعذبون إلى الأبد، والأبرار يصعدون إلى النعيم ويتباركون بالغبطة التامة إلى الأبد"^(١).

٢. إن المطهّر كتكفير هو ضد كفارة المسيح بل ويلغيها، وضد الخلاص وسر التوبة والكهنوت والمغفرة.

يقول البابا شنودة الثالث في رده على عقيدة المطهّر: "إن المطهّر ضد عقيدة الكفارة والفداء، فلو كان الإنسان يستطيع أن يكفر عن خطاياها أو يوفي مطالب العدل الإلهي لما كانت هناك ضرورة أن الابن يخلي ذاته ويأخذ شكل العبد ويتجسد ويصلب ويموت، فأساس عقيدة الكفارة والفداء أن الإنسان عاجز كل العجز عن إيفاء مطالب العدل الإلهي مهما فعل ومهما عوقب ومهما نال من العذاب"^(٢).

فالإيمان بوجود المطهّر يتناقض تماماً مع مبدأ فداء وكفارة المسيح وكفاية دمه لخلاص البشر وإلا فما الحاجة إلى تعذيب مؤقت عن بعض الشهوات والشُرور العرضية والنص صريح^(٣) "إن دم المسيح يطهر من كل خطيئة"^(٤).

يقول الأنبا غريغورس: "ولكننا لا نؤمن بنار تتطهر فيها أرواح الموتى، وذلك أن ناراً مهما تكن صورتها لن تقوى على تطهير النفس من خطاياها، وإلا يكون موت المسيح عن حياة العالم عبثاً ولغوياً وباطلاً، وإنما التطهير بدم المسيح الفادي واستحقاقاته الخلاصية بالكفارة والفداء الذي قام به عن طريق الصليب، وليس من حاجة إلى مطهر آخر؛ لأن دم المسيح يطهرنا من كل خطيئة، وكما أن الأرواح تنتظر يوم الدينونة العام، فلن ينالها عذاب من نار إلا بعد أن تتلبس بأجسامها بعد القيامة والحساب"^(٥).

(١) شرح أصول الإيمان: (ص ١٩٥).

(٢) لماذا نرفض المطهّر: (ص ٢٢).

(٣) موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤٣).

(٤) (١ يو: ٧).

(٥) اللاهوت المقارن: الأنبا غريغورس: (ص ٣٥٦-٣٥٧).

٣. إن المطهر مخالف لتعليم المسيح؛ لأن الكنيسة الكاثوليكية تميل بالأكثر إلى الأغنياء وتجعل طريق السماء للغني أسهل مما هو للفقير، والحال أن تعليم المسيح كان بخلاف ذلك، وكان ميله بالأكثر إلى الفقراء وكان بذاته فقيراً، وأما الكنيسة المذكورة فإنها تسهل الطريق للأغنياء وتضيقه على الفقراء، وتعلم أن الأرواح عند انفصالها من الجسد تذهب إلى المطهر، وأن خلاصها منه إنما يكون بالصلوات والقداسات وما شابه ذلك، ومعلوم أن هذه الوسائط لا تتقدم في الغالب عن الأموات ما لم تؤخذ أثمانها، فماذا يصنع الفقير الذي ليس له ما يعطي أجره القداسات؟ فهذه الديانة لا تناسب الفقراء بل تناسب أصحاب الأموال فقط، إن عقيدة المطهر تنحرف بالنفوس عن مخلصها يسوع وهي مناقضة لكلمة الله، وليست سوى اختراعاً بشرياً لربح المال، ويجب على كل مسيحي رفضها رفضاً كلياً^(١).

٤. إن الذين يعاصرون القيامة ويُخطفون إلى السماء لا يدخلون المطهر مهما كانت لهم خطايا عرضية أو غيرها فكيف يتم العدل الإلهي حينئذ؟! فإن كان عدل الله يسمح بمساحة هؤلاء المختطفين فبنفس المنطق يسامح السابقين لهم ما دامت العدالة الإلهية راضية، وعليه فلا حاجة لمطهر.

فإن قيل: لا يختطف هؤلاء دون أن يتطهروا، قلنا: كيف يكون التصرف مع هؤلاء حينئذ؟ وكيف يكون التصرف مع مجموعة أخرى من معاصري القيامة كانت عليهم عقوبة وجاءت القيامة قبل أن يتموها، وهؤلاء لم يدخلوا المطهر؛ لأنه لا مطهر بعد القيامة العامة، وهذا يتنافى مع العدل الإلهي^(٢).

٥. إن تعليم المطهر يناقض العقل لأنه يقول: إن نار العذاب تطهر نفوس البشر، فما علاقة نار العذاب بالتطهير الأخلاقي؟ وما هي العلاقة بين فعل النار المادية وتطهير النفس الروحي؟ وأين ذلك كله من قول الكتاب: "إن دم يسوع المسيح يطهر من كل خطية" وأن الأطهار "غسلوا ثيابهم بدم الحمل" وليس بنيران المطهر؟!

(١) انظر: المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص ١١٢)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس: الفصل الخامس.

(٢) انظر: المطهر، يوآنس لحظي: (ص ١٧)، المطهر، د. وليد عبد الحميد: (ص ٢٨٠)، لماذا نرفض المطهر: (ص ٧٠).

٦. أدى تعليم المطهر إلى أضرار جسيمة في تاريخ الكنيسة، ولا يخفى أن السلطان الذي لا يؤتمن عليه إلا الله نفسه، إذا سلّم إلى أناس خطاة ضعفاء، لا بد أن ينتهي بأعظم فساد^(١).

يتضح مما سبق أن الخلاف حول "المطهر" بين الأرثوذكس والبروتستانت من جهة وبين الكاثوليك من جهة أخرى خلاف جوهري، وإن كانت فرق النصراني تتفق فيما بينها على المصير الأخير للأرواح، حيث تنعم أرواح الأبرار في السماء، بينما تعذب أرواح الأشرار في الجحيم.

وبالنظر إلى عقيدة المطهر من منظور إسلامي فهي في أصلها إيمان بالبرزخ؛ إلا أن هذه العقيدة النصرانية قد شابهها العديد من الشوائب التي انحرفت بها عما جاء من عند الله تبارك وتعالى.

إن تصور الكاثوليك للدينونة الخاصة وما يترتب عليها من نزول الأرواح "للمطهر" وإن كان بينها وبين البرزخ وجه شبه؛ إلا أنها تختلف عن التصور الإسلامي في أمور شتى منها: (١) المراد بالبرزخ في الإسلام: دارٌ ما بين الدنيا والآخرة، قبل الحشر، من وقت الموت إلى البعث^(٢)، أما مطهر الكاثوليك فهو سجن مؤقت متوسط بين النعيم والجحيم^(٣).

(٢) من مات دخل البرزخ -جميع النفوس بلا استثناء برها وفاجرها- وكان فيه منعماً أو معذباً^(٤) يقول ﷺ: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون ١٠٠]، بخلاف المطهر عند الكاثوليك القاصر على النفوس التائبة التي لم تصل إلى درجة النقاء الكامل^(٥)، يقول البطريك الأنطاكي مكسيموس مظلوم: "ونحكم أيضاً بأن الذين بعد فعل الندامة

(١) اللاهوت النظامي: (ص ٥٤٨-٥٤٩).

(٢) انظر: لسان العرب: (٨/٣).

(٣) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤١)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٦٥).

(٤) انظر: توحيد العبادة، للعلامة: شريعت سنكلجي، تحقيق: خالد البديوي، أشرف على الترجمة: عبد الله البلوشي: (ص ١٢٦).

(٥) موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤١).

الحقيقية قد توفوا في حال محبة الله قبل أن يفوا بأفعالٍ تستحق التوبة عن قصاص ما اجترموه وأهملوه، فإن نفوسهم تتطهر بعد الموت بعذابات المطهر^(١).

(٣) يكون في البرزخ أمور، منها: امتحان الميت بسؤال منكر ونكير، على ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت يهودية فاستطعمت على بابي، فقالت: أطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال، ومن فتنة عذاب القبر، قالت عائشة رضي الله عنها: فلم أزل أحبسها حتى جاء رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله ما تقول هذه اليهودية، قال: «وما تقول؟»، قلت: تقول: أعاذكم الله من فتنة الدجال، ومن فتنة عذاب القبر، قالت عائشة: فقام رسول الله ﷺ فرفع يديه مدّاً يستعيد بالله من فتنة الدجال، ومن فتنة عذاب القبر، ثم قال: أما فتنة الدجال فإنه لم يكن نبي إلا قد حذر أمته، وسأحذركموه تحذيراً لم يحذره نبي أمته، إنه أعور؛ والله وَعَلَيْكَ ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن، فأما فتنة القبر فيفتنون، وعني تسألون، فإذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف، ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: في الإسلام، فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله عز و جل فصدقناه، فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله وَعَلَيْكَ، ثم يفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك منها، ويقال: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله، وإذا كان الرجل السوء أجلس في قبره فزعاً مشعوفاً، فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري، فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت كما قالوا، ففرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: انظر إلى ما صرف الله وَعَلَيْكَ عنك، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً، ويقال له: هذا مقعدك منها، كنت على الشك، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله، ثم يعذب^(٢).

(١) إعلام مسمى صدق حقيقة الانبثاق ودحض المصر على الانشقاق: (ص ١٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: (٦/١٣٩/١٣٣٣ ح/٢٥١٣٣). تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

أما في اعتقاد الكاثوليك فإن الميت يدان دينونة خاصة أمام منبر المسيح ﷺ بعد موته مباشرة، وفي هذه الدينونة يتحدد مصيره، إما في السماء، وإما في المطهر، وإما في جهنم، وهذا ما تنكره وترفضه طوائف النصارى الأخرى. (١)

٤) تتفاوت الأرواح في مستقرها في البرزخ تفاوتاً عظيماً، فمنها المنعم ومنها المعذب يقول ابن القيم رحمه الله: "فمنها أرواح في أعلى عليين في الملا الأعلى وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ليلة الإسراء. ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه، أو غيره كما في المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، مالي إن قتلت في سبيل الله؟ قال رحمه الله: «الجنة. فلما ولى قال: إلا الدين! سارني به جبريل آنفاً» (٢).

ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة كما في الحديث الآخر: صلى النبي ﷺ الصبح فقال: «ههنا أحد من بني فلان، قالوا: نعم. قال: إن صاحبكم محتبس على باب الجنة في دين عليه» (٣).

ومنهم من يكون محبوساً في قبره كحديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال النبي ﷺ: «كلًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْرٍ مِنَ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصَبَّهَا الْمَقَاسِمُ لِتَشْتَعَلَ عَلَيْهِ نَارًا، فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ النَّاسُ جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ» (٤).

ومنهم من يكون مقره باب الجنة، كما في حديث ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة

(١) انظر: عقيدة المطهر: يوانس لحظي: الفصل الأول، عقيدة المطهر، د. وليد عبد الحميد: (ص ٢٧٠-٢٧٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٣٥٠/ح ١٩١٠٠). تعليق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٥/١١/ح ٢٠١٣٦). تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (١٦/٦٠٠/ح ٦٧٠٧)

وعشية»^(١)، وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نحر الدم تسبح فيه، وتلقم الحجارة، فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد، بل روح في أعلى عليين، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض^(٢)، بخلاف المطهر عند الكاثوليك حيث يقصرونه على العذاب فقط^(٣).

(٥) العذاب والنعيم في البرزخ يقعان على الروح، والبدن تبع لها، وهذا هو ما قرره أئمة أهل الإسلام^(٤)، بخلاف مطهر الكاثوليك؛ حيث يقتصر العذاب على النفس فقط^(٥).

(٦) العذاب في البرزخ حق، "يعذب الله من استحقه إن شاء، وإن شاء عفا عنه"^(٦). وهذا بخلاف العذاب في مطهر الكاثوليك؛ حيث إن العذاب واقع فيه لا محالة، والنفوس التائبة التي لم تصل إلى درجة النقاء الكامل^(٧) "تتطهر بعد الموت بعذابات المطهر"^(٨).

(٧) العذاب في البرزخ على نوعين:

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (١/٢٦٦/٢٣٩٠). تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) الروح، في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ: (ص ١١٥-١١٦).

(٣) مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٧١).

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي والمسمى بـ (إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل)، شرحها الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، المكتبة الشاملة: (٤/٣٣).

(٥) انظر: عقيدة المطهر: للأب يوانس لحطي: (ص ٩)، إعلام مسمى صدق حقيقة الانشقاق ودحض المصير على الانشقاق: (ص ١٠).

(٦) اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، تحقيق: محمد الخميس، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى: (ص ٩٠).

(٧) موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤١).

(٨) إعلام مسمى صدق حقيقة الانشقاق ودحض المصير على الانشقاق: (ص ١٠).

- "النوع الأول: عذاب دائم، وهو عذاب الكافر، كما قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ

عَلَيْهَا غُدُورًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ [سورة غافر ٤٦].

- النوع الثاني: يكون إلى مدة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة من المؤمنين، فيعذب بحسب جُرمه ثم يخفف عنه، وقد ينقطع العذاب بسبب دعاء أو صدقة أو استغفار" (١).

أما العذاب في مطهر الكاثوليك فهو عذاب مؤقت، حيث جاء عنهم إن المطهر هو: "سجن مؤقت تنال فيه نفس البار مغفرة خطاياها عن طريق احتمال بعض العذابات المؤقتة، حتى إذا ما تطهرت تماماً من سد خطاياها أدخلت من فورها للسماء مقر الطوباويين من الملائكة والقديسين" (٢).

ولا ينقطع العذاب في المطهر، وإنما يخفف فقط بما يقدم للنفوس المطهّرية من صلوات وصدقات، كما جاء عنهم: "هذا وإن شفاعات المؤمنين الأحياء ستفيدهم للتخفيف من هذه العقوبات، وهي ذبيحة القداس والصلوات والصدقات وسائر أعمال التقوى التي اعتاد المؤمنون أن يقوموا بها من أجل سائر المؤمنين بحسب ما أنشأته الكنيسة" (٣).

٨) في البرزخ لا يرفع العذاب عن العبد إلا الله ﷻ، أما في مطهر الكاثوليك فإنهم يزعمون أن "الرؤساء الكنيسة الكاثوليكية ولا سيما البابا نفسه سلطة وقدرة على رفع العذاب عن النفوس في المطهر" (٤).

وهكذا فإن عقيدة المطهر عند الكاثوليك تختلف عن ما تواترت به النصوص في أمور البرزخ، وهذا الموضوع يستحق عناء البحث عنه، ونقده نقداً علمياً موضوعياً، وفق ما جاء في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ.

(١) شرح العقيدة الواسطية، للشيخ صالح الفوزان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض: (ص ٦٩).

(٢) انظر: الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٦٥).

(٣) عقيدة المطهر: للأب يوانس لحطي: (ص ٩).

(٤) انظر: اللاهوت النظامي: (ص ٥٤٦)، كتر النفائس: (ص ١٨٥).

الفصل الخامس

التناقض حول صكوك الغفران

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من صكوك الغفران.

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من

صكوك الغفران.

المبحث الثالث: منح المغفرة في الإسلام.

الفصل الخامس

التناقض حول صكوك الغفران

تمهيد:

صكوك الغفران مصطلح شاع في الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى كوسيلة للخلاص من عذاب المطهر، أو الحد منه، وذلك بخصم مدد زمنية متفاوتة تصل لأيام وسنوات^(١).

حيث تقرر في مجمع لاتيران الرابع المنعقد في روما سنة (١٢١٥م) أن للكنيسة حق الغفران تمنحه لمن تشاء، ومن ثمّ فهي تملك حق الحرمان^(٢)، فأصبح رجال الكنيسة يؤكّدون للناس أن هذه الصكوك والسندات تضمن لهم غفران الذنوب والخطايا، ليست الماضية فحسب بل والمستقبلية أيضاً، حتى في تلك الحالة التي تفيض فيها الروح لبارئها عند الاحتضار! !

وتنقذ كذلك نفوس أقربائهم وذويهم من عقوبات المطهر، يقول جوهان تيتزل^(٣) في إحدى عظاته عن فائدة هذه الصكوك للنفوس المطهّرة: "في اللحظة التي ترن فيها نفودكم في قاع الصندوق تنطلق النفس من المطهر وتصير حرة في السماء"^(٤).

(١) انظر: لماذا نرفض المطهر: (ص٧٨-٨٠)، هل افتدانا المسيح على الصليب، د. منقذ السقار، دار السلام. الطبعة الأولى: (ص١٥٣).

(٢) انظر: مصادر النصرانية: (ص٨٧٣)، محاضرات في النصرانية: (ص١٧٩)، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: (ص٣٤٤)، عقائد أهل الكتاب، أحمد مختار رمزي، دار الفتح للدراسات والنشر، الطبعة الأولى: (ص١٦٨).

(٣) جون تيتزل: راهب ألماني ولد في ليسيك سنة (١٤٦٠م)، تعلم اللاهوت والفلسفة في مدرسة ليسيك الكلية، وفي سنة (١٤٨٩م) أصبحت له شهرة كواعظ، وقد صور المؤرخون رذالة سيرته بألوان تقشعر منها الأبدان، توفي سنة: (١٥١٩م) في ليسيك. انظر: كثر النفائس: (ص٤٨).

(٤) انظر: أضواء على الإصلاح الإنجيلي: القس فايز فارس، دار الثقافة: (ص٣٢)، المصلح مارتن لوثر (حياته وتعاليمه)، القس حنا جرجس الحضري، دار الثقافة: (ص٥٢)، الأسفار المقدسة: (ص١١٩)، عقائد أهل الكتاب: (ص١٧٢).

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من صكوك الغفران

منح الغفرانات يعد من التعاليم الإيمانية عند الكاثوليك، والتعريف بهذا التعليم يتحدد بتحديد معناه ونشأته وأدلتها.

المطلب الأول: التعريف بصكوك الغفران.

أولاً: الصكوك لغة:

"صك" الصاد والكاف أصل يدل على تلاقي شيئين بقوة وشدة، حتى كأنما أحدهما يضرب الآخر، ومن ذلك قولهم صككت الشيء صكاً، وصك الباب: أغلقه بشدة وعنفاً^(١)، والصكاك: جمع صك وهو الكتاب^(٢)، واصطك الشيطان: احتك أحدهما بالآخر، واصطكت الركبتان: اضطربتا، والصك: وثيقة لإثبات دين أو صفقة^(٣).

ثانياً: الغفران لغة:

أصل الغفر: الستر، ومنه يقال: الصبغ أغفر للوسخ أي أستر^(٤)، ويقال: غفر الشيب بالخضاب، أي غطاه، وغفر المتاع في الوعاء أدخله فيه وستره، وغفر الله له ذنبه غفراً وغفراناً ومغفرة: ستره وعفا عنه، فهو غافر وللمبالغة غفور وغفار^(٥).

الغفران في العهد القديم.

تنقل معنى الغفران في العهد القديم ثلاث كلمات عبرية مشتقة من جذور:

أولها: "كفر" وهي تنقل معنى الكفارة أو التغطية أو الستر وترتبط عادة بالذبائح، فهي تتضمن أن الكفارة قد تمت.

وثانيها: "نسا" ومعناها أساساً يرفع أو يبعد، فهو يشير إلى رفع الخطيئة عن الخاطئ

وإبعادها.

(١) معجم مقاييس اللغة: (٢٧٦/٣).

(٢) لسان العرب: (٤٥٦/١).

(٣) دائرة المعارف الكتابية: (٢٩/٥).

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: (٤٤٩/٢).

(٥) المعجم الوسيط: (٦٥٦/٢).

والثالث: "سلح" وتحمل معنى الصفح والإبعاد.

والكلمتان الأولى والثالثة تستخدمان دائماً في الإشارة إلى غفران الله، أما الكلمة الثانية "نسا" فتستخدم أيضاً في حال غفران الإنسان.

الغفران في العهد الجديد.

هناك بعض كلمات يونانية تستخدم للتعبير عن الغفران، ويؤكد العهد الجديد أهمية الغفران للآخرين كي يغفر لك، حيث يقول الرب: "اغفروا يغفر لكم"، ويرتبط الغفران في العهد الجديد بالصليب، كما يرتبط بالمسيح نفسه ويرتبط أيضاً بالإيمان، والإيمان والتوبة ليستا أساس استحقاق الغفران، بل هما الوسيلة التي يحصل بها نعمة الله^(١).

صكوك الغفران اصطلاحاً: "أوراق تباع وتشتري كالسلع، تتضمن الصفح والغفران ليس عن الخطايا الماضية بل والمستقبلية أيضاً"^(٢)، "وتمكن حاملها من دخول مكان معين في الجنة حسب ثمنها"^(٣).

قال بوشمن أحد قدماء المختصين في دراسة صكوك الغفران: "إن صك الغفران ليس مجرد عربون لفترة ما بعد الموت، وإنما هو أيضاً راحة محبة للنفس في الحياة الدنيا"^(٤).

ويمكن تقسيم الصكوك التي يمنحها الكاهن للغفران إلى نوعين:

١. صكوك غفران للأحياء: وكان على من يريد هذا الصك أن يندم على خطاياها، وأن يعترف بها أمام الكاهن، ثم ينفذ العقوبات التي يفرضها عليه الكاهن بعد الاعتراف لكي يُكفر عن ذنوبه المرتكبة.

٢. صكوك الغفران للأموات: وهو الحصول على صك لتحرير نفس مطهريّة من المطهر، وكان يمكن الحصول على هذا الصك كتابةً، وينص الصك على عدد السنين التي يريد

(١) دائرة المعارف الكتابية: (٤١١/٥ - ٤١٣).

(٢) الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٧٤).

(٣) الإيمان الأرثوذكسي، بقطر أخنوخ بولس، مطرانية الأقباط الأرثوذكس بسوهاج: (ص١٥).

(٤) تاريخ الحروب الصليبية، هانس ابرهاد ماير، ترجمة د. عماد الدين غانم: (ص٦٨).

الطالب أن يُعفي منها النفس المطهّرة في المطهّر، وكان لكل صك ثمن معين سواء في التضحيات الشخصية، أو دفع مبلغ من المال (١).

المطلب الثاني: نشأة صكوك الغفران.

مُنحت صكوك الغفران في القرن التاسع، وأُعطي البعض منها في القرن الحادي عشر للحجاج الذين يزورون الأضرحة المقدسة، وكان أول صك بالغفران الكلي هو الذي عرضه أوربان الثاني في سنة (١٠٩٥م) لمن يشتركون في الحرب الصليبية الأولى، حيث وعد المساهمين في تلك الحروب بغفران جميع خطاياهم إذا كانوا مستعدين لبذل أرواحهم في سبيل إيمانهم، وكانت أقوال أوربان بخصوص صكوك الغفران في رسائله على وجهين:

أ- من أجل الدعوة إلى الحملات الصليبية حين تحدث في رسالته إلى الفلاندر عام (١٠٩٥م).

ب- من أجل إبعاد رجال الدين عن الاشتراك في تلك الحملات حين تحدث في رسالته إلى أهالي بولونا.

ومن ثمّ نشأت سنة منح الغفرانات لمن يتلون أدعية معينة، أو يؤدون خدمات دينية خاصة، أو القيام بإنشاء القناطر والطرق وبناء الكنائس والمستشفيات وغيرها من الأعمال (٢).

وقد كانت صيغة الصك المعتمدة من الكنيسة على النحو التالي:

"ألا فليرحمك الرب يسوع المسيح ويغفر لك بفضل ما لقي من آلام مقدسة، وأنا بتفويض منه ومن رسوليّه المباركين بطرس وبولس ومن البابا المقدس مُنح لي وعُهد به إليّ في هذه الأجزاء أن أحلك أولاً من كل لوم ديني مهما كانت الطريقة التي تعرضت لها، ثم من كل خطاياك ومن كل تجاوز للحدود وكل إفراط في الملدات مهما بلغت من الجسامة، بل حتى من أي إثم تحتفظ بتقريره وإدراكه السدة البابوية، وبقدر ما يمتد نطاق سلطان الكنيسة المقدسة أعفيك من كل

(١) المصلح مارتن لوثر (ص٥٣).

(٢) انظر: قصة الديانات: (ص٤٩٩)، تاريخ الحروب الصليبية: هانس ماير: (ص٧٩)، قصة الحضارة: ول ديورانت، تقديم محي الدين صابر، ترجمة زكي نجيب وآخرون، دار الجليل - بيروت: (١٧/١٦).

عقاب تستحقه في المطهر بسبب هذه الآثام وأعيدك إلى القربان المقدس للكنيسة وإلى البراءة والطهر الذين حزنكما في العماد، ولهذا فإنك عندما تموت ستغلق أمامك أبواب العذاب وتفتح لك أبواب جنة النعيم، وإذا لم تمت الآن فإن هذا الفضل سوف يظل في أوج قوته عندما تصبح على وشك الموت باسم الآب والابن والروح القدس" (١).

وفي بداية الأمر أحاطت الكنيسة هذه العقيدة بعدة احتياطات وشروط، فكان الحاصل على صك الغفران لا يخلص إلا من المطهر فقط وليس من الجحيم، ومن يريد أن يحصل على هذا الصك كان عليه أن يعترف ويتوب عن خطاياها، كما كان هذا الصك يمنح مجاناً للفقراء (٢).

جاء في كتاب تاريخ الكنيسة في بيان قرار المجمع الثاني عشر المنعقد سنة (١٢١٥م): "أنهى المجمع تعاليمه فيما يتعلق بأمر الغفران فقال: إن يسوع المسيح لما كان من قلد الكنيسة سلطان منح الغفرانات، وقد استعملت الكنيسة هذا السلطان الذي نالته من العلام منذ الأيام الأولى، قد أعلم المجمع المقدس وأمر بأن تحفظ للكنيسة في الكنيسة هذه العملية الخلاصية للشعب المسيحي والمثبتة بسلطان المجمع، ثم ضرب بسيف الحرمان من يزعمون أن الغفرانات غير مفيدة أو ينكرون على الكنيسة سلطان منحها، غير أنه قد رغب في أن يستعمل هذا السلطان باعتدال واحتراز حسب العادة المحفوظة قديماً والمثبتة في الكنيسة لئلا يمس التهذيب الكنسي تراخٍ بفرط التسهيل" (٣).

على أن هذه القيود والضوابط التي فرضتها الكنيسة على منح الغفرانات ما لبثت أن انحلت، فأصبحت هذه الصكوك تجارة رابحة شائعة لجأت إليها الكنيسة في ظروف كثيرة كلما احتاجت إلى المال، بل تطورت الفكرة فاستعملها الأمراء لابتزاز المال (٤)، فكان دخل الكرسي البابوي سنة (١٢٥٠م) ضعف دخل ملوك أوروبا كلهم، وبفضل سداجة الناس وشراة البابوات - الذين أغفلوا حث الناس على التوبة وتركوا لهم حريتهم الكاملة في أن يفسروا تلك الصكوك بأنها كفيلة بإعفائهم من التوبة، وأنهم يستطيعون الاعتماد على ما يقدمونه من مال لنيل المغفرة-

(١) قصة الحضارة: (٥/٢٤).

(٢) المصلح مارتن لوثر: (ص ٥٠).

(٣) عقائد أهل الكتاب: (ص ١٦٦).

(٤) انظر: المصلح مارتن لوثر: (ص ٥٠)، أضواء على الإصلاح الإنجيلي: (ص ٣١).

وصل الأمر حداً جعل تومس جسكوني مدير جامعة إكسفورد يجأ بالشكوى قائلاً: "يقول المذنبون هذه الأيام لست أبالي كم ارتكب من الذنوب أمام الله؛ لأنه من السهل عليّ أن أتخلص من كل ذنوبي وما يترتب عليها من العقاب بالمغفرة، وصكوك الغفران يمنحني إياها البابا الذي ابتاعها منه مستورة نظير أربع بسنات أو ست، كأني أكسبها في لعبة تنس مع من في مقدرته أن يمنح هذا الغفران.

ذلك أن بائعي هذه الصكوك كانوا يطوفون البلاد ويفرقون خطابات بالمغفرة نظير بنسرين تارة ونظير جرعة من الخمر أو الجعة تارة أخرى، بل إنهم يعطونها نظير استئجار عاهر، أو نظير الحب الدنس" (١).

وفي سنة (١٥١٧م) أصدر البابا ليو العاشر غفراناً شاملاً للعالم أجمع به يقصر مدة المطهر، ويتمتع بهذا الامتياز كل من يشتري صكوك الغفران، وكان الغرض من هذا هو الحصول على المال اللازم لبناء كنيسة القديس بطرس في روما (٢).

ورد في كتر النفائس ما نصه: "فلما وصل تيتزل إلى ويتمبرج حيث كان يعلم لوثيروس (٣)، فتح دكاناً لبيع أوراق الغفرانات البابوية، وكان ينادي جهاراً بلا خجل أنه بواسطة الدراهم تغفر جميع الخطايا التي فعلها الإنسان والتي يفعلها والتي سوف يفعلها، فلا

(١) انظر: قصة الحضارة: (٧٢/١٦، ٥٠/٢٢).

(٢) انظر: تاريخ انشقاق الكنائس، القمص زكريا بطرس الناشر - www.fatherZakaaria.com: (ص ١٥)،

قصة الديانات: سليمان مظهر، مكتبة مدبولي، ١٤١٥هـ: (ص ٤٤٩).

(٣) لوثيروس: مارتن يوحنا "هانس" لوثر، ولد في العاشر من نوفمبر سنة (١٤٨٣م) في منطقة تورنج الزراعية، انحدر من أسرة ريفية متواضعة، كان والداه في غاية القسوة في تربيتهما له، يقول عن ذلك: "كان والداي في غاية القساوة معي؛ الأمر الذي خلق مني إنساناً حجولاً، ولقد كانت قسوتهما عاملاً دفعني إلى الدير لأصبح راهباً"، أنهى دراسته الثانوية في مدرسة القديس جورج بمدينة أزيباخ ثم التحق بجامعة أرفورت "Erfurt" حيث درس الفلسفة، تزوج سنة (١٥٢٥م) بالراهبة كاترين هانزفون بورا وأنجب منها ستة أبناء، الأمر الذي أثار ضجة كبيرة لا في الأوساط الكاثوليكية فحسب بل حتى بين المصلحين أنفسهم، أدت عدة عوامل إلى قيامه بدعوته لإصلاح الكنيسة الكاثوليكية منها موضوع صكوك الغفران والمفاسد التي نشأت عنه، كان حاد الطبع، صلب الرأي، صعب الإقناع، لا يعرف اللين أو المرونة في نقاشه كما اعترف هو بذلك، توفي في يوم الخميس (١٨ فبراير سنة ١٥٤٦م) في ايسلين "Eisleben"، ترك عدة مؤلفات منها: إلى الأمة المسيحية الألمانية النبيلة، الأسر البابلي للكنيسة، الحرية المسيحية. انظر: المصلح مارتن لوثر: (ص ٧-١١٦).

يعوزه إلا أن يتناع شيئاً من أوراق الغفرانات البابوية، أما لوثيروس الذي كان يعرف من الكتاب الإلهي أنه ليس هناك أحد يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده، وأن التوبة الخالصة والإيمان بيسوع المسيح هي الوسيلة الوحيدة لغفران الخطايا نهض وأخذ يندد بتلك التجارة بالإلهيات^(١).

وسمع مايكونيوس - راهب فرنسيسكاني - بصنيع تيتزل فكتب تقريراً عن هذا العام (١٥١٧م) يقول فيه: "إن ما قاله هذا الراهب الجاهل وبشّر به أمر لا يُصدق، لقد أعطى خطابات مختومة ضمنها أن الخطايا التي يعترزم المرء أن يرتكبها سوف تغفر له، وقال: إن البابا يملك سلطاناً يفوق سلطان الرسل والملائكة والقديسين، بل يفوق سلطان العذراء مريم نفسها؛ لأن هؤلاء جميعاً كانوا أتباعاً للمسيح أما البابا فهو ند للمسيح"، وقد يكون في هذا مبالغة، ولكن مثل هذا الوصف يمكن أن يقدمه أيُّ شاهد عيان يشير إلى ما يثيره تيتزل من مقت. . الخ^(٢). ثم ذكر أموراً في تقريره ذلك عن مقولة لتيتزل أثناء ترويجه لتلك الصكوك يَعْفُ اللسان عن ذكرها، ويجف القلم قبل أن يسيل بها.

لهذا السبب ولأسباب أخرى أعلن مارتن لوثر شق عصا الطاعة والخروج عن الكنيسة الكاثوليكية، معلناً مجموعة من القضايا والاحتجاجات على الكنيسة، وهاجم بأطروحاته التي بلغ مجموعها (٩٥) معتقدات الكنيسة حول الغفران والمفاسد التي نشأت عنه، كما هاجم الانحرافات المذهبية والثقافية للكنيسة ووضع هذه الاحتجاجات على أبواب كنيسة بلدته سنة (١٥١٧م) مُصرحاً أنه ليس لمسألة صكوك الغفران أي تبرير عقائدي، وأن على البابا نفسه الخضوع لسلطة الكتاب المقدس، فاهتز عرش البابوية وهبط بيع صكوك الغفران^(٣).

(١) كتر النفائس: (ص ٤٩).

(٢) قصة الحضارة: (٦/٢٤)، وقد أشار القس د. يواقيم رزق مرقس إلى ذلك التقرير في كتابه محاضرات في الكنيسة الغربية.

(٣) انظر: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي: هيلين ايليري، ترجمة: أ. د سهيل زكار، دار قتيبة: (ص ١٠٩)، تاريخ

انشقاق الكنائس: (ص ١٥)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٨٢)، كتر النفائس: (ص ٤٩)، البراهين الإنجيلية

ضد الأباطيل البابوية: (ص ١١-١٢)، المصلح مارتن لوثر: (ص ٥٩)، قصة الديانات: (ص ٤٥٦)، الأسفار المقدسة:

(ص ١٢٠)، تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية: ميرسيا إلياد، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، الطبعة الأولى:

(٢٦٢/٣).

ويمكن تقسيم تلك الاحتجاجات إلى مجموعات:

- "من (٢٩-١) تمثل الاحتجاجات ضد صكوك الغفران للنفوس المطهّرة، حيث حاول لوثر أن يبين أن سلطان البابا لا يمتد لأبعد من الأرض، وليس له سلطان على الأرواح في المطهّر.
- من (٨٦-٣٠) مجموعة أخرى يتكلم فيها عن الصكوك الخاصة بالأحياء، ويشرح فيها أن الشرط الأساسي للحصول على الغفران هو التوبة الحقيقية.
- من (٩٠-٦٩) في هذه الاعتراضات يحذر لوثر الذين يرتكبون الخطايا والموبقات بدعوى أنهم حصلوا على صكوك الغفران، كما أنه تحدث عن المبالغة في سلطان البابا.
- من (٩٥-٩١) يختم بها لوثر هذه الاحتجاجات بتحذير الشعب من الأنبياء الكذبة الذين ينادون للشعب بالسلام ولا سلام حقيقي، ويعلن للشعب أن دخول السماء أو الحصول على الخلاص ليس طريقاً هيناً ليناً يشترى ويبيع بالمال، إن دخول ملكوت السماوات لا يتم بالوعود الكاذبة بل بالتوبة الحقيقية وانسحاق القلب"^(١).

وقد وجدت هذه الاحتجاجات تأييداً واسعاً بين الناس، فعضدوا لوثر وانضموا

لصفوفه مدفوعين بعوامل مختلفة:

١. عضده البعض بسبب كراهيتهم وتدمرهم من الضرائب التي فرضها عليهم البابا.
٢. عضده الفلاحون؛ لأنهم توقعوا أن هذه الحرية الدينية التي نادى بها لوثر قد تكون وسيلة لإعتاقهم من أغلال العبودية.
٣. عضده طائفة من المتحمسين لهدم كل الأشياء في النظم القديمة، وخلق عالم جديد يتمشى مع عصر النهضة^(٢).

(١) المصلح مارتن لوثر: (ص ٥٥ - ٥٦).

(٢) انظر: الجانب المظلم في التاريخ المسيحي: (ص ١٠٩)، تاريخ انشقاق الكنائس: (ص ١٥).

وعلى إثر ذلك أتم لوتر بالهرطقة وأصدر البابا "لاون العاشر" في يناير (١٥٢١م) قراراً بحرمان لوتر نتيجة لإصراره على مواقفه وأمر بحرق مؤلفاته^(١).

وفي الرد على احتجاجات لوتر صدرت وثيقة بابوية عقب مجمع لاتيران الخامس تحت مسمى "جواب على مقالات مارتن لوتر" بعنوان الغفرانات مما جاء فيها: "الحبر الروماني، خليفة بطرس، الذي ألقيت إليه سلطة المفاتيح ونائب المسيح يسوع على الأرض، بقوة سلطة المفاتيح التي تفتح ملكوت السماوات يترعها ما يحول دون ذلك في المؤمنين، أعني الخطيئة وعقوبة الخطايا الفعلية: الخطيئة بسر التوبة، والعقوبة الزمنية على حسب العدالة الإلهية بغفران الكنيسة، فالحبر الروماني يستطيع لأسباب عديدة أن يمنح هؤلاء المؤمنين، أعضاء المسيح برابط المحبة في هذه الحياة أو في المطهر، غفرانات مستمدة من فيض استحقاقات المسيح والقديسين، فعندما يمنح بسلطته الرسولية الغفران للأحياء والأموات، يوزع على عاداته كثر استحقاقات يسوع المسيح والقديسين، جاعلاً الغفران بالحلّ "الاعتراف"، أو على سبيل التوسل، ولهذا فجميع الذين نالوا هذا الغفران سواء كانوا أحياءً أو أمواتاً قد تحرروا من العقوبة الزمنية الناجمة بموجب العدل الإلهي، عن خطاياهم الحالية بقدر الغفران الممنوح أو المكتسب، وإننا نقرر بسلطتنا الرسولية وبمضمون هذه الرسالة أنه هكذا يجب أن يكون التفكير والوعظ تحت طائلة الحرم المسبق"^(٢).

وكان في إعلان لوتر لتلك الاحتجاجات بداية لثورة دينية أدت إلى ظهور حركة البروتستانت وانقسام أوروبا الغربية بين الكاثوليك والبروتستانت في نهايات القرن السادس عشر^(٣).

(١) انظر: أضواء على الإصلاح الإنجيلي: (ص ٣٤-٣٥)، تاريخ انشقاق الكنائس: (ص ١٥)، كثر النفاس: (ص ٤٩-٥٠)، الأسفار المقدسة: (ص ١١٧-١٢٠)، البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية: (ص ١٢)، قصة الديانات: (ص ٤٥٦)، الإسلام والمسيحية في الميزان، شريف هاشم، مؤسسة الوفاء، بيروت: (ص ٣٥٤).

(٢) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها (١/٣٧٨).

(٣) الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٨٢).

واشتعلت نار العداوة بين البروتستانت من جهة، والكاثوليك من جهة أخرى في شكل سلسلة من الحروب الأهلية في فرنسا وإنجلترا، وكذلك في حرب الثلاثين عاماً التي تورطت فيها ألمانيا، السويد وفرنسا، الدنمارك، إنجلترا، هولندا.

وفيما عُرف باسم مذبحه القديس بارثيليمو في: (٢٤ آب سنة ١٥٧٢م) جرى ذبح عشرة آلاف بروتستانت في يوم واحد في فرنسا، وكتب البابا غريغوي الثالث عشر إلى ملك فرنسا شارل التاسع يقول: "نحن نبتهج معك أنه بعون الرب قد حررت العالم من هؤلاء المهرطقة الأشرار" (١).

أما في إنجلترا فقد أعلن الملك هنري الثامن من نفسه رئيساً للكنيسة وأصدر مرسوم سيادة أصبحت بموجبه إنجلترا بروتستانتية وتعرض الكاثوليك لشتى أنواع القمع والاضطهاد بموجب قوانين سنتها الحكومة (٢).

يقول الأب جان كمي: "قام في مطلع القرن السادس عشر أناس صمموا على الشروع في إصلاح الكنيسة، ولكن على إثر سوء التفاهم وأعمال العنف المتبادلة بين الطرفين أدى ذلك الإصلاح مع الأسف إلى تمزق الكنيسة الغربية، وفي أواخر القرن السادس عشر ظهرت ملامح جديدة لجغرافية دينية ما زالت قائمة إلى أيامنا" (٣).

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن تلك الممارسات الخاطئة لسلطان الغفرانات من جانب الكنيسة الكاثوليكية قد استنكرته ورفضته الكنيسة الأرثوذكسية التي تعتقد بأنه لا مغفرة للخطايا بدون توبة واعتراف وانسحاق قلب الخاطيء، وأنه لا يمكن لأحد أن يبيعها أو يهبها بلا توبة بزعم أحقية الكنيسة أن تهب الغفران من استحقاقات المسيح والقديسين وكذلك الكنيسة البروتستانتية التي لم ترفض هذا المبدأ فقط بل رفضت كذلك مبدأ الاعتراف أمام

(١) الجانب المظلم في التاريخ المسيحي: (ص ١١١).

(٢) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٨٢).

(٣) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة: (ص ٢٢٣).

الكنيسة كلها، والغفران لديها يكون من الله مباشرة عن الخطايا الماضية والحاضرة والمستقبلية أيضاً^(١).

جاء في شرح أصول الإيمان: "ليس من سلطانٍ للبشر على مغفرة الخطايا، ولم يكن ذلك السلطان معطى لكهنة العهد القديم لأنه من اختصاص سلطان الله وحده"^(٢).

المطلب الثالث: فلسفة منح الغفرانات في الكنيسة الكاثوليكية.

قضية منح الغفرانات في الكنيسة الكاثوليكية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً من حيث الاعتقاد بها وممارستها بسر التوبة والاعتراف للكاهن، حيث تؤخذ من استحقاقات المسيح والقديسين وتوزعها الكنيسة بسلطانها على النفوس التي لم تستطع أن تعمل أعمالاً صالحة كافية لخلاصها في حياتها على الأرض^(٣).

جاء في التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: "قضية الغفرانات في الكنيسة - عقيدة وممارسة - مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بسر التوبة.

ما هو الغفران؟

الغفران هو أن يترك لنا الله العقاب الزمني الذي تستتبعه الخطايا المغفورة غلظتها، وترك العقاب هذا يحظى به المؤمن بشروط معينة بفعل الكنيسة التي جعلها الله قيمة على ثمار الفداء فتوزعها بسلطانها وتطبق على المؤمن استحقاقات المسيح والقديسين، ويكون الغفران جزئياً أو كاملاً حسبما يُعفى الخاطئ - جزئياً أو كلياً - من العقاب الزمني الذي تجره الخطيئة، كل مؤمن باستطاعته أن يحصل على غفرانات [. . .] لنفسه أو يطبقها على الراقيدين"^(٤).

(١) انظر: الفروق العقيدية: (ص ٢٤-٢٥)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤٤)، العلاقة الجدلية: (ص ٢٣٣-٢٣٤)، الطوائف المسيحية: (ص ٧٥)، عقائد أهل الكتاب: (ص ١٧٤)، لماذا نرفض المطهر: (ص ٧٨-٨٨)، أسرار الكنيسة: (ص ١١٢-١٢١)، الأسفار المقدسة: (ص ١٢٣)، اللاهوت النظامي: (ص ٤٧٤)، كثر النفائس: (ص ١٨٢).

(٢) شرح أصول الإيمان: (ص ٤٧٦).

(٣) انظر: كثر النفائس: (ص ٤٦)، لماذا نرفض المطهر: (ص ٨٦-٨٨)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤٥) - (٤/٤٤٧)، أسرار الكنيسة: (ص ١١٨-١١٩)، المصلح مارتن لوثر: (ص ٥٠-٥٢)، طريقة علم لأجل البروتستانتين، ترجمة الخوري مرتينوس، دير القديس يوحنا الصايغ، لبنان، ١٨٠٣م، (ص ٤٦٧-٤٩٩).

(٤) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢/٣٠١-٣٠٢).

"ونادت الكنيسة الكاثوليكية بأنه يمكن عتق الخطاة من العقاب الأرضي والأبدي بشراء صكوك الغفران! ، وفي تلك الأوراق نجد أن الذي يتلو صلاة قصيرة للقديس يوسف يصير له غفران (٣٠٠) يوم، وغفران (١٠٠) سنة مقدماً لمن تلا الوردية البابوية. . . . ، كما أن زيارة الكنائس أيضاً تعتق من القصاص الحاضر والمستقبل (غفران كامل)، وفي إحدى كتب اللاهوت الكاثوليكي تحت عنوان "غفران القديس مارفرنسيس" نجد الأسئلة والأجوبة التالية:

س: ما القول في زيارة كنائس رهبنة القديس مارفرنسيس في اليوم الثاني من شهر آب، هل يربح -في هذا اليوم- غفراناً كاملاً متعدداً بحسب تعدد دخوله الكنيسة حيث يصلي فيها ولو قليلاً؟

ج: نعم.

س: ما القول في نفع الغفران الذي يصرف إلى النفوس المطهريّة؟! هل نفعه لهم مقطوع به بحيث لا يمتنع انتفاؤه؟

ج: نعم، والدليل أن المسيح أعطى الكنيسة سلطاناً مؤكداً بحيث يتعارض عدم تنفيذه مع قوله: "كل ما حللتم"، هذا وإن منح الغفران -من أجل الموتى- هو فعل حقيقي من أفعال المفاتيح لصدوره عن سلطان رسولي، ومن المعروف أن المفتاح يصيب الفتح بلا محالة متى كانت الشروط مستوفاة إذاً الغفران فعّال قطعاً سواء كان في حق الأحياء أو الموتى^(١).

المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية.

يستدل الكاثوليك بعدد من النصوص منها:

أولاً: البراهين الكتابية.

أ- مخاطبة المسيح لبطرس: "وأنا أقول لك: أنت صخر وعلى الصخر هذا سأبني كنيسة قلن يقوى عليها سلطان الموت، وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فما ربطته في الأرض ربط في السماوات وما حللته في الأرض حلّ في السماوات"^(٢).

(١) علم اللاهوت: بطرس غوري: (١٠٤٩/٢) نقلاً عن موسوعة علم اللاهوت ميخائيل مينا: (٤٤٤/٤).

(٢) (مت ١٦: ١٨-١٩)

تستند الكنيسة الكاثوليكية إلى هذا النص وتبني عليه تعليمها القائل بأن خلفاء بطرس يرثون رئاسته، حيث يعد يسوع بطرس بسلطان الربط والحل، أي منح الغفران ومنعه الأمر الذي كان يعني في الدين اليهودي التحليل والتحریم، والفصل من الجماعة الدينية أو القبول فيها ولما كان بطرس قد تقلد من المسيح المفاتيح فلا بد إذاً أنه تقلد أيضاً السلطان لرفع كل مانع من الدخول إلى ملك السماوات، وبين هذه الموانع القصاصات الزمنية التي إن لم يوف عنها فلا يمكن لأحد البتة الدخول إلى ملكوت السماوات^(١).

ب- ما ورد في إنجيل يوحنا عن المسيح أثناء مخاطبته لتلاميذه: "خذوا الروح القدس، من غفرتم لهم خطاياهم نغفر لهم، ومن أمسكتم عليهم الغفران يُمسك عليهم"^(٢)، فالكنيسة بحسب الكاثوليك لها رسالة وسلطان مغفرة الخطايا، لأن المسيح نفسه منحهما لها عندما منحهم الروح القدس، وتمارسه الكنيسة عن طريق الأساقفة والكهنة بطريقة اعتيادية في سر التوبة^(٣).

ثانياً: شهادات الآباء.

أ- "إن الكنيسة قد عرفت هذا السلطان واستعملته أيضاً كما شهد ترتليانوس عن أولئك الذين كانوا قد كفروا بالمسيح بسجودهم للأوثان، ثم كانوا يرجعون إلى الإيمان الحقيقي فكانوا يتضرعون إلى الشهداء، لكي يشفعوا لهم عند الأساقفة وذوي الأمر لينالوا مغفرة القصاصات المستوجبة عليهم.

(١) انظر: تفسير الكتاب المقدس النسخة الكاثوليكية من الألف للباء: (٨٣/٢)، الدرّة النفيسة في بيان حقيقة

الكنيسة: السيد فورلس بِنام بني، طبع في الموصل في دير الآباء الدومينكان، ١٨٦٧م: (ص ٢١٩).

(٢) (يو ٢٠: ٢٢-٢٣).

(٣) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢١١/٢).

قال في كتابه إلى الشهداء: فإذا لم يمكنهم -أي المرتدين- أن يحصلوا على ذلك السلام في الكنيسة، فلهم عادة أن يطلبوه في السجون من الشهداء"^(١).

ب- "وكتب القديس قبريانس في رسالته العاشرة إلى الشهداء المعترفين: ويجب أن تصلحوا هذا الأمر حسب همّتكم أن تمنحوا أولئك الذين تبتغون أن يمنح لهم السلام. . . وأطلب منكم في الذين أنتم قد رأيتموهم وعرفتموهم وعلمتم أن توبتهم ترضي أن تذكروهم فرداً فرداً في كتاب، وأرسلوه"^(٢).

ج- "يقول القديس كيرلس: نحن نصلي لأجل جميع المؤمنين المتوفين منا؛ لأننا مؤكدون بالإسعاف الذي يأتي للأنفس التي نصلي وتقدم الذبيحة لأجلها.

د- والقديس امبروسيوس في رسالة كتبها إلى فاوستينوس بوفاة أخته يقول: ليس الآن وقت سكب العبرات، بل عمل الصلوات وتقديم الذبيحة لأجل نفسها"^(٣).

(١) الدرّة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة: (ص ٢١٢).

(٢) المصدر السابق: (ص ٢١٢).

(٣) طريقة علم لأجل البروتستانتين: (ص ٤٨٤-٤٨٥).

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من صكوك

الغفران.

رفضت الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية تعليم منح صكوك الغفران؛ حيث عدوا هذا الأمر دجلاً وتضليلاً للناس لأكل أموالهم بالباطل، وأن هذا التعليم ليس غريباً عن مبادئ المسيحية فحسب، بل يجلب عاراً كبيراً عليها^(١).

وقد أورد الرافضون لهذا التعليم من النصارى جملةً من الاعتراضات يذكر منها ما يأتي:

أولاً: إنّ هذا التعليم لا أساس له مطلقاً في الكتاب المقدس الذي يعلم أنّ الغفران لله وحده، كما أنه يضاد كفارة دم يسوع الذي سفكه لأجل خلاصنا وبدونه لا يمكننا الحصول على غفران الخطايا- كما يزعمون- ولا يوجد في الكتاب ما يشير إلى استحقاقات القديسين والملائكة يمكن توزيعها على البشر، كما أنه لا أساس له في التقليد الكنسي، ولا في تعاليم آباء الكنيسة، وكل تعليم لا أساس له في الكتب المقدسة والتقليد الرسولي هو باطل واختراع ترفضه الكنيسة، حيث لم يقل رسل المسيح أن لهم سلطان مغفرة الخطايا، بل أعلنوا أن ذلك مما يخص الله وحده، واكتفوا بالتصريح بشروط المغفرة، فادعاء البشر سلطان الله إهانة للمسيح وإفساد لتعاليمه^(٢).

ثانياً: إنّ جميع الكنائس- خلا كنيسة رومية- متفقة على إنكار هذا التعليم الذي اخترعه الباباوات ليكون فخاً لاقتناص أموال الناس بالباطل، بحجة تخليص موتاهم من عذاب المطهر؛ ليطرحوا الأحياء في أبدية عذابات جهنم الفقر، وأن هذا التعليم مبني على دعوى المطهر الذي لم يعرف عند الكنيسة الشرقية قط، وعندما ادعت به كنيسة رومية لم يُقبل

(١) انظر: أسرار الكنيسة: (ص ١٢١)، أضواء على الإصلاح الإنجيلي: (ص ٣٢)، الإيمان الأرثوذكسي: (ص ١٦)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤٤-٤٤٥)، الصخرة الأرثوذكسية، حبيب جرجس مدير الكلية الإكليريكية وعميد مدارس الأحد سابقاً، تقديم: القمص بولس باسيلي، الطبعة الخامسة: (ص ٣٥)، الرسالة الموسومة بالدليل إلى طاعة الإنجيل، ميخائيل مشاققة، طبع في بيروت سنة: ١٨٤٩م: (ص ٥٨).

(٢) انظر: أسرار الكنيسة: (ص ١١٨)، اللاهوت النظامي: (ص ٤٧٤)، الرسالة الموسومة: (ص ٥٨)، الإيمان الأرثوذكسي: (ص ١٦)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٣٦).

منها، ومن المعلوم أيضاً بأن أساس هذا التعليم مع جملة تعاليم غيره قد أخذوها عن تعاليم الوثنيين التي مالوا لتصديقها عندما شاعت بينهم فلسفة أفلاطون الوثني واعتمدوا عليها، حتى وجد بين معلمي كنيستهم من قال: "لو عدم الإنجيل لكشفت عنه حكمة أفلاطون"، وبهذا كفاية لمعرفة ما اتصلوا إليه من الضلال^(١).

ثالثاً: إن هذا التعليم مضر بالناس؛ لأنه يحرم الخطاة من الوسائط الضرورية لعلاج أمراضهم الروحية، ويغش الشعب ويضله ضلالاً فظيماً، إذ يصور لهم سهولة المصالحة مع الله ومع الكنيسة، ويفتح باباً للأغنياء ليطمادوا في الخطايا ما داموا يستطيعون أن يشتروا أوراق غفرانات تصفح عن خطاياهم وتبررهم أمام الله، وتبيح لهم الخطايا المستأنفة، كما أنه يملأ الفقراء يأساً، إذ لا قدرة لهم على شراء تلك الأوراق، والخلاصة أن هذا التعليم سبب فساداً عظيماً في الآداب العمومية كما يشهد بذلك التاريخ^(٢).

رابعاً: إن هذا التعليم ينكره كثيرون من آباء الكنيسة الرومانية أنفسهم ويعترفون بأنه تعليم حديث:

(أ) قال الكاردينال نيش: "ما دام الناس لم تكن لديهم فكرة عن المطهر، لذلك لم يفتشوا عن صكوك الغفران؛ لأن كل اعتبار الغفرانات هو المطهر، وحيث أن المطهر لم يكن معروفاً عند الكنيسة الجامعة إلا في أجيالنا الأخيرة فليس بعجيب إذا كان في أول الكنيسة لم تكن صكوك الغفران موجودة، فالمطهر ربما لم يوجد ذكره قط في كتب الآباء القدامى، والروم - حتى يومنا هذا - لا يؤمنون به، واللاتين قبلوه ليس في وقت واحد بل تدريجياً".

(ب) قال القديس أنطوين رئيس الأساقفة في فيرنزا: "بخصوص الغفرانات ليس لها قول مخصوص في الكنيسة المقدسة، ولا يوجد ذكر للغفرانات أصلاً في كتب المعلمين القدامى".

(١) البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية: (ص ٩٣-٩٤).

(٢) انظر: أسرار الكنيسة (ص ١٢٠)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم (ص ٧٥)، الإيمان الأرثوذكسي (ص ١٦)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٣٦).

(ج) قال الكاردينال كاينانوس: "إنه لو كان لنا خير محقق عن كيف دخلت عادة الغفرانات في الكنيسة لكان ذلك يعيننا في الفحص عن المطهر، ولكن لا يوجد ذكر هذه الأشياء أصلاً في الكتب المقدسة، ولا في كتب المعلمين كانوا روما أو لاتين.

(د) وقال المؤرخ ثوبانوس "أحد كبار العلماء": "إنه في سنة (١٥١٥م) كان البابا لاون العاشر رجلاً مسلماً ذاته لكل نوع من المعيشة المتراحية النجسة، لكي يجمع مالا من كل جانب لأجل مصاريفه الجزيلة، وكان يرسل أوراق الغفرانات التي فيها الوعد بمحو كل خطيئة، وبهدية الحياة الأبدية في جميع ممالك المسيحيين، وكان معيّنًا فيها الثمن الذي يجب على كل واحد أن يعطيه بمقدار خطيئته.

واختار البابا له جُباة وخزنة يحفظون الأموال في جميع الأماكن، ومبشرين يطوفون حيثما يكون لهم منفعة كثيرة من هذه الغفرانات، وهؤلاء المبشرين قد عظموها جداً وعظموا قوتها في خلاص الأنفس الشقية في المطهر".

(هـ) وقالت القديسة بريجيتا: "إن البابا قد جمع الوصايا العشر كلها في كلمة واحدة وهي "قدم لي مالا".

(و) العالم وأسالوس النمساوي "الذي يسمى نور العالم لسعة علمه، وكان صديقاً حميماً للبابا سكستوس الرابع" قال في إحدى رسائله: "إن البابا ليس له سلطان أن يعطي غفراناً ولا ساعة واحدة، وأنه أمر مزح وهزوء، إنه في بعض الأوقات يعطي غفراناً على سبع سنوات لأجل خطية، وبعض أوقات على سبعمائة سنة أو إلى الأبد بالغفران الكامل".

وقال أيضاً: "إنه لا يوجد أصلاً ذلك التمييز بين غفران الخطية وقصاصها المبني عليه تعليم الغفرانات وأن هذا التعليم هو من قبيل الطمع بالمال، وإن كان الله ذاته لا يعطي غفراناً كاملاً للقلب المنسحق التائب، فكم يكون البابا أقل منه، وأما إذا كان الله يغفر فكيف للبابا سلطان أن يربط! وإن كان لا يوجد للخاطيء قصاص بعدما يغفر الله له فالبابا ماذا يجله! "(١).

(١) موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤٥)، وانظر: أسرار الكنيسة: (ص ١٢٠ - ١٢١).

خامساً: إن فضائل القديسين مهما كانت عظيمة لا يمكن أن تكون زائدة عما يجب ويفضل عنها حتى يوزع منها على الغير، فإن هذا التعليم غريب عن تعاليم المسيح: (أ) لأن أعمال القديسين مهما كانت فاضلة فإنها لا تصير كاملة ومقبولة بذاتها بل بقوة النعمة الإلهية.

(ب) مهما عمل الإنسان من الفضائل لا يمكنه أن يصل إلى المطلوب بالوصية القائلة: "فكونوا أنتم كاملين كما أباكم الذي في السماوات هو كامل" (١). وهذا هو الكمال المطلوب من القديسين، ومهما تقدم المؤمنون في هذا الكمال فإنهم لا يصلون إلى نهايته (٢).

سادساً: "إن هذه الغفرانات تخدم قواعد علم اللاهوت في كتب اللاتين، كما تخدم مطهره ويلغي بعضها سر الاعتراف، بل ويوافق البروتستانت في أفكارهم ومبادئهم! ورد في صفحة (١٨٨) من كتاب الجمع اللبناني بخصوص فائدة القديس: "ويصدر عن هذه التقدمة غير الدموية نفس الفوائد التي صدرت عن ذبيحة الصليب الدموية، لا تنقص شيئاً أصلاً، ولذلك لا تتقدم عن خطايا المؤمنين الأحياء، وعن وفاء العقوبات اللازمة لخطاياهم وغير ذلك من الاحتياجات فقط، بل تتقدم عن الأموات الراقدين بالمسيح".

كيفية يتشبثون بغفرانات البابا وتعليم المطهر في جانب هذا السر الإلهي!

يقول اللاهوتي انطونين اللاتيني في صفحة (٢١٦ مجلد ٣): "إن ذبيحة القديس تمنح الذين تتقدم لأجلهم مغفرة الخطايا المميتة والعرضية نظراً إلى الجرم والقصاص الزمني الواجب عن الخطيئة المغفورة كقول الجمع التريدينيني في الجلسة (٢٢): "إن هذه الذبيحة هي بالحقيقة استغفارة، وتقدمتها يرتضي الله مانحاً النعمة وموهبة التوبة غافراً الجرم والخطايا الجسيمة أيضاً".

(١) (مت ٥ : ٤٨).

(٢) أسرار الكنيسة: (ص ١١٩).

وفي القانون ٣: "من قال إن ذبيحة القداس تفيد المتناول وحده وأنه لا يجب أن تقدم لأجل الأحياء والأموات والوفاء عن الخطايا والذنوب لأجل ضرورات أُخر فليكن محروماً فتمنح بدون واسطة مغفرة القصاص الزممي الواجب لأجل الخطايا المغفورة نظراً إلى الذنب". وقال صاحب كتاب الذمة (ص ١٧٦): "إن الأسرار المقدسة تغفر الخطايا العرضية". وورد في صفحة (٢٢٦) من كتاب علم الذمة: "أن مسحة المرضى تغفر الخطايا العرضية والخطايا المنسية التي لم تكن بعد غفرت بواسطة أخرى، وتصفح عن عقوبات خطايا كثيرة".

وورد في كتاب مرشد المستفتحين (ص ٢٦٢): "إن الندامة الكاملة تصالح الإنسان مع الله قبل قيامه بسر الاعتراف".

فهذه حواجز وأسوار من حديد تمنع المسيحيين الراحلين من أن يصلوا إلى مطهر اللاتين الذي سخر مُعلمي لاهوته بتعاليمه فنوا بيد، وهدموا ما بنوا باليد الأخرى" (١).

(١) انظر: تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما في الكنيسة الغربية من الزيغان، المؤلف: الأنبا ايسودورس، طبع سنة ١٩٣٥م، مطبعة التوفيق بالقاهرة: (ص ١٩٩-٢٠١).

المبحث الثالث: منح المغفرة في الإسلام.

منح المغفرة وقبولها في الإسلام يرتكز على عدة نقاط يُذكر منها على سبيل الإجمال لا الحصر ما يلي:

١- حث الله ﷻ عباده على التوبة وطلب المغفرة وبين لهم سعة رحمته وواسع فضله

في قبولها. قال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر ٥٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ

نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة النساء ١١٠]، كما قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَىٰ

اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور ٣١].

وقال: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة المزل ٢٠].

٢- إن قبول التوبة ومنح المغفرة مما اختص به الله تعالى وحده.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ بِهِمْ وَمَن

يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران ١٣٥].

جاء في البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمني دعاء أدعو

به في صلاتي، قال: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمي أنك أنت الغفور الرحيم»^(١).

وقوله: «ولا يغفر الذنوب إلا أنت» هذا مما اختص الله به، فلا أحد يقدر على مغفرة

الذنوب إلا الله سواء كان نبياً أو ملكاً أو إنسياً أو جنياً، ومن هذا يتبين بطلان ما يقع فيه بعض الطوائف من الشرك بالله تعالى حينما يسألون غيره المغفرة، كالنصارى حينما يتوب

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة: (٨/٧٢٦-٧٢٦).

أحدهم يذهب للقسيس ليغفر له ذنبه ويعطيه صك غفران، وكالرافضة والشيعة الذين يتوبون إلى أئمتهم من دون الله تعالى (١).

٣- من مات بلا توبة من أهل الكفر والشرك والنفاق فلا مغفرة له ولو طلبها له نبي مرسل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [سورة محمد ٣٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء ٤٨]، كما قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة المنافقون ٦]، وقال تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة التوبة ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [سورة التوبة ٨٤]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [سورة التوبة ١١٣].

قال ابن تيمية رحمه الله: "وقد اتفق المسلمون على أنه عليه السلام أعظم الخلق جاهاً عند الله لا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه، ولا شفاعاة أعظم من شفاعته؛ لكن دعاء الأنبياء وشفاعتهم ليست بمتزلة الإيمان بهم وطاعتهم، فإن الإيمان بهم وطاعتهم توجب سعادة الآخرة والنجاة من العذاب مطلقاً، فكل من مات مؤمناً بالله ورسوله مطيعاً لله ورسوله كان من أهل السعادة قطعاً، ومن مات كافراً بما جاء به الرسول كان من أهل النار قطعاً، وأما الشفاعاة والدعاء فانتفاع العباد به موقوف على شروط وله موانع، فالشفاعة للكفار بالنجاة من النار والاستغفار لهم مع موتهم على الكفر لا تنفعهم ولو كان الشفيع أعظم الشفعاء

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، الشيخ عبد العزيز الراجحي، مكتبة صيد الفوائد، saaid.

جاهاً، فلا شفيع أعظم من محمد ﷺ ثم الخليل إبراهيم وقد دعا الخليل إبراهيم لأبيه واستغفر له، كما قال تعالى عنه: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [سورة إبراهيم ٤١]، وأراد الرسول ﷺ الاستغفار لأبي طالب وأراد بعض المسلمين أن يستغفروا لبعض أقاربهم فأنزل الله: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِمَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [سورة التوبة ١١٣] (١).

٤- التوبة تحو ما قبلها من الذنوب ولو عظمت، بل من سعة رحمة الله ولطفه بعباده أن يغفر للتائبين ويبدل سيئاتهم - إذا أخلصوا في توبتهم - حسنات.

قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [سورة محمد ٣٤].

كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [سورة الفرقان ٧٠].

سئل ابن تيمية رحمته الله: " هل الاعتراف بالخطيئة بمجرد مع التوحيد موجب لغفرانها، أو كشف الكربة الصادرة عنها، أم يحتاج إلى شيء آخر؟

ج- إن موجب الغفران مع التوحيد هو التوبة المأمور بها، فإن الشرك لا يغفره الله إلا بتوبة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۖ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء ٤٨] في موضعين في القرآن وما دون الشرك فهو مع التوبة

(١) قاعدة حليلة في التوسل والوسيلة، ابن تيمية: تحقيق عبد القادر الأرناؤوط دار البحوث العلمية والإفتاء الإدارية العامة للطبع، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى: (ص ٢٦).

مغفور، وبدون التوبة معلق بالمشيئة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر ٥٣].

وقال في تلك الآية: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [سورة النساء ٤٨]، فخص ما دون الشرك وعلقه بالمشيئة، فإذا كان الشرك لا يغفر إلا بتوبة، وأما ما دونه فيغفر الله للتائب وقد يغفره بدون التوبة لمن يشاء، فالاعتراف بالخطيئة مع التوحيد إن كان متضمناً للتوبة أو جب المغفرة، وإذا غفر الذنب زالت عقوبته، فإن المغفرة هي وقاية شر الذنب، وأما إذا ابتلي مع ذلك بما يكون سبباً في حقه لزيادة أجره فهذا لا ينافي المغفرة^(١).

٥- لا حاجة إلى الوسطاء.

يقرر الإسلام أن العبد عندما يقترف خطيئة فإنه لا يحتاج إلى الوسطاء؛ لأن الله أقرب إليه من حبل الوريد، وما جاء به الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً، وهو يبطل ما ذهبت إليه اليهودية في وجوب حضور الكاهن أثناء تقديم القرابين من أجل التطهير من الذنب، ويبطل كذلك ما ذهبت إليه النصرانية فيما يسمى بنظام الاعتراف أمام القسيس.

قال تعالى عن آدم عليه السلام وزوجته حواء: ﴿فَدَلَّيْنَهُمَا يَبْغُرُونَ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَيْتُهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأعراف ٢٢ - ٢٣].

وهذا موسى عليه السلام بعد قتله القبطي: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرْتَهُ إِنَّهُ هُوَ

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة القصص ١٦].

(١) التوبة والاستغفار: ابن تيمية، تحقيق محمد عمر الحاجي، عبد الله بدران، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى:

ويونس في الظلمات يعترف بذنبه ويناجي ربه: ﴿وَذَا التُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغْلِظًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَجَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الأنبياء ٨٨].

٦- من دلائل التوبة في الإسلام الاستغفار.

وقد جعل الله التوبة من صفات المؤمنين وعلق قبولها بالاستغفار وعدم الإصرار: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ وَمَنْ يُغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [سورة آل عمران ١٣٥].

وللتوبة في الإسلام شروط، فإن كانت بين العبد وربّه، ولا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

١- أن يقلع عن المعصية.

٢- أن يندم على فعلها.

٣- أن يعزم على أن لا يعود إليها أبداً.

وإن كانت تتعلق بحق آدمي فهناك شرط رابع هو: أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كان حداً قذف ونحوه مكّنه منه، وإن كانت غيبة استحلّه منها.

والشروط الثلاثة يجب أن تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة، فإنه في ذلك الوقت يندم ويقلع ويعزم^(١).

(١) الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية، د. محمد أحمد الخطيب، الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر: (ص ٢٧٨).

الفصل السادس

التناقض حول عصمة البابا عن الخطأ

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من عصمة البابا عن الخطأ.

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من عصمة

البابا الروماني عن الخطأ.

المبحث الثالث: العصمة في الإسلام.

الفصل السادس

التناقض حول عصمة البابا عن الخطأ

تمهيد:

تؤمن الكنيسة الكاثوليكية بأن البابا رأس الكنيسة المنظورة في العالم، وأنه إذا تكلم في الأمور الدينية يكون معصوماً عن الخطأ؛ لكونه في تلك الحالة آلة في يد الروح القدس^(١)، وقد صدق على هذا المجمع الفاتيكاني الأول المنعقد في روما سنة (١٨٧٠م) مقررًا عصمة البابا باعتباره معلماً دينياً، وعصمة وظيفته البابوية باعتباره رئيساً للكنيسة^(٢)، وجاء نص العصمة كالتالي:

"الحبر الأعظم الروماني حين يتكلم على الكاتدرا^(٣) أي: حين يمارس مهمة الرعاية وتعليم المسيحيين هو يحدد بأولوية سلطته الرسولية العقيدة المتعلقة بالإيمان أو التقاليد أو الأخلاق التي تهم الكنيسة الجامعة، وهو يملك بواسطة المعونة الإلهية التي وعد بها عبر القديس بطرس العصمة التي شاء المخلص الإلهي لكنيستته تحديد العقيدة المتعلقة بالإيمان والأخلاق، هذه التحديدات من الحبر الروماني غير قابلة للمناقشة من نفسها وليس من موافقة الكنيسة"^(٤).

(١) انظر: الفروق العقيدية: (ص ٣١)، اللاهوت النظامي: (ص ٤٥)، موسوعة علم اللاهوت: (٤٥٠/٤ - ٤٥١)، كتر النفائس: (ص ١٨-١٩، ٤٦).

(٢) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٧٨)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٧٦)، اللاهوت النظامي: (ص ٤٥)، كتر النفائس: (ص ١١٩).

(٣) الكاتدرائية: الكنيسة التي يوجد بها كرسي الأسقف. قاموس المصطلحات الكنسية: (ص ٤١).

(٤) الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول: (ص ٣١)، وانظر: الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/٦٥١)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٧٦).

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من عصمة البابا عن الخطأ

يعتقد الكاثوليك بعصمة البابا عن الخطأ، وأن هذه العصمة جزء من العصمة العامة للكنيسة الكاثوليكية.

المطلب الأول: التعريف بالعصمة البابوية.

أولاً: العصمة لغة.

العين والصاد والميم أصل واحد يدل على إمساك ومنع وملازمة^(١)، فكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه^(٢)، والعصمة في كلام العرب تأتي لعدة معاني منها: الوقاية والمنع والحفظ. وعصمة الله عبده أن يعصمه مما يوبقه، عصمه يعصمه عصماً: منعه ووقاه، وفي الترتيل: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [سورة هود ٤٣].

قال الأزهرى: الخذاق من النحويين اتفقوا على أن قوله: ﴿لَا عَاصِمَ﴾ بمعنى لا مانع، وعصمه الطعام من الجوع: أي منعه من الجوع، واعتصم به واستعصم: أي امتنع وأبى، ومنه قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ امْرَأَتِهِ لَيَفْسُدَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [سورة يوسف ٣٢] أي: تأبى عليها ولم يجبهها إلى طلبها^(٣).

ثانياً: العصمة اصطلاحاً.

هي ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها^(٤)، وقيل: أنها عدم قدرة المعصية، أو خلق مانع منها غير ملجئ بل ينتفي معه الاختيار، وقال صاحب البداية: أي أنها لا تجبره

(١) معجم مقاييس اللغة: (٤/٣٣١).

(٢) الكلبيات: أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: (ص ٥٩٨).

(٣) انظر: المعجم الوسيط: (٢/٦٠٥)، القاموس المحيط: (ص ١٤٦٩)، لسان العرب: (١٢/٤٠٣).

(٤) التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م: (ص ١٥٦).

على الطاعة ولا تعجزه عن المعصية، بل هي لطف من الله يحمل العبد على فعل الخير،
ويزجره عن فعل الشر، مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء^(١).

ثالثاً: تعريف لفظ البابا.

البابا "pope" لفظ قيل أنه يوناني الأصل مأخوذ من كلمة "باباس" papac. بمعنى
أب والمعنى "أب الآباء"، وهو بهذا المفهوم خاص بالرئيس الأعلى للكنيسة الكاثوليكية
الرومانية عند الغرب.

وقيل: معناه الأب الروحي للمؤمنين.

وقيل بأنه لاتيني "papa" بمعنى أب، ويمكن إطلاق هذا اللفظ على أي فرد من رجال
الكنيسة^(٢).

والبابوية منصب البابا ومقامه^(٣).

رابعاً: مفهوم العصمة عند الكاثوليك.

"إنها ليست مجرد انعدام الخطأ لدى المعصوم، وإنما هي الكمال التام، أو الإيجابي، يمنع
عنه إمكانية الوقوع في الخطأ، ويستلزم بالضرورة إخلاصاً رئيسياً للوحي المسيحي في التعليم
الذي تقرره وتقبله الكنيسة.

وجاء في دائرة معارف الدين والأخلاق: إنها تعني عدم الخطأ وعدم القابلية للعيب أو
الخلل -أي المعصية- كما أنها تعتبر مصدراً أو طريقاً للعلم المعصوم، وتعني أيضاً: الحصانة
المطلقة أو العملية من الخطأ أو الإخفاق.

(١) الكليات: (ص ٦٤٥).

(٢) انظر: قاموس المصطلحات الكنسية: القمص تادرس يعقوب ملطي، مطبعة الإخوة المصريين، القاهرة: ١٩٩١م:

(ص ١١)، معجم المصطلحات الكنسية: نسخة إلكترونية، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفاتح

عاشور، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٦م: (ص ٥١)، المعجم الوسيط: (٣٥/١).

(٣) المعجم الوسيط: (٣٥/١).

وفي دائرة المعارف الأمريكية: أنها استثناء لشخص أو جماعة من إمكانية الوقوع في الخطأ^(١).

المطلب الثاني: إقرار العقيدة.

كانت فكرة العصمة متداولة بين الكاثوليك منذ زمن جراء التهديدات التي كانت تتعرض لها الكنيسة الكاثوليكية، والتصعيد العدائي تجاهها من الناحيتين السياسية والدينية، لذلك رأى البعض أن أفضل طريقة لمعالجة هذا الوضع هو التأكيد بوضوح أن البابوات يملكون كل السلطة في الكنيسة^(٢).

فالتأم المجمع الفاتيكاني الأول في روما سنة (١٨٧٠م) مقررًا عصمة البابا باعتباره معلمًا دينيًا، وعصمة وظيفته البابوية باعتباره رئيسًا للكنيسة، ومما جاء فيه: "لذلك نتمسك بأمانة التقليد الوارد منذ بدء الإيمان المسيحي لمجد الله مخلصنا، ورفع شأن الديانة الكاثوليكية وخلص الشعب المسيحي، ونعلم بموافقة المجمع المقدس كعقيدة أوحى بها الله أن الحبر الروماني عندما يتكلم رسمياً "من أعلى المنبر" أي عندما يحدد وهو يقوم بمهمته كراع ومعلم للمسيحيين بسلطانه الرسولي الأسمى إنه من واجب الكنيسة جمعاء التمسك بعقيدة في موضوع الإيمان أو الأخلاق، فهو يتمتع بفعل العون الإلهي الذي وعد به في شخص القديس بطرس، بتلك العصمة التي أراد الفادي الإلهي أن تكون للكنيسة عندما تُحدد عقيدة في الإيمان أو الأخلاق، وبالتالي تكون تحديدات الحبر الروماني هذه غير قابلة للإصلاح بذاتها وليس بفعل موافقة الكنيسة"^(٣).

فدار نقاش ساخن حول هذه العقيدة الجديدة، والتي أثارت ردة فعل عنيفة لكونها غير مطابقة للوصايا الإنجيلية وللتقاليد الرسولية ولما اعتقده النصارى منذ أجيال وأجيال^(٤)،

(١) مصادر النصرانية: (ص ٩١٩).

(٢) انظر: الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول: (ص ٣-٧).

(٣) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/٦٥١)، وانظر: الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٧٦).

(٤) انظر: الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول: (ص ٢٢-٣٧).

فجاء فرض العقيدة في المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٤م) في جلسته الخامسة وأضاف أن السلطة الأسقفية لها سلطان، وهذا السلطان مرتبط بالبابا، ومما جاء فيه:

"وهذا المجمع المقدس الذي يترسم خطوات المجمع الفاتيكاني الأول، يُعلّم ويعلن معه أن يسوع المسيح الراعي الأبدي قد بنى الكنيسة المقدسة بإرساله الرسل، كما أنه هو نفسه قد أرسله الآب^(١)، وأراد أن يكون خلفائهم أي الأساقفة رعاة في كنيسته إلى منتهى الدهر، ولكن لكي يكفل للأسقفية نفسها الوحدة وعدم التجزؤ جعل الطوباوي بطرس على رأس الرسل الآخرين، وجعل فيه المبدأ والأساس الدائم المنظور لوحدة الإيمان والشركة، وهذا التعليم العقائدي بشأن أولوية الحبر الروماني وسلطانه التعليمي المعصوم، من حيث إنشائهما واستمرارهما وقوتهما وغايتهما، يتبناه المجمع المقدس ويعلنه ثانية على جميع المؤمنين عقيدة إيمانية ثابتة"^(٢).

المطلب الثالث: عصمة البابا في عقيدة الكاثوليك.

يمثل البابا أسقف روما "الحبر الأعظم" قمة الهيكل الإداري في الكنيسة الكاثوليكية فهو خليفة بطرس الرسول^(٣)، الذي قال له المسيح ﷺ - بزعمهم -: "سأعطيك ملكوت السماوات، فما ربطته في الأرض رُبط في السماوات، وما حللته في الأرض حُل في السماوات"^(٤)، ولذلك فإن مقام البابا عند الكاثوليك مقام ديني مقدس، أرسى أساسه المسيح ﷺ بنفسه^(٥)، حيث إنه أنشأ الكنيسة وأعطاه السلطة والرسالة والتوجيه والهدف: "إن المسيح الرب قد أنشأ في كنيسته لكي يرعى شعب الله وينميه في غير انقطاع

(١) (يو ٢٠: ٢١).

(٢) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٩٤٢/٢).

(٣) انظر: التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (١٩٤/٢)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٧٦)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٧٧).

(٤) (مت ١٦: ١٩)

(٥) الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٧٨).

خدماً متنوعاً تهدف إلى خير الجسم كله، فالرعاة وقد قلدوا سلطاناً مقدساً هم في خدمة إخوتهم لكي يتمكن جميع المنتمين إلى شعب الله أن ينالوا الخلاص" (١).

فتكون الكنيسة الكاثوليكية بموجب هذا التعليم قادرةً على إرشاد النصارى وتحريرهم من المسؤولية الشخصية في أمور الدين، وحاكمةً في كل المسائل الدينية لأجلهم، ومخلصةً لهم من عناء البحث عن الحق، ومؤكدةً خلاصهم بمجرد خضوعهم لها، وحاملةً عنهم الخطأ، وفتاحةً لهم أبواب السماء! (٢).

والبابا بحكم مهمته كنائبٍ للمسيح وراعٍ للكنيسة كلها؛ فإنه يملك السلطان الكامل الذي يستطيع أن يمارسه بحرية على الدوام، كما يتمتع بالعصمة بحكم مهمته وصفته راعياً أعلى لجميع النصارى.

جاء في التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية:

"إن الرب جعل من سمعان وحده الذي أعطاه اسم بطرس، صخرة كنيسته، لقد سلمه مفاتيحها وجعله راعياً للقطيع كله -بيد أن مهمة الحل والربط التي أعطيت لبطرس قد أعطيت أيضاً بلا شك لهيئة الرسل متحدين برئيسهم- ومهمة بطرس وسائر الرسل الراعوية هذه هي في أسس الكنيسة وهي تواصل على أيدي الأساقفة برئاسة البابا، والبابا أسقف روما وخليفة القديس بطرس هو المبدأ الدائم المنظور والأساس للوحدة التي تربط بين الأساقفة وتربط بين جمهور المؤمنين، فإن الحبر الروماني بحكم مهمته كنائب للمسيح وراعٍ للكنيسة كلها، يملك في الكنيسة السلطان الكامل الأعلى والشامل الذي يستطيع أن يمارسه بحرية على الدوام، وهيئة الأسقفية أو الجسم الأسقفي لا سلطان لها ما لم تتصورها متحدة بالحبر الروماني خليفة بطرس اتحاداً برأسها، وهي بهذه الصفة تملك أيضاً السلطان الأعلى والكامل على الكنيسة كلها، وإنما لا يمكنها أن تزاوله إلا بموافقة الحبر الروماني، وهيئة

(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (١٩٢/٢).

(٢) انظر: اللاهوت النظامي: (ص ٤٥).

الأساقفة تزاوّل السلطان على الكنيسة كلها بصورة رسمية في المجمع المسكوني، ولا يكون البتة مجمع مسكوني إن لم يثبته أو يقبله على الأقل خليفة بطرس على أنه بهذه الصفة" (١).

وعن فائدة تلك العصمة - بزعمهم - يمضي التعليم شارحاً ما تحققه للنصارى من فوائد إيمانية! !

حيث جاء فيه: "لحفظ الكنيسة في صفاء الإيمان الذي نقله الرسل، أراد المسيح الذي هو الحق أن يمنح كنيسته اشتراكاً في عصمته الخاصة، وبالمعنى الفائت الطبيعة للإيمان، يتمسك شعب الله بالإيمان تمسكاً ثابتاً بقيادة سلطة الكنيسة التعليمية الحية، رسالة السلطة التعليمية مرتبطة بالطابع النهائي للعهد الذي عقده الله في المسيح مع شعبه، فهو من شأنه أن يقيه الانحرافات والعثرات، وأن يضمن له الإمكانية الواقعية للاعتراف بالإيمان الأصيل في غير ضلالة.

وهكذا فمهمة السلطة التعليمية الراعوية موجهة إلى السهر على أن يظل شعب الله في الحق الذي يجرر، ولكي يقوم بهذه السلطة مَهَرَّ المسيح الرعاة موهبة العصمة فيما هو من شأن الإيمان والآداب".

"هذه العصمة التي يتمتع بها الحبر الروماني رئيس هيئة الأساقفة بحكم مهمته بالذات - بصفة كونه راعياً ومصلحاً أعلى لجميع المؤمنين ومكلفاً تثبیت إخوته في الإيمان - عندما يعلن بتصميم مطلق مادة عقائدية تتعلق بالإيمان والآداب. . . ، والعصمة التي وعدت بها الكنيسة مستقرة أيضاً في هيئة الأساقفة عندما تمارس سلطاتها التعليمي الأعلى بالاتحاد مع خليفة بطرس ولا سيما في مجمع مسكوني، فعندما تعرض الكنيسة بواسطة سلطاتها التعليمية العليا شيئاً للإيمان به على أنه موحى به من عند الله، وعلى أنه تعليم من المسيح يجب قبول مثل هذه التحديدات بطاعة الإيمان، وهذه العصمة تمتد بامتداد وديعة الوحي الإلهي نفسها"! .

(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (١٩٤/٢).

"العون الإلهي يرافق أيضاً خلفاء الرسل عندما يعملون في شركة خليفة بطرس، ويرافق بنوع خاص أسقف رومة راعي الكنيسة جمعاء عندما -من غير أن يصلوا إلى تحديد معصوم ومن غير أن يتفوهوا بطريقة نهائية- يقدمون في ممارسة السلطة التعليمية العادية تعليماً يقود إلى فهم أفضل للوحي في موضوعي الإيمان والآداب، وعلى المؤمنين أن يولوا هذا التعليم العادي من ذهنهم القبول في شعور ديني، وهو إن تميز من قبول الإيمان فإنه مع ذلك امتداد له" (١).

جاء في بيان الكنيسة الجامعة عن الباباوات وعصمتهم ما يلي:

"قد عرف الجميع وأقروا في الزمان القديم أنّ البابا هو خليفة مار بطرس، وأنه رئيس الكنيسة كلها، يسوسها واحدة ومجتعة، أما رؤساء الأساقفة والبطاركة فلكل منهم أن يسوس أبرشيته، ويعقد بمعية الأساقفة الذين تحت ولايته مجامع خصوصية ضمن أبرشيته لإفادة شعبه وبلاده، غير أن هذه المجمع ليس لها العصمة فيما تقرره من الحقائق قبل أن يثبتها بابا رومية.

أما البابا فله أن يعقد مجامع عامة يستدعي إليها جميع أساقفة العالم، لأنه رئيس الكنيسة بأسرها، وأن يترأس عليها إما بذاته وإما بواسطة نوابه، وأن يثبتها لتكون عامة حقيقية تلزم الضمائر بحفظها، أما حضور جميع أساقفة العالم فليس من باب الضرورة.

كذلك في المجمع المسكونية لا يكون لرأي الأعضاء نفوذ ولا عصمة ما لم يثبتته وينتهي به الرئيس، وهو الحبر الأعظم بابا رومية، كما جرى ذلك في الكنيسة منذ أوائلها إلى أيامنا هذه، فكل من يأبى والحالة هذه أن يؤمن بما تحدده المجمع من القضايا وتثبته البابوات عدّ هرطوقياً" (٢).

(١) التعليم المسيحي: (٢/١٩٤-١٩٥).

(٢) الكنيسة الجامعة: (ص ٢٠).

ومن النصوص السابقة، ومن نص قرار العصمة البابوية الذي أشير إليه سابقاً، يتضح أن لهذه العصمة شروطاً عند الكاثوليك على النحو التالي:

(١) أن يكون ذلك في حالة كلام البابا باعتباره المعلم الأعلى للكنائس في العالم كله، بخلاف تعاليمه الفردية أو السرية وآرائه الشخصية فلا يكون فيها معصوماً أبداً؛ لأن عصمته لا تتجاوز وظيفته إلى شخصه، فهو عرضة للخطأ في سائر أعماله وأفكاره كغيره من البشر.

(٢) أن يكون الموضوع متعلقاً بتحديد تعليم أو عقيدة ما، فيجب عليه طلب موافقة نهائية من أعضاء الكنيسة لذلك، وأما مجرد نصيحة أو أي قرار مؤقت للتأديب فلا.

(٣) أن تكون تحديداته المعصومة في إطار الإيمان والأخلاق التي تدخل كجزء من الوحي الإلهي المسلم من الرسل إلى خلفائهم "التسليم الرسولي"، دون الأمور التاريخية والفلسفية والعلمية.

(٤) أن يصرح بأن التعليم الذي يقوله ملزم للكنيسة عن بكرة أبيها^(١).

وتكون النتيجة في حال توفر هذه الشروط وعدم اختلالها، أن هذا التعليم والعقيدة التي جاء بها البابا موحى بها من عند الله! ويجب قبولها بطاعة وإيمان، ومن خالفها حكم عليه بالهرطقة!

(١) انظر: اللاهوت النظامي: (ص ٤٥)، كتر النفاس: (ص ١١٩)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٧٨)،

مصادر النصرانية: (ص ٩٢١).

المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية في قضية الإيمان بعصمة البابا عن الخطأ.

لا ينظر الكاثوليك إلى هذه العصمة كشيءٍ معجزٍ أو نوعٍ من الكشف الروحي، بل ينظرون إليها على أنها هدية إلهية، وعطية من الله تستند إلى أساس لاهوتي وكتابي^(١) ويستدلون بما يأتي:

أولاً: قولهم: إن المسيح عليه السلام وعد الرسل وخلفاءهم حتى نهاية العالم أن يعطيهم العصمة والسلطان المبني عليها، ويستشهدون على ذلك بالنصوص الكتابية التالية:

(أ) "وأنا أقول لك: أنت صخر وعلى الصخر هذا سأبني كنيسة، فلن يقوى عليها سلطان الموت، وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فما ربطته في الأرض رُبط في السموات، وما حللته في الأرض حُل في السموات، ثم أوصي تلاميذه ألا يخبروا أحداً بأنه المسيح"^(٢).

(ب) "وتعلن باسمه التوبة وغفران الخطايا لجميع الأمم، ابتداءً من أورشليم، وأنتم شهداء على هذه الأمور، وإني أرسل لكم ما وعد به أبي"^(٣).

(ج) "فمتى جاء هو، أي: روح الحق، أرشدكم إلى الحق كله؛ لأنه لن يتكلم من عنده، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بما سيحدث"^(٤).

(د) "وقال لهم: خذوا الروح القدس من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن أمسكتم عليهم الغفران يمسك عليهم"^(٥).

(١) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٧٨).

(٢) (مت ١٦: ١٨-٢٠).

(٣) (لو ٢٤: ٤٧-٤٩).

(٤) (يو ١٦: ١٣).

(٥) (يو ٢٠: ٢٣).

ثانياً: الوصية المعطاة للكنيسة أن تكون معلّمة للعالم

(أ) "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصيتكم به، وها أنذا معكم طوال الأيام إلى نهاية العالم" (١).
 (ب) "من سمع إليكم سمع إلي، ومن أعرض عنكم أعرض عني، ومن أعرض عني أعرض عن الذي أرسلني" (٢).

ثالثاً: قولهم: إن الله أعطى الكنيسة سلطان الحل والربط، وأن كل من لا يطيعها

ينبغي أن يعامل كوثني.

(أ) - "وإذا أخطأ أخوك فاذهب وانفرد به ووبخه، فإذا سمع لك فخذ معك رجلاً أو رجلين لكي يحكم في كل قضية بناءً على كلام شاهدين أو ثلاثة، فإن لم يسمع منهما فأخبر الكنيسة بأمره، وإن لم يسمع للكنيسة أيضاً فليكن عندك كالوثني والعشار، والحق أقول لكم ما ربطتم في الأرض رُبط في السماء، وما حللتم في الأرض حل في السماء" (٣).

رابعاً: قولهم: إن يسوع أعطى بطرس الأولية ومفاتيح ملكوت السموات،

وأوصاه أن يرعى خرافه، والسيد أعطى ذلك لبطرس فقط.

(أ) - "وبعد أن فطروا قال يسوع لسمعان بطرس: يا سمعان بن يونا، أتجني أكثر مما يجني هؤلاء؟ قال له: نعم يا رب، أنت تعلم أنني أحبك حباً شديداً، قال له: ارع حملائي، قال له مرة ثانية: يا سمعان بن يونا أتجني؟ قال: نعم يا رب، أنت تعلم أنني أحبك حباً شديداً، قال له: اسهر على خرافي، قال له الثالثة: يا سمعان بن يونا أتجني حباً شديداً؟ فحزن بطرس لأنه قال له في المرة الثالثة: أتجني حباً شديداً؟ فقال: يا رب أنت تعلم كل شيء، أنت تعلم أنني أحبك حباً شديداً، قال له: ارع خرافي" (٤).

(١) (مت ٢٨: ١٩-٢٠).

(٢) (لو ١٠: ١٦).

(٣) (مت ١٨: ١٥-١٨).

(٤) (يو ٢١: ١٥-١٨).

(ب) - وقال الرب: "سمعان سمعان هو ذا الشيطان، قد طلبكم ليغربلكم كما تغربل الخنطة، ولكنني دعوت لك ألا تفقد إيمانك، وأنت ثبت إخوتك متى رجعت" (١).

خامساً: استنادهم إلى القياس.

فكل حكومة سياسية لها شريعة مكتوبة ورأس منظور ذو سلطان، والكنيسة هي حكومة منتظمة ذات شريعة، فلا بد أن يكون لها أيضاً رأس منظور ذو سلطان معصوم يلزم الجميع أن يخضعوا له، ويؤمنوا بما يعلمه، وعصمة الكنيسة تتوقف على عصمة رأسها؛ لأنه هو القاضي في أمور الإيمان وهو المتقلد تثبت إخوته (٢).

فهذه النصوص وغيرها اعتمد عليها رجال الكنيسة الكاثوليكية في دعواهم الرئاسة والرعاية الكنسيّتين لبطرس بعد المسيح ﷺ، ورتبوا على ذلك بلزوم كونه معصوماً ليرشد الناس ويسد احتياجاتهم في أمور الدين، كيف لا وقد أُعطي مفاتيح ملكوت السماوات -والعياذ بالله- يحل ما يشاء ويربط ما يشاء في السماوات والأرض، ثم زعموا أنه من غير المعقول أن المسيح ﷺ قد قصد أن هذه الميزات كلها ستموت بموت بطرس، بل تمتد لخلفائه من بعده، حيث إن الحاجة إليها تنمو بمرور الوقت والزمن، لتحفظ وحدة التعليم والاعتقاد، وجمع النصراني في حظيرة واحدة تحت رعاية راعٍ واحد (٣).

(١) (لو ٢٢ : ٣١ - ٣٢).

(٢) انظر: الكنيسة الجامعة: (ص ٩٨)، اللاهوت النظامي: (ص ٤٥).

(٣) انظر: مصادر النصرانية: (ص ٩٢٣-٩٢٤)، اللاهوت النظامي: (ص ٤٥).

المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من عصمة البابا

الروماني عن الخطأ.

رفضت الكنيسة الأرثوذكسية هذا التعليم رفضاً تاماً، فلا عصمة للبابا، ولا لأحدٍ غيره من البشر، ولا رئاسة لكرسي روما على جميع الكنائس^(١).

ورأت في هذا التعليم مخالفة صريحة للإيمان المسلم من الرسل القديسين والآباء القدامى، وأن الكنيسة الكاثوليكية بهذا التعليم تسعى لإخضاع كل كنائس المسيح لسلطة السدة الرومانية، ورأت بأن خير طريق لمجابهة هذا الادعاء البابوي هو نشرها كتباً ضد الرئاسة البابوية وعصمتها بأفلام غربيين من أصل كاثوليكي.

في الوقت نفسه انصرف كبار اللاهوتيين الأرثوذكس في روسيا واليونان والقسطنطينية إلى تعميق الجانب العقائدي النظري المنظم في موقف الأرثوذكس من القرار الفاتيكاني، وصرح بعض الأساتذة الروس اللاهوتيين أمثال غوسيف وكيرينسكي والأسقف سرجيوس باعترضهم على المجمع الفاتيكاني الأول قائلين بأن الكنيسة الأرثوذكسية هي وحدها فقط كنيسة المسيح الجامعة! وأن كنيسة روما ليست سوى استمرار وامتداد للإمبراطورية الوثنية القديمة.

ولم تأت ردة فعل الكنيسة البروتستانتية بأقل من الأرثوذكسية، بل نعتوا المجمع بأبشع النعوت، واعتبر بعضهم أن المجمع كان نصراً للجزويت^(٢)، وأن البابا أصبح مستبداً، وأنه أسس تفوقه ليس فقط على المجامع العامة ولكن أيضاً على فكر العالم الحر.

(١) انظر: اللاهوت النظامي: (ص ٩١)، الفروق العقيدية: (ص ٣٠ - ٣١)، الإيمان الأرثوذكسي: (ص ١٦ - ١٧)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٦٦-٦٧)، كثر النفائس: (ص ١٩، ٤٥، ٤٩)، الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول: (ص ٤٢-٤٦).

(٢) الجزويت: فرقة كاثوليكية يسوعية، أسسها قسيس فرنسي يدعى أنياس لايولا في القرون الوسطى، تنستر خلف أعمال البر لتستقطب الناس إلى النصرانية، تحاول هذه الفرقة الغوص في أعماق الأسرار السياسية، ومد بعض الحكام بما للفوز بمكانة مرموقة لديهم، تعمل على هدم القيم الدينية ونشر الرذائل، ساهمت في القضاء على المسلمين في الأندلس من خلال محاكم التفتيش، تنتشر في أوروبا بصفة عامة. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ١٤٢٠ هـ: (٢/٦٣٢-٦٣٤).

وكتبت مجلة *American Presbyterian Review*: "البابا حين يجلس في هيكل الله يظهر نفسه أنه الله، وهذا ما يدعوننا أن ننتقد وندين عقيدة العصمة البابوية على أنها تجديف"^(١).

وعددت المجلة الأخطاء الكثيرة للباباوات عبر التاريخ، وذكرت بعض قراراتهم في مجامعهم التي تسيء إلى الإيمان المسيحي الأول، ثم خرجت بالنتيجة التالية: "إن كنيسة روما بهذه العقيدة الجديدة قد أكملت ارتدادها عن الإيمان المسيحي، إذ تكون قد نسبت صفات إلهية إلى إنسان خاطئ إذ العصمة هي لله وحده"^(٢).

ولم يقتصر الرفض على تلك الكنائس فحسب، فبعد صدور هذا القرار انشق بعض أبناء الطائفة الكاثوليكية مكونين كنيسة الكاثوليك القدماء^(٣)، حيث حاربوا بشدة هذا التعليم وبينوا خطره، واعتبروا تثبيته تغييراً في إيمان الكنيسة وتعليمها، وعقدوا عدة مجامع نادوا فيها بأن هذا التعليم البابوي مضاد للكتاب المقدس^(٤).

وقد فند الراضون لهذه العقيدة من النصارى مزاعم الكاثوليك وادعاءاتهم وأوردوا

جملة من الاعتراضات والردود يذكر منها ما يلي:

أولاً: بالنسبة لادعائهم رئاسة بطرس للكنيسة المنظورة.

حيث تزعم الكنيسة الكاثوليكية أن يسوع قدم القديس بطرس الرسول، وأقامه نائباً عنه على

الأرض ورئيساً للرسول وللكنيسة كلها، وهو مصدر نعمتها، وأن الرسل قد أخذوا التعليم عنه^(٥).

(١) التجديف لغة: هو كفر بالنعم أو استقلال عطاء الله وتوجيه الإهانة أو التعيير إليه، وتأتي في العهد القديم بمعنى: القذف والاهانة، وفي العهد الجديد بمعنى: الشتم والاهانة والاحتقار والكلام غير اللائق، انظر: دائرة المعارف الكتابية: (٥١٣/٢-٥١٤) ويقصد بها في الكتاب المقدس كلام غير لائق في شأن الله وصفاته، انظر: معاني الكلمات الصعبة في الكتاب المقدس، إعداد: القس ميلاد ديب يعقوب، الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل: (ص ٥١٢).

(٢) انظر: الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول: (ص ٤٢-٤٥).

(٣) الكاثوليك القدماء: جماعة من المسيحيين الغربيين، وأكثرهم من الألمانين الذين كانوا خاضعين للبابا ثم هجروا الكنيسة البابوية بسبب مسألة العصمة، ولقبوا أنفسهم بالكاثوليك القدماء رغبة منهم في أن يدللوا على أنهم كاثوليك حقيقيون، يحافظون على عقائد الكنيسة الكاثوليكية القديمة، ويرفضون البدع العصرية الجديدة للكنيسة البابوية. انظر: كتر النفائس: (ص ١١٩-١٢٠).

(٤) انظر: الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول: (ص ٤٠)، كتر النفائس: (ص ١١٩).

(٥) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤٧)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص ١٧).

الردود:

- أ- إن بطرس لم يأت اسمه في العهد الجديد في كل مكان متصديراً ومتقدماً على باقي الرسل بل ورد في أماكن متأخراً عنهم، في الأول والثاني ذكر اسم بولس وأبُلُوس قبله (١ كو: ١٢ و ٣: ٢٢)، وفي الثالث باقي الرسل وإخوة الرب (١ كو ٩: ٥) وفي هذا النص تجلت المساواة بين صفا ويوحنا ويعقوب^(١): "إذا علم بالنعمة المعطاة ليعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان"^(٢).
- ب- إن يسوع لم يُقم بطرس رئيساً، بل ساوى بين الجميع في الرتبة الرسولية والسلطان لعمل المعجزات وسلطان حل الخطايا وربطها^(٣)، "ثم دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف"^(٤).
- "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب، والابن، والروح القدس"^(٥).
- "ولما قال هذا نفخ وقال لهم: "اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم تغفر له، ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت"^(٦).
- ج- إن يسوع شجب فكرة الرئاسة عندما تنازع عليها الرسل، ودعاهم لعدم تقليد الأمم^(٧) حيث جاء عنه: "فجلس ونادى الاثني عشر وقال لهم: إذا أراد أحد أن يكون أولاً، فيكون آخر الكل وخادماً للكل"^(٨).
- "الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت

(١) تنوير الأذهان: (ص ١٩٢)، وانظر: الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٧٨).

(٢) (غلا ٢: ٩).

(٣) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤٧)، البراهين الإنجيلية: (ص ١٠٢)، الحجة الأرثوذكسية: (ص ١٢٣)،

الصخرة الأرثوذكسية: (ص ١٤-١٥).

(٤) (مت: ١٠: ١).

(٥) (مت: ٢٨: ١٩).

(٦) (يو ٢٠: ٢٢-٢٣).

(٧) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤٧)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص ١٥).

(٨) (مر ٩: ٣٥).

السموات" (١).

وعندما اغتاز الرسل من طلبي ابني زبدى: فدعاهم يسوع وقال لهم: "أنتم تعلمون أن رؤوساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم، فلا يكون هكذا فيكم، بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً، ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً، كما أن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (٢).

أما بالنسبة للأدلة التي استدلوها بها فمردودة عليهم من عدة أوجه:

(أ) قوله: "على هذا الصخر أبني كنيسة" (٣).

إن المقصود بالصخرة هنا صخرة الإيمان التي بنيت عليها الكنيسة وليس بطرس نفسه، يقول يوحنا ذهبي الفم: "على هذه الصخرة أبني كنيسة، أي على إقرار الرسول وهو: أنت المسيح ابن الله الحي". تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وهذا هو التفسير الصحيح - برأي الأرثوذكس - الذي يستريح له العقل، والضمير الصالح لأنه حاشا للرب أن تبني كنيسة على إنسان ضعيف، بل أكثر الرسل ضعفاً حيث إنه أنكر سيده ثلاث مرات متتالية أمامه وأمام أحقر الناس وأضعفهم "جواري وخدم رئيس الكهنة" بالرغم من تحذير الرب له بشدة قبل ذلك السقوط بساعات قليلة (٤).

(ب) عندما نقرأ نفس الإصحاح باقي الأعداد، يظهر بوضوح تناقض الكنيسة الكاثوليكية في تفسيرها لما جاء في (متى ١٦ : ١٨)، ففي نفس الإصحاح جواب يسوع لبطرس عندما جرب أن يعده عن طريق الصلب، "فالتفت إليه وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس" (٥)، فمن المستحيل أن يقول

(١) (مت ١٨ : ٣).

(٢) (مت ٢٠ : ٢٥-٢٨).

(٣) (مت ١٦ : ١٦).

(٤) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤٧)، كتر النفائس: (ص ١٧-١٨)، الحجة الأرثوذكسية: (ص ١١٨-

١٢٢).

(٥) (مت ١٦-٢٣).

يسوع لبطرس: أنت الصخرة التي أبني عليها كنيسة، وفي نفس الإصحاح واللحظة تُرى كلمات التوبيخ المخيفة، والحقيقة التي لا مناص منها أن الفكرة القائلة بأن بطرس هو صخرة الكنيسة تحديف على الرب، فحاشا أن يكون بطرس هو أساس الكنيسة، وقد وبخه يسوع بتلك الطريقة القاسية التي لم يوبخ بها تلميذاً آخر^(١).

(ج) أما عن قول يسوع للقديس بطرس ثلاث مرات: "يا سمعان بن يونا أتجني . . . ارفع غنمي" فهنا توبيخ له لإنكاره سيده ثلاث مرات متتالية، بالرغم من وعده للمسيح بأن يطيعه مهما أصابه، لذا خاطبه باسمه الأول وليس الاسم الذي دعاه به، لعدم استحقاقه أن يحمل هذا الاسم، ولو كان الأمر كما يزعمون فلماذا حزن الرسول لهذا التكرار؟! فقد كان الأجدر به أن يفرح لتقلده الرئاسة على الكنيسة، أما حزنه فلأنه فهم من كلام المخلص توبيخاً لا تكريماً.

قال القديس غريغوريوس: "إن الرب بتثليث السؤال والإقرار يشفى بتثليث الجحود والإنكار"^(٢).

وبحسب أقوال الآباء، فإن خطاب يسوع المثلث لبطرس بعد قيامته ما كان إلا تقويماً لأمره، وإعادة لرتبته عديلاً لإخوته، لا رئيساً ولا متسلطاً على بقية الرسل.

ثانياً: بالنسبة لادعائهم رئاسة البابا الروماني على الكنيسة المنظورة.

إن هذه الرئاسة لا أساس لها من الصحة، ولا سند لها من الكتاب المقدس أو في قوانين الكنيسة، وأن الذي ساعد باباوات روما على حمل هذا اللقب هو الضرورة المدنية والظروف السياسية التي سادت العصور الوسطى باعتبار روما عاصمة الإمبراطورية^(٣).

(١) انظر: العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس: الفصل الأول.

(٢) موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٥٠)، وانظر: الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٧٨)، الحجة الأرثوذكسية: (ص١٢٨-١٣٣)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٢٠-٢٢).

(٣) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٥٠)، كثر النفائس: (ص١٩)، الحجة الأرثوذكسية: (ص١٢٣)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٢٦)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٧٩).

جاء في كتز النفائس: "إنه من رابع المستحيلات أن يتبرهن من الكتاب المقدس أن بطرس الرسول ذهب إلى رومية وأسس كنيسة لها وصار أسقفاً لها كما يزعم أخوتنا الغربيون. . . . ؛ لكن البابوات لأسباب عالمية ومصالح سياسية تمكنوا بخرافات كثيرة من أن يذيعوا هذه الأكذوبة في الغرب وأن يصدقوها هم أنفسهم أيضاً، وأن يعتبروا أنفسهم إلى أيامنا هذه خلفاء لبطرس"^(١).

ثالثاً: ادعائهم العصمة في التعليم.

هذه العقيدة كما يراها المخالفون باطلة ومردودة من وجوه:

أ- إن البابوات أنفسهم لم يعرفوا بأمر عصمتهم إلا بعد (١٨٠٠) عام، حيث أعلن الأمر كقانون للإيمان، ومما جاء فيه:

وأقر أيضاً وأقبل -بدون شك- كل الأشياء التي سلمتها وحددتها ونادت بها بواسطة القوانين والجامع المسكونية. . . . وما سلمته ونادت به في الجمع المسكوني الفاتيكاني وخاصة ما كان في شأن رئاسة الحبر الروماني وسلطانه المعصوم، حيث أضيفت العبارة الأخيرة بأمر رسمي في يناير (١٨٧٧م)^(٢).

ب- إنه يلزم من مبدأ العصمة البابوية أن كل المنشورات البابوية التي تسيء إلى الإيمان الأول هي معصومة وغير قابلة للتغيير، وأنها أجزاء من العقائد الدينية التي تقبلها الكنيسة الكاثوليكية، وهذا يتناقض تماماً مع ما سجله التاريخ، حيث كان حب الرئاسة والاستبداد سائداً في البلاط البابوي، وكان يعتلي عرش البابوية أناس ذو سياسات خرقاء، مسببين بذلك الكثير من العثرات والاضطرابات في الكنيسة، ومن تلك القرارات والمنشورات:

(١) كتز النفائس: (ص ١٦-١٧).

(٢) انظر: اللاهوت النظامي: (ص ١٠٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٥١)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس: الفصل الثاني.

(أ) إن البابا عنده السلطة العليا ليس فقط على العالم المسيحي وإنما على العالم أجمع، كما قرر ذلك بولس الرابع.

(ب) البابا وحده عنده سلطة محو كل الخطايا، كما قرر ذلك البابا

.INNOCENT3

(ج) البابا بحق إلهي يستطيع أن يعطي الأمراء السلطة لاستعباد الأمم، على أن لا تكون كاثوليكية، وهذا ما فعله البابا نيكولاس الخامس سنة (١٥٥٤م) حين أعطى الملك الفونسو البرتغالي أن يملك الأراضي الإسلامية على الشاطئ الغربي لأفريقيا، وأن يخضع شعبها للاستعباد.

(د) الأحكام الظالمة التي كانت تصدر في أوروبا من محاكم التفتيش، حيث كانت عقيدة بابوية أن أشخاصاً يجب أن يحرقوا إذا كانت عقيدتهم مخالفة للكنيسة الكاثوليكية.

وبعد تعداد هذه الأخطاء تكون الكنيسة الرومانية بهذه العقيدة الجديدة قد أكملت ارتدادها عن الإيمان المسيحي، إذ تكون قد نسبت صفات إلهية إلى إنسان خاطئ، إذ العصمة لله وحده^(١).

ج- إن هذه العقيدة تناقض ما جاء في الكتاب المقدس الذي يعلم بأنه ليس باراً ولا واحداً

بل الكل زاغوا وفسدوا^(٢)، كما يقول يوحنا الرسول: "إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا، إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم، إن قلنا أننا لم نخطئ نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا"^(٣).

(١) انظر: اللاهوت النظامي: (ص ١٠٤)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٥١)، كتر النفائس: (ص ١٦)، الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول: (ص ٤٥).

(٢) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٥١)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٧٩)، الصخرة الأرتوذكسية: (ص ٣٢).

(٣) (١يو: ٨-١٠).

- د- إن هذه العقيدة باطلة كما ثبت من قرارات المجامع التي حكمت على كثير من باباوات روما بالهرطقة، ومخالفة العقيدة السليمة وهي على سبيل المثال لا الحصر:
- البابا ليباريوس في القرن الرابع كان آريوسياً، والبابا زوسيموس في القرن الخامس كان ينكر وراثته الخطيئة الجدية، وتم الحكم على البابا ويجيلوس والبابا أنوريوس المدعين للعصمة بكونهما خارجين عن المعتقد والشريعة، وساقطين في الهرطقة^(١).
- ه- من الأمور التاريخية التي تنفي الادعاء بالعصمة وجود أكثر من بابا في نفس الوقت يتصارعون على الرئاسة فأيهم كان البابا الصحيح!؟

ومن ثم الانشقاق المهول الذي حدث في كنيسة رومية في الجيل الرابع عشر، والذي أدى إلى انقسامها لقسمين متضارين متحارين، الأمر الذي كان ينادي بكل صراحة إلى بطلان الادعاء بعصمة الباباوات، أو ضرورة الإقرار برئاستهم للخلاص الروحي، قال صاحب خلاصة تاريخ الكنيسة "مؤرخ بابوي": "لكن الانشقاق لم يزل قائماً والشروع تنفاهم مع كل ما يبذل من الاجتهاد في إزالتها؛ لأن إصرار طالبي البابوية وغيره الكاردينالية ذوي الأحزاب المختلفة وتحزب الملوك، كانت توهم تأييد الانشقاق، لكن الله سبحانه قد وعد الكنيسة بالثبات والتأييد، فلم يهملها في هذا الخطر العظيم، بل مهد أمامها موانع الاتحاد التي كانت تصدرها عن أغراض عالمية، وتم الاتحاد في مجمع عقد سنة (١٤١٤ م) بعدما تنازل غريغوريوس الثاني عشر من تلقاء إرادته، وانحط يوحنا الثالث والعشرون الذي كان وعد بالعدول عن الحبرية، وتنازل أيضاً بنديكتوس الثالث عشر، واختار المجمع مرتينوس الخامس وعرفه الجميع وحده بابا قانونياً وحبراً أعظم وحيداً".

هذا ما كتبه المؤرخ البابوي بنصه، ففوق مثل هذا الانقسام المريع والحرب بين الباباوات المتنازعين والأساقفة المتخاصمين وبين الشعوب المكثلة، مضافاً إليها انحراف بعض الباباوات عن منهج الاستقامة يبطل دعواهم بأن البابا له شركة مع الفادي في

(١) انظر: كتر النفائس: (ص ١٩)، الحجّة الأرثوذكسية: (ص ١٣٩)، موسوعة علم اللاهوت: (٤٥١/٤)، تنوير

الأذهان بما في الكنيسة الرومانية من الزيفان: (ص ١٧٧-١٧٨، ١٨٨).

أساسيات الديانة، أو أنه معصوم عن الخطأ في تصرفاته البابوية، والحال أن الباباوات أناس قابلين للهفوات والسقطات كبشر^(١).

و- لو أن البابوات معصومون عن الخطأ فإنهم يتفوقون بالتأكيد في تعاليمهم، ولكن التاريخ يظهر أنهم ناقضوا بعضهم البعض، ومن أمثلة ذلك:

(١) إن البابا غريغوري الأول يعتبر كل شخص يسمي نفسه (أسقفاً للعالم) أنه ضد

المسيح؛ ولكن كل الباباوات في هذا العصر يحملون هذا اللقب!.

(٢) نشر البابا سكستوس الخامس إحدى طبعات الكتاب المقدس للكنيسة

البوهيمية؛ ولكن البابا بيوس الثاني ألغى هذا القرار.

(٣) أباح البابا هديران الثاني الزواج المدني واعتبره شرعياً؛ ولكن البابا بيوس الرابع أدانته.

(٤) أبطل البابا كليمنت الرابع عشر قانون اليسوعيين الذي سمح به البابا بولس

الثالث ولكن البابا بيوس السابع أعاده.

إن الاختلافات والتناقضات التي يظهرها التاريخ بين الباباوات لا تعد ولا تحصى من

كثرتها، ولعل هذا يرينا أنه إذا تناقض اثنان من الباباوات أفلا يكون أحدهما غير معصوم؟! (٢).

يتضح مما سبق، ومما مرَّ خلال الفصول السابقة التناقضات العجيبة التي تعج بها

النصرانية والتي كان من أبرز آثارها:

(١) الخلافات العميقة بين الطوائف، والانقسامات المتفاقمة التي مزقت جسد الكنيسة.

(٢) الحروب الدينية الطاحنة، والتي ذهب ضحيتها ملايين البشر من النصارى.

(٣) التكذيب واللعن والتكفير، يقول ابن القيم رحمته الله: "وقد اشتملت هذه المجامع

العشرة المشهورة على زهاء أربعة عشر ألفاً من الأساقفة والبطاركة والرهبان، كلهم يكفر

بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً، فدينهم إنما قام على اللعنة بشهادة بعضهم على بعض،

(١) انظر: الحجة الأرثوذكسية: (ص ١٤١-١٤٢)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٥١).

(٢) انظر: العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس: الفصل الثاني.

وكل منهم لآعن ملعون. . . . ولو عرض دين النصرانية على قوم لم يعرفوا لهم إلهاً لامتنعوا عن قبوله" (١).

(٤) الحيرة والاضطراب والشك في نفوس الأتباع، هل هذا هو الدين الذي جاء به المسيح ﷺ؟!

والأثر الأخير يحمل في طياته منحاً عظيمة لمن أراد الله أن ينير بصيرته ويقوده للبحث عن الصراط المستقيم، مما يذكره أحد نصارى مصر -ومثله كثير (٢)- عن السبب الذي قاده إلى الإسلام هو تلك الحيرة التي اضطربت لها نفسه: "في عام (١٩٧١م) أصدر البطريرك شنودة قراراً بجرمان الراهب روفائيل (راهب دير مينا) من الصلاة؛ لأنه لم يذكر اسمه في الصلاة، وقد حاول إقناعه الراهب "صموئيل"، بالصلاة فإنه يصلي لله وليس للبطرك؛ ولكنه خاف أن يجرمه البطريرك من الجنة أيضاً!! !

وتساءل الراهب صموئيل هل يجرؤ شيخ الأزهر أن يجرم مسلماً من الصلاة؟ مستحيل، أشد ما كان يحيرني هو معرفتي بتكفير كل طائفة مسيحية للأخرى، فسألت القمص "ميتاس روفائيل" فأكد هذا وأن هذا التكفير نافذ في الأرض والسماء.

- فسألته متعجباً: معنى هذا أننا كفار بتكفير بابا روما لنا؟!

- أجب: للأسف نعم.

- فسألته متعجباً: وباقي الطوائف كفار بسبب تكفير بطرك الإسكندرية لهم؟!

- أجب للأسف: نعم.

- سألته: وما موقفنا يوم القيامة؟

- أجب: الله يرحمنا!

وعندما دخلت الكنيسة وجدت صورة المسيح وتمثاله يعملو هيكلها، فسألت نفسي:

كيف يكون هذا الضعيف المهان الذي استهزئ به وعذب رباً وإلهاً؟!

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم الجوزية، تحقيق أحمد الرفاعي، دار قتيبة، الطبعة الأولى:

(ص٤٦٦).

(٢) انظر: حبي العظيم للمسيح قادي إلى الإسلام، سايمون الفريديو كارابللو، ترجمة أحمد عبد الفتاح الليثي، عادوا إلى

الفطرة (٧٠) قصة حقيقية مؤثرة، اعداد: أبو إسلام أحمد بن علي، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ.

فمن المفروض أن أعبد رب هذا الضعيف الهارب من بطش اليهود، وتعجبت حين علمت أن التوراة قد لعنت الصليب والمصلوب عليه، وأنه نجس وينجس الأرض التي يصلب عليها، كما جاء في سفر التثنية: "وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلقتة على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله، فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك نصيبك"^(١).

وفي عام (١٩٨١م) كنت كثير الجدل مع جاري المسلم، وذات يوم كلمني عن العدل في الإسلام في الميراث والطلاق والقصاص... إلخ.

- ثم سألتني هل عندكم مثل هذا؟!

- قلت: لا.

وبدأت أسأل نفسي، كيف أتى محمد بكل هذه التشريعات المحكمة والكاملة في العبادات والمعاملات بدون اختلافات؟!

وكيف عجزت مليارات اليهود والنصارى عن إثبات أنه مخترع؟

ومن عام (١٩٨٢م) وحتى (١٩٩٠م) وأنا في حالة بحث وسماع الأحاديث النبوية "قليلة الكلام كثيرة المعاني الجميلة الألفاظ والسياق"، فعرفت وقتها أن هذا الرجل نبي عظيم، فدعوت الله أن يهديني ويرشدني، وبعد عشرة أشهر أعلنت إسلامي، وها أنا اليوم أدعو الله أن يحميني على الإسلام ويميتني على الإيمان^(٢)، فالهداية للإسلام والثبات عليه، من أعظم نعم الله على عبده، والواجب على المسلم شكر هذه النعمة والقيام بحقها قولاً وعملاً واعتقاداً ودعوة.

(١) (تث ٢١: ٢٢ - ٢٣)

(٢) انظر: اظهر الحق قساوسة وعلماء ومستشرقون أشهروا إسلامهم لماذا وكيف؟، محمد عبد الحليم عبد الفتاح: (ص ٥٩ - ٦٤).

المبحث الثالث: العصمة في الإسلام

أ- رفض الإسلام رفضاً قاطعاً ما اعتنقته الكنيسة الرومانية من القول بعصمة رجال الدين ولزوم طاعتهم، حيث عدّ ذلك من صرف العبادة لغير الله، قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة التوبة ٣١].

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال: «يا عدي اطرح عنك هذا الوثن، وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكن كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه» (١).

قال الألوسي: "والآية ناعية على كثير من الفرق الضالة الذين تركوا كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام لكلام علمائهم ورؤسائهم، والحق أحق بالتابع، فمتى ظهر وجب اتباعه" (٢).

ب- لا عصمة في الإسلام إلا للأنبياء فيما تحملوه من أمور الرسالة وتبليغها: قال ابن تيمية رحمته الله: "فالأنبياء كلهم صادقون مصدقون معصومون فيما يخبرون به عن الله لا يجوز أن يثبت في خبرهم عن الله خبر باطل لا عمداً ولا خطأً، فلا يجوز أن يخبر أحدهم بخلاف ما أخبر به غيره، ولا يفترون في الدين الجامع كما قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [سورة الشورى ١٣]

(١) سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق أحمد شاکر وآخرون،

الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها: (٥/٢٧٨-٣٠٩) قال الألباني: حديث حسن.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الحسيني الألوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: (٥/٢٧٦).

وإنما يقع النسخ في بعض الشرائع، كما يقع النسخ في شريعة الرسول الواحد^(١)، وعلى هذا أجمعت الأمة^(٢).

ج- أما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فالذي عليه جمهور أهل العلم: "عصمة الأنبياء من الكبائر دون الصغائر، وأنهم معصومون من الإقرار على الذنوب مطلقاً، وأنهم وإن وقع منهم زلات من جنس ذلك فإنهم يتداركونها بالتوبة والإنابة، ثم يرتقون إلى منزلة أعلى من المتزلة التي كانوا عليها قبل الذنب"^(٣)، يقول ابن تيمية رحمه الله موضحاً مسألة عصمة الأنبياء: "فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الأمدي: أن هذا هو قول أكثر الأشعرية، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول"^(٤).

وقال أيضاً عن أهل السنة: "هم متفقون على أنهم لا يقرون على خطأ في الدين أصلاً، ولا على فسوق ولا كذب ففي الجملة: كل ما يقدر في نبوتهم وتبليغهم عن الله فهم متفقون على تزيههم عنه، وعامة الجمهور الذين يجوزون عليهم الصغائر يقولون أنهم معصومون من الإقرار عليها، فلا يصدر عنهم ما يضرهم، كما جاء في الأثر: «كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة» والله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴿سورة البقرة ٢٢٢﴾^(٥).

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٤٨٥/١).

(٢) نقل الإجماع على العصمة في هذا غير واحد، انظر: لوامع الأنوار البهية: (٣٠٥/٢).

(٣) النبوات: أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة الحرانی، تحقیق عبد العزیز الطویان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى: (٨٧٤/٢).

(٤) مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة، تحقیق أنور الباز، عامر الجزائر، دار الوفاء، الطبعة الثالثة: (٣١٩/٤).

(٥) منهاج السنة النبوية: أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة، تحقیق، محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى: (٤٧٢/١).

د- أما العصمة عن غير الأنبياء فباب مسدود لم يبق عليه دليل ولا برهان، بل الدليل والحجة على خلافه، حتى أفضل هذه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ الصحابة رضي الله عنهم وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ليسوا بمعصومين، وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد توليه الخلافة: "أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أخطأت فقوموني". وعندما اعترضت امرأة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "أصابت امرأة وأخطأ عمر" (١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال الغلام تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: "وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة، إلا أني خدعته فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه" (٢).

وفي هذا الحديث بيان عدم عصمة غير الأنبياء، وأن المحفوظ قد يقع في الحرام ولكن عناية الله بأوليائه ألا يترك الحرام يقيم في باطنهم (٣).

هـ- الداعون إلى معصوم بجميع طوائفهم لا يدعون إلى سلطان معصوم، بل إلى سلطان كفور أو ظلوم، وهذا أمر مشهور يعرفه كل من له خبرة بأحوالهم، وقد قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة النساء ٥٩].

فأمر الله المؤمنين عند التنازع بالرد إلى الله والرسول، ولو كان للناس معصوم غير الرسول لأمرهم بالرد إليه، فدل القرآن الكريم على أنه لا معصوم إلا الرسل (٤) عليهم الصلاة والسلام.

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية: (١/٢٩٩)، الرسل والرسالات: عمر سليمان الأشقر، دائر النفائس، الطبعة الرابعة: (ص ١١٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية: (٩/٤٢٢/ح ٣٨٤٢).

(٣) لوائح الأنوار القدسية في العهود المحمدية: عبد الوهاب الشعراي، مطبعة الميمنة، مصر: (ص ١٣٧).

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية: (٣/٣٨١).

الفصل السابع

التناقض حول الخلاص

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الخلاص.

المبحث الثاني: شرط الخلاص عند البروتستانت.

المبحث الثالث: شرط الخلاص عند الأرثوذكس والكاثوليك.

المبحث الرابع: غفران الخطايا في الإسلام.

الفصل السابع

التناقض حول الخلاص

تمهيد:

تعد عقيدة الخلاص من الركائز الأساسية التي استقرت في دين النصارى، بل هي قطب الرحى الذي تدور حوله جميع عقائدهم، حيث يعتقد النصارى بجميع طوائفهم أن يسوع المسيح هو المخلص الوحيد الذي قدم نفسه على الصليب ليفتدي الجنس البشري من لعنة الخطيئة^(١).

جاء في قانون إيمانهم: "نؤمن برب واحد يسوع المسيح، الذي من أجلنا نحن البشر وفي سبيل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس وُصِّل على عهد بيلاطس"^(٢).

وعن أهمية هذه العقيدة ومحوريتها في دينهم يقول عوض سمعان: "من المعلوم أن الديانة المسيحية بجملتها تقوم أو تسقط بقيام فكرة الخلاص والخطيئة أو سقوطها"^(٣)، ومع اتفاقهم على أهمية هذه العقيدة إلا أنه لهم خلافات كثيرة في موضوع الخلاص، من أهمها الخلاف في مسألة الإيمان والأعمال^(٤).

(١) انظر: كتر النفائس: (ص١٦٨)، الفروق العقيدية: (ص١٤ - ١٧)، موسوعة علم اللاهوت: (١/١٠٠-١٠٢)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٧٩)، أصول التعليم المسيحي "الكتناخيسمس الصغير": (ص٨٤)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٣٠)، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص٥٢٩)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٢٨٧).

(٢) قانون الإيمان: (ص١١-٦١)، الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/٤٤)، أصول التعليم المسيحي: "الكتناخيسمس الصغير": (ص١٦).

(٣) فلسفة الغفران: عوض سمعان: (ص١٩٢)، نقلاً عن تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص٥٢٩).

(٤) كتر النفائس: (ص٥١، ١٧٢)، وانظر: اللاهوت المقارن: البابا شنودة (١/١٣)، الصخرة الأرثوذكسية:

(ص٧٩)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٢٥٠)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص١٦٦).

المبحث الأول: تعريف الخلاص.

يعتقد النصارى بجميع طوائفهم أن يسوع المسيح هو المخلص الوحيد للبشرية (١).

المطلب الأول: الخلاص لغة.

الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه (٢)، خَلَصَ الشيء -بافتح- يَخْلُصُ خُلُوصاً، أي: صار خالصاً.

وخلص إليه الشيء: أي وصل، ويقال: خلص فلان إلى فلان، أي وصل إليه.

وخلَص: إذا سلم ونجا، ومنه حديث هرقل "أني أخلص إليه" (٣).

والتخليص: التنجية من كل منشب، تقول: خلصته من كذا تخليصاً، أي نجيته تنجيةً، فتخلص.

وتخلصه تخليصاً كما يتخلص الغزل إذا التبس، ويخلص الرجل خلوصاً وخلاصاً إذا كان قد نشب ثم نجا وسلم.

وأخلص لله دينه: أمحضه، وأخلص الشيء: اختاره.

والمخلص: الذي أخلصه الله، أي جعله مختاراً خالصاً من الدنس، والمخلص: الذي وحد الله تعالى خالصاً.

(١) انظر: كتر النفائس: (ص ١٦٨)، الفروق العقيدية: (ص ١٤ - ١٧)، موسوعة علم اللاهوت: (١/١٠٠ - ١٠٢)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٧٩)، أصول التعليم المسيحي "الكتناخي سمس الصغير": (ص ٨٤)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٣٠)، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص ٥٢٩)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٢٨٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة: (٢/٢٠٨).

(٣) قال هرقل لأبي سفيان: ". . . فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارجٌ، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه". أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله: (١/٨٧).

وهذا الشيء خالصةً لك: أي خاصة^(١).
وعلى هذا فلفظ "خلص" يحمل معنى التخليص، والخلص: بمعنى السلامة والنجاة.
وقد وردت هذه الكلمة في مصادر النصارى بمعاني تخدم فكرهم عن الخلاص^(٢).
فيراد بالخلص في العهد القديم: النجاة من الشر أو الخطر، فقال موسى للشعب: "لا تخافوا، قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم، فإنه كما رأيتم المصريين اليوم، لا تعودون ترونهم أيضاً إلى الأبد"^(٣)، "فخلصهم من أجل اسمه، ليعرف بجزوته، وانتهر بحر سوف فييس وسيهرهم في اللجج كالبرية، وخلصهم من يد المبغض وفداهم من يد العدو"^(٤).
أما في العهد الجديد فقد خلع عليها معنى آخر: هو إنقاذ الخطاة بالإيمان بيسوع المسيح.
وهذا هو المراد عينه بعبارات "يوم الخلاص"؛ لأنه يقول: "في وقت مقبول سمعتك، وفي يوم خلاص أعنتك"^(٥)، وعبارات أخر غيرها.
وينطوي تحت معنى الخلاص في العهد الجديد غفران الخطية، والخلص من ربقتها ونتائجها وتطهير النفس وأفراح العالم الأزلي، ومما جاء في ذلك:
"فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع؛ لأنه يخلص شعبه من خطاياهم"^(٦).
"وإذا كمل صار لجميع الذي يطيعونه سبب خلاص أبدي"^{(٧)(٨)}.

(١) انظر: لسان العرب: (٧/ ٢٦)، مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ: (ص١٩٦).

(٢) انظر: الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، د. أحمد علي عجيبية، دار الأفاق العربية، الطبعة الأولى: (ص٤٦).

(٣) (خر ١٤: ١٣).

(٤) (مز ١٠٦: ٨ - ١٠).

(٥) (٢ كو ٦: ٢).

(٦) (مت ١: ٢١).

(٧) (عب ٥: ٩).

(٨) قاموس الكتاب المقدس: (ص٦٩١).

"والواقع أن كلمة الخلاص في اللغتين العبرية واليونانية تعني: النجاة، والأمان والحفظ والشفاء والصحة، فالإنسان الخاطيء في حاجة إلى النجاة من سلطان الشيطان، والأمان من دينونة الله العادلة والحفظ في يد المسيح القوية، والشفاء من لعنة الخطية، والصحة الروحية التي تكفل له القوة والانتصار، وهو يجد في خلاص الله كل هذه البركات، وقد تجمعت في كلمة "الخلاص" الفريدة كل تدبيرات الله، فهي تحوي التبرير والتبني والفداء والكفارة والغفران والتقديس والتمجيد، وفي عبارة واحدة نقول: أنها تحوي كل خطة الله بالنسبة للإنسان"^(١).

يقول الأنبا غريغوريوس: "كلمة الخلاص في اللغة معناها الإفلات أو النجاة من خطر أو شر ما، ويأتي في الكتاب المقدس بثلاثة معانٍ"^(٢):

المعنى الأول: الخلاص من عدو ظاهر أو من شدة أو من مرض أو من شر مادي. وبهذا المعنى نجد نصوصاً كثيرة في الكتب المقدسة، فموسى النبي كان يكلم شعبه حينما خرجوا وخرج من ورائهم فرعون وجنوده وأدركوهم عند البحر الأحمر، وحينئذ خاف الشعب جداً وارتجفوا ولكن موسى أخذ يعزيهم ويقول: "قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يجريه لكم اليوم"^(٣)، وإلى هذا المعنى يشير إشعيا النبي بقوله: "فصار لهم مخلصاً في كل ضيقهم تضاييق وملاك حضرته خلصهم بمحبته ورأفته، هو فكهم"^(٤).

وبهذا المعنى المادي الواضح جاء كلام المسيح حينما تكلم عن الأبرص الذي شفي من برصه، قال له: "قم وامض، إيمانك خلصك"^(٥).

(١) يقين الخلاص، القس: لبيب ميخائيل -راعي الكنيسة المعمدانية الكتابية الأولى بشيرا- مصر، لجنة مطبوعات

الكنيسة المعمدانية الكتابية الأولى، الطبعة الأولى: (ص ٨).

(٢) انظر: اللاهوت العقيدية، الأنبا غريغوريوس، منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس: (٢/٢٥٢-٢٦٦).

(٣) (خر ١٤: ١٣)

(٤) (إش ٦٣: ٨ - ٩)

(٥) (لو ١٧: ١٩)

المعنى الثاني: الخلاص من الهلاك الأبدي أو ما يؤدي إلى هذا الهلاك، وينطوي تحت هذا المفهوم الخلاص من الخطيئة، الخلاص من عبودية الشيطان، والخلاص من الجحيم. وبهذا المعنى جاءت نصوص كثيرة في الكتب المقدسة منها: "في وقت مقبول سمعتك، وفي يوم الخلاص أعتك، هو ذا الآن وقت مقبول، هو ذا الآن يوم خلاص"^(١)، وبهذا المعنى يقول مار يعقوب الرسول: "من رد خاطئاً عن ضلال طريقه قد خلص نفساً من الموت"^(٢) فالخلاص من الموت هنا خلاص من الموت الروحي، لأنه خلاص من الضلال. وعن هذا الخلاص تكلم سمعان الشيخ عندما حمل الطفل يسوع على يديه وبارك الله قائلاً: "الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك، الذي أعدته قدام وجه جميع الشعوب"^(٣).

وهذا المعنى كان يشير إليه المسيح باستمرار عندما كان يقول: "لأن ابن البشر إنما أتى ليطلب ويخلص ما قد هلك"^(٤).

وحينما ظهر الملك في حلم يوسف خطيب العذراء قال له: "وستلد ابناً فتسميه يسوع لأنه هو الذي يخلص شعبه من خطاياهم"^(٥)، فحدد هنا معنى الخلاص بأنه خلاص من الخطيئة، ويدخل في هذا النطاق أيضاً كلام المسيح إلى المرأة الخاطئة لما قال لها: "إيمانك خلصك فاذهبي بسلام"^(٦).

(١) (٢ كو ٦: ٢)

(٢) (يع ٥: ٢٠)

(٣) (لو ٢: ٢٩-٣١).

(٤) (لو ١٩: ١٠)، (مت ١٨: ١١).

(٥) (مت ١: ٢١).

(٦) (لو ٧: ٥٠).

المعنى الثالث: الخلاص النهائي، ويكون بالثبات في الإيمان والمثابرة على العمل الصالح: فقد يؤمن الإنسان بالمسيح، ويعتمد باسم المسيح، لكن يمكن بعد دقيقة واحدة أن يقع في الخطأ من جديد، ما لم يثابر، وما لم يحرص بمجاهدات روحية على الخلاص الذي تمتع به بإيمانه بالمسيح وبالمعمودية المقدسة.

وهذا هو فضل الجهاد وفضل الكفاح وفضل الحرب، وفضل النضال ضد الخطيئة وضد الجسد، وضد كل عوامل الشر المتلفة للإنسان، لذلك يجب على الإنسان أن يكافح ويناضل في سبيل أن يتمتع بالخلاص ويحتفظ به، ومن هنا أهمية فضل الثبات والمثابرة إذ من الممكن أن يحرم الإنسان نفسه من الخلاص، ومن أجل هذا يقول المسيح: "ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص" (١).

المطلب الثاني: الخلاص اصطلاحاً.

ينصبُّ المعنى الاصطلاحي للخلاص على: " الخلاص من الخطيئة" (٢)، يقول جون ستوت: "والخلاص كما لا بد أن نعلم معناه التحرر من الخطيئة، والتحرر بالتالي من آثارها" (٣).

"ويراد به نجاة كلية من كل خطيئة وقوتها ونتائجها، ونوال كمال السعادة والراحة الأبديتين" (٤).

والخطيئة عند النصارى: "هي التعدي على شريعة الله وأحكامه" (٥).

وتنقسم إلى قسمين:

(١) الخطيئة الجدية "الأصلية".

(٢) الخطيئة الفعلية.

(١) (مت ١٠: ٢٢)، (مر ١٣: ١٣).

(٢) المدخل إلى العهد الجديد، القس: فهميم عزيز، دار الجيل للطباعة: (ص ١٨٣).

(٣) المسيحية في جوهرها: (ص ١٣١).

(٤) شرح أصول الإيمان: (ص ٤٥١).

(٥) قاموس الكتاب المقدس: (ص ٦٩٠).

ويقصد بالخطية الجدية عند الأرثوذكس والبروتستانت: "هي الجريمة المتصلة بذرية آدم من جراء خطيئة الجدين الأولين^(١)، ولا يستثنى من هذه الذرية إلا واحد فقط"^(٢)، هو ربهم يسوع المسيح.

أما الكاثوليك فيعتقدون: "أن الخطيئة الجدية هي الجريمة المتصلة بذرية آدم من جراء خطيئة الجدين الأولين، وأن اثنين فقط يستثنيان منها"^(٣)، هما يسوع المسيح وأمه العذراء الدائمة البتولية.

ومع اتفاق النصارى على أن آدم عَلَيْهِ السَّلَام قد أضر بالذنب نفسه ونسله، إلا أنهم يختلفون فيما فقده الإنسان جراء الخطيئة الأولى؟!!

حيث يعتقد الأرثوذكس والكاثوليك: "أن الإنسان من جراء الخطية الأولى قد فقد البر الأصلي فقط، أي الخلود والحكمة الأولى والقداسة الأولى، على أنها قد بقيت فيها بعد الخطية أيضاً الصورة الإلهية، أي العقل والحرية، ولكن في درجة ضعيفة؛ لأن العقل أظلم والإرادة ابتدأت تنجح للشر"^(٤).

(١) وهي الخطيئة التي أشار الله تَعَالَى إليها في القرآن الكريم عن آدم عَلَيْهِ السَّلَام وزوجه، كما ذكر البارئ تبارك وتعالى توبتهما وقبوله لهذه التوبة. قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٥-٣٧]، وقوله أيضاً: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَسِيٍّ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْنَبَهُ رَبُّهُ. فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١١٥-١٢٢].

(٢) كتر النفائس: (ص ١٦٧)، وانظر: شرح أصول الإيمان: (١٦٩-١٧٠).

(٣) كتر النفائس (ص ١٦٧).

(٤) المصدر السابق: (ص ١٦٦-١٦٧).

أما البروتستانت فيعتقدون: "أن الإنسان من جراء الخطية الأولى قد فقد بالتمام الصورة الإلهية، أعني العقل وحرية الإرادة والحكمة والقداسة والخلود، وصار عاجزاً على الإطلاق عن صنع الخير والصلاح، وأنه لا يستطيع أن يشاء إلا الشر"^(١).

أما الخطية الفعلية: فهي التعدي على شريعة الله، أو عدم طاعتها وذلك بترك ما تفرضه الشريعة أو ارتكاب ما نهت عنه^(٢).

والخلاص من الخطيئة عند النصارى يشمل الأزمنة الثلاثة: الماضي، الحاضر، والمستقبل، وله ثلاث صيغ:

الماضي: "تخلصنا" وهذا هو التجديد.

الحاضر: "نحن نخلص" وهذا هو التقديس.

المستقبل: "سنخلص" وهذا هو التمجيد.

ونتيجة لهذا الخلاص - بحسب معتقدهم - ينال الإنسان الحياة الأبدية ويدخل إلى ملكوت الله^(٣).

أولاً: التجديد.

يُعرف في الكتاب المقدس بأنه: "الولادة الجديدة"، "الحق الحق أقول لك، إن كان أحد لا يولد من فوق، لا يقدر أن يرى ملكوت الله"^(٤).

و"الخليقة الجديدة"، "إذا إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة"^(٥).

و"الحياة من الموت"، "لا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطيئة، بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات، وأعضاءكم آلات برّ لله"^(٦).

(١) المصدر السابق: (ص ١٦٧).

(٢) انظر: اللاهوت النظامي: (ص ٣١٧)، قاموس الكتاب المقدس (ص ٦٩٠)، معجم المصطلحات الطقسية والكنسية: نسخة الكترونية.

(٣) انظر: الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه: (ص ٥٠ - ٥١)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص ١٩٣).

(٤) (يو ٣: ٣).

(٥) (٢ كو ٥: ١٧).

(٦) (رو ٦: ١٣).

و"استخدم اللاهوتيون غالباً كلمة التجديد أو الولادة الثانية بهذا المعنى: وهو التغير الذي يجريه الله في النفس ونقلها من الموت الروحي إلى الحياة الروحية، فتغير ميولها الطبيعية من الشر إلى القداسة"^(١) وهو "غفران الخطيئة التي ولد بها الإنسان والخطايا التي فعلها في ماضي حياته"^(٢).
و"جميع الكنائس المسيحية تعتقد باتفاق الآراء أن إعادة الولادة أو كما يقال "التجديد" هو الشرط الذي به يتصلح الإنسان مع الله، ويحصل الغبطة الأبدية التي لأجلها قد علم وعمل وتألم يسوع المسيح"^(٣).

وقد كان يسوع بزعمهم: أول من أعلن أن الميلاد الثاني الروحي ضرورة لا بد منها لدخول ملكوت الله، وقد قال لنيقوديموس: "الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق، لا يقدر أن يرى ملكوت الله"^(٤)، وعبارة (إن كان أحد لا) في تعليم يسوع تشير إلى شرط ضروري وعام لرؤية ملكوت الله ودخوله، وعلى ذلك فالميلاد الثاني يُعد جزءاً ضرورياً في المسيحية، بدونه لا يمكن الدخول إلى ملكوت الله"^(٥).

وجميع طوائف النصرانية تعتقد باتفاق الآراء أن التجديد يجري أولاً: بكلمة الله، وثانياً:
بالأسرار التي هي علامات منظورة بما يعطى المؤمنون نعمة الروح القدس غير المنظورة"^(٦).
إلا أن لهم خلاف حول هذه الأسرار، كما سيأتي بيانه بمزيد من التفصيل في الفصل التاسع^(٧).

أما عن كيفية الحصول على التجديد، فإن الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية:
"تعتقد أن الإنسان يحصل على التجديد بإفهام وعضد نعمة الروح القدس، لأنه متى دُعي فرجع إلى الله تفعل فيه نعمة الروح القدس الفعل الذي يسميه الكتاب المقدس: التجديد،

(١) اللاهوت النظامي: (ص ٤٦١).

(٢) الخلاص في الكتاب المقدس، نادية منيس: (ص ٩)، نقلاً عن الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه: (ص ٥١).

(٣) كتر النفائس: (ص ١٦٩).

(٤) (يو ٣: ٣).

(٥) حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص ١٩٣).

(٦) كتر النفائس: (ص ١٧٤).

(٧) انظر الصفحة: (٢٩٦).

وإعادة الولادة والإقامة من الأموات، وحينئذٍ يصير جديداً ويولد ثانية، ويقوم فيتميز عن الإنسان العتيق المائت، أي: الإنسان الطبيعي الذي هو خارج النعمة، وفعل النعمة هذا يشهد به الكتاب المقدس شهادة صريحة واضحة^(١)، ولكنه يبقى في الإنسان المتجدد نفسه آثار من الحياة العتيقة أو الإنسان العتيق^(٢).

أما الكنيسة البروتستانتية: "فتعتقد أنه بحسب كون الإنسان ليس له قوة لعمل الصلاح بل هو ميت أديباً، فالتجديد لا يمكن أن يبدأ ويتم فيه إلا بفعل الروح القدس فقط"^(٣).

أما: لِمَنْ تُقدم مؤازرة الروح القدس الضرورية للتجديد؟

فإنَّ الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية: "تعتقد أنَّ مؤازرة الروح القدس الضرورية للتجديد تقدم لجميع الناس بلا استثناء، ويمكن أن تُرفض منهم"^(٤).

أما الكنيسة البروتستانتية فتعتقد أنَّها: "لا تقدم لجميع البشر، بل الذين سبق تعيينهم للخلاص بحسب مطلق مشيئة الله الأزلية، وأنَّ هذه النعمة لا يمكن أن تدفع أو ترفض منهم، وعليه فبِحسب أنَّ الله قد سبق فعينهم للخلاص، فإنَّ أرادوا أو أبوا فسيخلصون"^(٥).

ثانياً: التقديس.

للتقديس معنيان:

(١) التطهير طقسياً أو أخلاقياً.

(٢) تخصيص أشخاص أو أدوات أو غيرها من الجماد لهدف ديني.

والمقصود بالتقديس الأخلاقي عند النصارى: "عمل نعمة الله المجانية الذي به نتجدد في جميع

قوانا حسب صورة الله، ونزداد قدرةً حتى أننا شيئاً فشيئاً نموت عن الخطية ونحيا على البر"^(٦).

(١) راجع: (يو ٣: ٧)، (٢ كو ٥: ١٧)، (أف ٥: ١٤)، (رو ٦: ٤).

(٢) كتر النفائس: (ص ١٧٠).

(٣) المصدر السابق: (ص ١٧٠).

(٤) المصدر السابق: (ص ١٧٠).

(٥) المصدر السابق: (ص ١٧١).

(٦) اللاهوت النظامي: (ص ٤٨٣).

و"بالتقديس تتطهر النفس من دنس الخطيئة ومن سلطتها، وتترين بالنعم الروحية التي تعدها للأفراح السماوية"^(١)، "اتبعوا السلام مع الجميع، والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب"^(٢).

وللتقديس عند النصارى فوائد منها:

(١) إنَّ النفس بعد التجديد تميل إلى الخطيئة ميلاً لا يزول إلا شيئاً فشيئاً بواسطة تكميل التقديس.

(٢) نتيجةً لوجود الميل إلى القداسة والميل إلى الشر في قلب المؤمن، تقوم حرب روحية مدة عمر المؤمن، فهو إنسان جديد وإنسان عتيق في نفس الوقت، لكنه بواسطة التقديس يخلع الإنسان العتيق ويلبس شيئاً فشيئاً الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر والقداسة والحق^(٣)، "أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق"^(٤).

وعن الفرق بين الولادة الثانية "التجديد" وبين التقديس جاء في شرح أصول الإيمان مانصه: "إن الولادة الثانية هي إنشاء الحياة الجديدة الروحية في النفس، وأما التقديس فهو حفظ هذه الحياة، وإخضاع ما يقاومها ويضعفها بل هو تقوية هذه الحياة الجديدة حتى تنمو إلى قياس قامه ملء المسيح"^(٥).

و"علاقة التقديس بالتجديد كعلاقة النمو بالولادة"^(٦).

(١) قاموس الكتاب المقدس: (ص ١٤).

(٢) (عب ١٢ - ١٤).

(٣) انظر: اللاهوت النظامي: (ص ٤٨٦).

(٤) (أف ٤: ٢٢ - ٢٤).

(٥) شرح أصول الإيمان: (ص ٢٤٤).

(٦) اللاهوت النظامي: (ص ٤٨٦).

وللتقدم في التقديس عند النصارى شروط هي:

١. الأمانة في استخدام وسائل النعمة من مطالعة الكتاب المقدس، والصلاة، ومعايشة المؤمنين الأتقياء.

٢. الرغبة في إتمام الواجبات الدينية على أنواعها.

٣. بذل الجهد في خدمة المسيح.

فالقلب الراغب في القداسة يُسرع في التسليم لإرادة الله وطاعة أوامره، ويفرح بنوال طهارة النفس، ويشمل التقديس النفس والجسد معاً، والتقدم في التقديس هو التقدم نحو الكمال في كل الفضائل الروحية وفي كل عمل حسن^(١).

ثالثاً: التمجيد.

"هو الحصول على الحياة الأبدية عن طريق الحصول على جسد ممجّد وارث السماء مع المسيح"^(٢)، وعقيدة التمجيد عند النصارى تشير إلى الوقت الذي سيتحقق للمؤمنين الحقيقيين الأحياء منهم والأموات عند الجيء الثاني للمسيح الفداء الكامل والنهائي لأجسادهم، ويصلون إلى حالتهم النهائية، وسوف يكتمل خلاص المختارين وسوف يكتمل خلاص المختارين، وكما كتب بولس لأهل كورنثوس: "لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم الموت"^(٣) وأخيراً فإن الموت الذي هو آخر عدو سوف يتلغ إلى غلبة، وسوف تصل عملية التقديس إلى غايتها.

فالتمجيد إذاً هو: رجاء المستقبل العظيم بالنسبة للمؤمن، وسوف يصحح الله كل الأمور ويجعلها على هذا النحو إلى أبد الأبد، غير أن التمجيد هو راحة حاضرة أيضاً ففي

(١) اللاهوت النظامي: (ص ٤٨٦).

(٢) الخلاص في الكتاب المقدس: (ص ٩)، نقلاً عن الخلاص ونظرة الإسلام إليه: (ص ٥٢).

(٣) (١ كو ١٥: ٥٣)

هذا العالم الساقط حيث نختبر الخطيئة فينا ومن حولنا هناك تعزية في معرفتنا أن الله يعمل حتى الآن ليظهر قديسيه استعداداً لمجدهم المستقبلي، فالمؤمن من ناحية ما تمجد بالفعل وختم للأبدية وأصبح ابناً لله إلى الأبد"^(١). تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.



(١) حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص ٢٣٧-٢٣٨).

المبحث الثاني: شرط الخلاص عند البروتستانت.

تعتقد الكنيسة البروتستانتية أن الخلاص: "يتم بمجرد الإيمان بيسوع المسيح، وأما الأعمال الصالحة مع أنها لائقة بالمسيحي كبرهان، ونتيجة للإيمان الحي؛ إلا أنها غير ضرورية للخلاص" (١). ويعتمدون على النص التالي: "آمنَ بالرب يسوع فتخلص" (٢).

جاء في شرح أصول الإيمان:

"س: لماذا قيل في القاعدة: برُّ المسيح الذي نقبله بواسطة الإيمان فقط؟
ج: قيل ذلك حذراً من تعليم من يقول: "إن الأعمال تبررنا أو تشارك الإيمان في تبريرنا" (٣).

المطلب الأول: الإيمان الخلاصي عند البروتستانت.

أولاً: صفات الإيمان الذي يحصل به الخلاص عند البروتستانت (٤).

أ- القبول العقلي للإعلانات الإلهية حيث يسلم العقل بصدق الأسفار المقدسة، وبحقيقة الخلاص المعد لهم بالمسيح، وبصحة ما يقوله الكتاب المقدس عن حالة الإنسان الطبيعية الساقطة واحتياجه إلى المسيح، وهذا وحده لا يفيد صاحبه للخلاص، بل تحصل به الهداية في طريق الإيمان الخلاصي.

ب- الاتكال الاختياري على المسيح باعتباره الرب والمخلص، وهذا يتضمن اعترافهم بالذنب وعدم استحقاقهم وبسلطة المسيح عليهم، وقبول المسيح مخلصاً لهم والتمسك به طريقاً للمغفرة والتكفير والحياة الروحية، ويستدلون بما يلي:

-
- (١) كتر النفائس: (ص ٥١، ١٧٢)، وانظر: اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (١٣/١)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص ٢٥٠)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل العاشر، الفروق العقيدية: (ص ١٧)، اللاهوت النظامي: (ص ٤٧٩).
- (٢) (أع ١٦: ٣١).
- (٣) شرح أصول الإيمان: (ص ٢٣٦).
- (٤) اللاهوت النظامي: (ص ٤٦٩).

• "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه" (١).

• "ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (٢).

• "ثم كلمهم يسوع قائلاً: أنا هو نور العالم، من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة" (٣).

• "آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك" (٤).

والإيمان الخلاصي عندهم لا ينفصل أبداً عن التجديد، ويشغل العقل والحواس الباطنة والإرادة، ولا يتم إلا بالتمسك الاختياري بالمسيح وبروح الاتكال عليه لأجل الخلاص.

ثانياً: موضوع الإيمان الخلاصي.

للإيمان الخلاصي موضوعان: عام وخاص.

فأما العام: فهو المعلنات الإلهية جميعها.

وأما الخاص: فهو المسيح وعمله باعتباره فادٍ، حيث يعتمد الإيمان الخلاصي على

الوعد الإلهي بالخلاص بواسطة المسيح والاتكال على الفادي، والأدلة على أن هذا هو

موضوع الإيمان الخلاصي الخاص (٥) كثيرة منها:

أ- شهادة المسيح الذي طلب من الناس أن يؤمنوا به، وكل من يؤمن به تكون له الحياة

الأبدية، "لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (٦)، وإن "الذي

(١) (يو ١: ١٢)

(٢) (يو ٤: ١٤).

(٣) (يو ٨: ١٢).

(٤) (أع ١٦: ٣١).

(٥) انظر: اللاهوت النظامي: (ص ٤٦٩-٤٧٠).

(٦) (يو ٣: ١٥).

يؤمن به لا يدان، والذي لا يؤمن قد دين؛ لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد^(١). تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والنصوص على أن شرط الخلاص-بزعمهم- هو الإيمان بالمسيح كثيرة جداً.

ب- ما يطلب من أجل الخلاص هو لزوم قبول المسيح، وقبول الشهادة التي شهد بها الله عنه، والإيمان بأن المسيح ابن الله الحي - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -، فالمسيح عند البروتستانت هو موضوع الإيمان الذي يؤكد الخلاص بالنظر إلى المسيح والإتيان إليه وتسليم النفس له "كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله"^(٢).

ج- تعليم الرسل أن التبرير^(٣) يكون بالإيمان بالمسيح، وليس المقصود هنا الإيمان العقلي ولا مجرد الثقة العامة بالله، ولا التصديق بالقول الإلهي، ولا اليقين بالحقائق الأبدية، بل الإيمان الذي موضوعه المسيح "ير الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون"^(٤).

المطلب الثاني: البراهين التي يستند إليها البروتستانت.

يعتقد البروتستانت أن التبرير يكون بالإيمان وليس بالأعمال^(٥)، ويستدلون بما يأتي:

أولاً: تصريح الكتاب المقدس.

هذا ما يقوله الكتاب المقدس، ولا يوجد فيه ما يخالفه، فالكتاب يميز بين الإيمان والأعمال بياناً لفائدة الإيمان في التبرير، وعدم فائدة الأعمال فيه: "إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح، آمننا نحن أيضاً بيسوع المسيح، لتتبرر بإيمان يسوع، لا بأعمال

(١) (يو ٣: ١٨).

(٢) (١ يو ٥: ١).

(٣) التبرير عند البروتستانت: "هو فعل النعمة المجانية الذي به يغفر خطايانا جميعها، ويقبلنا كأبرار أمامه، وذلك لأجل مجرد بر المسيح الذي يحسب لنا الذي نقبله بواسطة الإيمان فقط"، شرح أصول الإيمان: (ص ٢٢٧-٢٢٨).

(٤) (رو ٣: ٢٢).

(٥) انظر: شرح أصول الإيمان: (ص ٢٣٢)، اللاهوت النظامي: (ص ٤٧٨).

الناموس، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما"^(١)، فالمقابلة هنا ليست بين أنواع الأعمال بل بين جميع الأعمال من الوجه الواحد والإيمان من الوجه الآخر.

"وليس لي بري الذي من الناموس، بل الذي بإيمان المسيح، البرّ الذي من الله بالإيمان"^(٢)، فقد رفض الرسول كل ثقة ببره الذي من الناموس، ورجب أن يكون له البرّ الذي من الله بالإيمان.

ثانياً: لو كان التبرير بالأعمال لما كان بالنعمة المجانية.

النعمة والأعمال متضادان دائماً في أمر الخلاص، بدليل قوله: "فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال، وإلا فليست النعمة بعد نعمة، وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة، وإلا فالعمل لا يكون بعد عملاً"^(٣).

"لأنكم بالنعمة مُنخَلَّصون بالإيمان وذلك ليس منكم، هو عطية الله، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد"^(٤)، فإن كان التبرير بالأعمال، فقد انتفى الخلاص بالنعمة وبطل قول الكتاب بذلك.

يقول القس صموئيل بندكت: "تقول الكنيسة الرومانية: إذا ادعى أحد أن الإيمان المبرر هو بساطة الثقة بالنعمة الإلهية الماحية للخطايا من أجل المسيح، أو أن الإيمان هو وسيلة التبرير فليكن ملعوناً.

فأمامنا طريقتان مختلفتان ومتناقضتان لنوال الخلاص.

الأولى تقول: إن الخلاص هو نتيجة الأعمال الصالحة، وتناول العشاء السري والمعمودية.

والطريقة الثانية تقول: إن الخلاص هو هبة من الله، ويمكن الحصول عليه بالإيمان وحده، وبما أن هاتين الطريقتين متناقضتان فإن واحدة منهما صحيحة والأخرى باطلة"^(٥).

(١) (غلا ٢: ١٦).

(٢) (في ٣: ٩).

(٣) (رو ١١: ٦).

(٤) (أف ٢: ٨ - ٩).

(٥) العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل العاشر.

ثالثاً: لو كان التبرير بالأعمال ممكناً لكان المسيح قد مات عبثاً.

"لست أبطل نعمة الله، لأنه إن كان بالناموس بر، فالمسيح إذ مات بلا سبب" (١).

"قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تستبرون بالناموس، سقطتم من النعمة" (٢).

رابعاً: إن الأعمال الصالحة لا تقدر أن تكفر عن الذنوب والآثام الماضية، فلا أحد له أعمال صالحة يمكن أن يتبرر بها.

"كما هو مكتوب: إنه ليس بار ولا واحد، ليس من يفهم، ليس من يطلب الله،

الجميع زاغوا وفسدوا معاً، ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد" (٣).

خامساً: إن الناموس يطلب من الإنسان ما لا يستطيع أن يعملوه وهو "الطاعة الكاملة".

"لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب: "ملعون كل

من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به" (٤).

"فهل الناموس ضد مواعيد الله؟ حاشا! ؛ لأنه لو أعطي ناموس قادر أن يجيي لكان

بالحقيقة البر بالناموس، لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطيئة ليعطي الموعد من إيمان

يسوع المسيح للذين يؤمنون" (٥).

"لكن أشهد أيضاً لكل إنسان محتتم أنه ملتزم أن يعمل بالناموس" (٦).

يقول القس صموئيل بندكت: "إننا ننال الخلاص بإيماننا باستحقاقات المسيح وبالإيمان

فقط، إذ أنه عطية الله، فكل الذين يؤمنون بالمسيح يخلصون، والذين يخلصون يجب أن

يثمروا، إذ أن الأعمال الصالحة هي النتيجة الحتمية للإيمان" (٧).

(١) (غلا ٢: ٢١).

(٢) (غلا ٥: ٤).

(٣) (رو ٣: ١٠).

(٤) (غلا ٣: ١٠).

(٥) (غلا ٣: ٢١ - ٢٢).

(٦) (غلا ٥: ٣).

(٧) العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل العاشر.

"لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله، ليس من أعمال
كيلا يفتخر أحد" (١).

المطلب الثالث: نتائج الإيمان الخلاصي عند البروتستانت:

يرى البروتستانت أن للإيمان الخلاصي نتائج (٢) من أبرزها:

(١) الاتحاد بالمسيح فيصير الإنسان شريكاً للمسيح في حياته: "مع المسيح صُلبت
فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ، فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله
الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي" (٣).

(٢) التبرير بالإيمان بالمسيح: "إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل
بإيمان يسوع المسيح، آمنّا نحن أيضاً بيسوع المسيح لتتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس،
لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما" (٤).

(٣) السلام الذي ينشأ عن المصالحة المبنية على وعد الله: بأن يصفح عن كل
الذين يؤمنون بالشهادة التي شهد بها الرب عن ابنه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -
ويسامحهم ويقبلهم ويخلصهم، وكما أن الإيمان قد يكون ضعيفاً أو قوياً كذلك السلام الذي
ينشأ عنه قد يكون متقطعاً ضعيفاً أو دائماً قوياً.

(٤) اليقين: ويمكن وجود الإيمان الصحيح بدون أن يصل إلى درجة اليقين
الثابت، على أن اليقين من نتائج الإيمان الممكنة، وهو ثمر شهادة الروح الداخلية للقلوب بأنها
قد تمت شروط الخلاص (٥) واليقين، وإن لم يكن من جوهر الإيمان، إلا أنه من توابعه
الحسنة التي يجب أن يجتهد المرء في بلوغها.

(١) (أف ٢: ٨-٩).

(٢) انظر: اللاهوت النظامي: (ص ٤٧١-٤٧٢).

(٣) (غلا ٢: ٢٠).

(٤) (غلا ٢: ١٦).

(٥) (رو ٤: ٢٠)، (أف ١: ١٣)، (١ يو ٤: ١٣).

(٥) التقديس: فإن الإيمان يعمل بالحببة^(١)، ويطهر القلوب^(٢)، يقول القس جيمس أنس: "فبالإيمان نتبرر به، وبه نقبل حلول الروح القدس في قلوبنا وبه نحيا ونتقدس، لأنه الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى، وهو الواسطة الوحيدة لنعرف الله والأمور الروحية، فهو للنفس بمتلة العين للجسد، لأننا به نرى الأمور الأبدية التي لا ترى، وندرك قوتها وقيمتها، وبذلك تفقد الأمور الوقتية المنظورة قوتها على النفس، لأنها لا تقاس بالأمور التي أعدها الله للذين يحبونه، ويتحدث العبرانيين (الإصحاح الحادي عشر) عن قوة الإيمان، فقد استطاع نوح بالإيمان أن يقف وحده ضد العالم وبه قدر إبراهيم أن يقدم ابنه الوحيد. . . . وبه قدر آخرون أن يقهروا ممالك ويصنعوا براً، وبه سدوا أفواه أسود وأطفأوا قوة النار، وغيرهم تقووا به من ضعف وصاروا أشداء في الحرب. . . . وغيرهم بالإيمان احتملوا الرجم والنشر والقتل بالسيف. . . . وإن كل أولئك حصلوا بإيمانهم على الصيت الحسن"^(٣).

(٦) "تأكيد خلاص المؤمن الحقيقي: فإنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد كي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية"^(٤)، وقال المسيح: "من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة"^(٥)، وقال: "أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد"^(٦)، "كل ما يعطيني الآب فإليّ يقبل، ومن يقبل إليّ لا أخرجته خارجاً"^(٧)؛ لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير"^(٨)، وموضوع رومية (الإصحاح الثامن) هو البرهان

(١) (غلا ٥ : ٦).

(٢) (أع ١٥ : ٩).

(٣) اللاهوت النظامي: (ص ٤٧٢).

(٤) (يو ٣ : ١٦).

(٥) (يو ٥ : ٢٤).

(٦) (يو ٦ : ٥١).

(٧) (يو ٦ : ٣٧).

(٨) (يو ٦ : ٤٠).

على تأكيد خلاص المؤمنين، والقضية التي قصد الرسول إثباتها فيه هي أنه لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، أي لا يمكن أن يهلكوا أو ينفصلوا عن المسيح ويدانوا^(١).

(١) اللاهوت النظامي: (ص٤٧٢).

المبحث الثالث: شرط الخلاص عند الأرثوذكس والكاثوليك.

الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية تعتقد وتعلم بأن الخلاص بالمسيح، وشرطه الإيمان والتوبة، ولا خلاص للمسيحي "إلا بالإيمان الحي الحقيقي بيسوع المسيح، وبالأعمال الصالحة التي تنجم بالضرورة عن الإيمان الحي الحقيقي، لأنه بدون الأعمال الصالحة يكون الإيمان ميتاً ومن ثم فإن الأعمال الصالحة ضرورية للخلاص" (١).

المطلب الأول: طرق نيل الخلاص عند الأرثوذكس والكاثوليك.

أولاً: الإيمان بالمسيح وعمله الكفاري (٢)، ويستدلون بالنصوص التالية:

أ- "فقلت لكم: إنكم تموتون في خطاياكم لأنكم إن لم تؤمنوا أني أنا هو تموتون في خطاياكم" (٣).

ب- "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (٤).

ج- "الذي يؤمن به لا يدان، والذي لا يؤمن قد دين" (٥).

ولابد لهذا الإيمان من مواصفات:

(١) أن يكون حياً (٦)، "ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت" (٧).

(١) كتر النفائس: (ص١٧٢)، وانظر: الفروق العقيدية: (ص١٦)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص١٦٦)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٧٩)، الدرّة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة: (ص١٣٨)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل العاشر، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٦٦)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص١٣٨).

(٢) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٢٨٧)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٣٠).

(٣) (يو ٨ : ٢٤).

(٤) (يو ٣ : ١٦).

(٥) (يو ٣ : ١٨).

(٦) كتر النفائس: (ص١٧٢)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٢٨٧)، الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست، القاهرة، الطبعة السادسة: (٢١/١).

(٧) (يع ٢ : ٢٠).

(٢) أن يكون عاملاً بالمحبة^(١)، "لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة"^(٢).

يقول البابا شنودة الثالث: "إن الذين يقولون إن الإيمان وحده هو الذي يبرر الإنسان، ويوقفون الإيمان كعنصر قائم بذاته بعيداً عن الأعمال، هؤلاء لا أوقفهم أنا، بل يوقفهم بولس بهذا النص: "إن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال، وليست لي محبة فلست شيئاً"^(٣).

ثانياً: تقديم توبة صادقة^(٤)، وتوضح أهمية التوبة من النصوص التالية:

أ- قول المسيح: "أقول لكم: بل إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون"^(٥).

ب- قول القديس يوحنا المعمدان: "اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة"^(٦).

شروط التوبة الحقيقية في المفهوم الأرثوذكسي والكاثوليكي.

- (١) انسحاق القلب وندامته على الخطايا السالفة.
- (٢) عزم ثابت على إصلاح السيرة، ولا فائدة للتوبة بدون هذا الشرط.
- (٣) إيمان وطيد بالمسيح الذي يغفر كل خطية، والرجاء في قبول المسيح للخطأئ مهما كانت خطاياهما.
- (٤) اعتراف شفوي بالخطايا أمام الأب الروحي^(٧).

(١) انظر: مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ١٧)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٢٨٧)،

الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي: (ص ٢٣).

(٢) (غلا ٥ : ٦)

(٣) (١ كو ١٣ : ٢)

(٤) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٢٨٧).

(٥) (لو ١٣ : ٣، ٥).

(٦) (مت ٣ : ٨).

(٧) انظر: أسرار الكنيسة السبعة: (ص ١٠١-١٠٢)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢/٢٩٧-٢٩٨)، اللاهوت

المقارن: البابا شنودة: (١/١٣٥)، اللائح النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: (٢/١٧٨-١٨٤)، عقائدنا المسيحية

الأرثوذكسية: (ص ٣٢٧)، الأنوار في الأسرار، جراسيموس مسرة، طبعة حجرية: (ص ٢٠٠-٢١٠).

ثالثاً: ممارسة الأسرار الكنيسة اللازمة للخلاص^(١).

أ- سر المعمودية: "من آمن واعتمد خلص"^(٢)، "بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس"^(٣).

ب- سر الميرون: "الذي ختمنا أيضاً وأعطي عربون الروح في قلوبنا"^(٤).

ج- سر التوبة "الاعتراف": "إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم"^(٥)، وتكمن أهمية هذا السر في أن الإنسان بعد أن ينال "الميلاد الجديد" وغفران الخطايا في المعمودية فإنه قد يعود ويخطئ مرة أخرى وذلك لأن الإنسان لم يأخذ العصمة من الخطأ، ولهذا فهو في حاجة إلى غفران جديد لخطاياها، وهنا يأتي دور سر التوبة والاعتراف"^(٦).

د- سر الإفخارستيا: "دم يسوع ابنه يخلصنا من كل خطية"^(٧).

(١) الفروق العقيدية: (ص ٢٠)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٢٨٨)، مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية:

(ص ٦٨)، الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي: (ص ٢٥-٣٨).

(٢) (مر ١٦ : ١٦).

(٣) (تي ٣ : ٥).

(٤) (٢ كو ١ : ٢٢).

(٥) (١ يو ١ : ٨-٩).

(٦) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٢٨٨).

(٧) (١ يو ١ : ٧).

رابعاً: أهمية الأعمال الصالحة لنيل الخلاص^(١).

ويعرف السيد قورلس بهنام^(٢) الأعمال الصالحة بقوله: "هي تلك الأعمال التي تكون من ممارسة سائر الفضائل عدا فضيلة الإيمان، وهي كثيرة جداً، أشهرها خوف الله والرجاء والمحبة والتوبة"^(٣).

فالأعمال الصالحة لازمة من أجل نيل الخلاص عند الأرثوذكس والكاثوليك؛ ولكن وجودها لوحدها لا يكفي للخلاص، يقول البابا شنودة الثالث: "أن الأعمال الصالحة لا يتم الخلاص بسببها ولكنه لا يتم بدونها"^(٤).

وعن أهمية الأعمال الصالحة لنيل الخلاص يستشهدون بما يأتي:

قول يعقوب في رسالته: "ما المنفعة يا أخوتي إن قال أحد أن له إيماناً ولكن ليس له أعمال، هل يقدر الإيمان أن يخلصه؟"^(٥).

كما يؤكد هذا المعنى ما ورد بسفر حزقيال: "فإنهم إنما يخلصون أنفسهم ببرهم"^(٦).

وعن أهمية الأعمال في الدينونة في اليوم الأخير يستشهدون بما يأتي:

• قول المسيح: "فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله"^(٧).

(١) انظر: عقائدنا الأرثوذكسية: (ص ٢٨٩)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٧٩)، الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي:

(ص ٣٥)، الدرّة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة: (ص ١٣٨-١٤٤).

(٢) رئيس أساقفة الموصل وما يليها عن ملة السريان الكاثوليك، الدرّة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة: (ص ١).

(٣) المصدر السابق: (ص ١٣٨).

(٤) الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي (ص ٣٩)، وانظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية (ص ٢٨٩)، الدرّة النفيسة في

بيان حقيقة الكنيسة (ص ١٤٠).

(٥) (يع ٢: ١٤).

(٦) (جز ١٤: ١٤).

(٧) (مت ١٦: ٢٧).

ثم يقول الملك للذين عن يمينه: "تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم، لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني".

ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار: "اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته، لأني جعت فلم تطعموني، عطشت فلم تسقوني. . . . فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية"^(١).

"وها أنا آتي سريعاً وأجرتي معي لأجازي كل واحد كما يكون عمله"^(٢).
"فلا نفشل في عمل الخير لأننا سنحصد في وقته إن كنا لا نكل، فإذا حسبنا لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع"^(٣).

● قول بولس: "لأنه لا بد أننا جميعاً نُظهِرُ أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً"^(٤).

يقول البابا شنودة الثالث: "أعمال الإنسان إما صالحة وإما شريرة، فالأعمال الشريرة تملك الإنسان وتفقده خلاصه، أما الأعمال الصالحة فهي لازمة للخلاص، وعدم وجودها يدل على أن الإيمان ميت وعلى أنه لا ثمرة له، ولكن الأعمال الصالحة وحدها لا تكفي للخلاص بدون إيمان وبدون المعمودية وبدون استحقاقات دم المسيح"^(٥).

خامساً: أهمية المجاهدة والثبات في الإيمان والمثابرة على العمل الصالح:
"يجب على الإنسان أن يكافح ويناضل في سبيل أن يتمتع بالخلاص ويحتفظ به، إذ من الممكن أن يحرم الإنسان نفسه من الخلاص"^(٦).

(١) (مت ٢٥ : ٣٤ - ٤٦).

(٢) (رؤ ٢٢ : ١٢).

(٣) (غلا ٦ : ٩ - ١٠).

(٤) (٢ كو ٥ : ١٠).

(٥) الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي: (ص ٢٩).

(٦) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٢٩٠)، وانظر: اللاهوت العقيدية: (٢/٢٦٥-٢٦٦)، أرثوذكسي تراث وعقيدة وحياة، القمص متى مرجان، تقديم الأنبا متاؤس، الأنبا موسى، مكتبة كنيسة السيدة العذراء: (ص ٧٢).

من أجل هذا يقول المسيح: "الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص" (١).
 "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة" (٢).
 "لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك لأنك إذا فعلت هذا تخلص نفسك" (٣).
 "وإن كان البار بالجهد يخلص" (٤)، "كن أميناً إلى الموت فسأعطيك اكليل الحياة" (٥).

المطلب الثاني: الاعتراضات على فكرة الخلاص بالإيمان فقط.

رفضت الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية هذا التعليم رفضاً تاماً، واعتبره الأرثوذكس بدعة أطلقوا عليها "بدعة الخلاص في لحظة"، ولم تتوان الكنيسة الكاثوليكية في لعن من يعتنقها حيث كان من تعليمها: "إذا ادعى أحد أن الإيمان المبرر هو بساطة الثقة بالنعمة الإلهية الماحية للخطايا من أجل المسيح أو أن الإيمان هو وسيلة التبرير فليكن ملعوناً" (٦).

وقد أورد الرافضون لهذه العقيدة جملة من الاعتراضات منها:

أولاً: أن هذا التعليم يحقر وصايا الله ويهين شريعته المقدسة، لأنه ما دام الخلاص بالإيمان وحده دون الأعمال، وأن الخطايا مهما عظمت لا تفقد صاحبها الخلاص، فلا فائدة إذاً من وجود الشريعة؛ لأنهما في هذه الحالة تكون وسيلة زائدة (٧).

(١) (مر ١٣ : ١٣)

(٢) (في ٢ : ١٢)

(٣) (١ تي ٤ : ١٦)

(٤) (١ بط ٤ : ١٨)

(٥) (رؤ ٢ : ١٠)

(٦) انظر: بدعة الخلاص في لحظة، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست بالعباسية، القاهرة، الطبعة الثانية: (ص ٧)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل العاشر، الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٧٩ - ٨٣)، الدرر النفيسة في بيان حقيقتنا الكنيسة: (ص ١٤٠)، اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس: (ص ٢٦٤).

(٧) انظر: الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٨١)، اللاهوت النظامي: (ص ٤٨٠).

ثانياً: أنه يضاد كمال الله تعالى الذي يأمر بالكمال والسلوك بالسيرة الصالحة، وكيف يكون كلام الله قدوساً وهو بحسب زعمهم الباطل يخلصهم فقط بمجرد الإيمان ولا ينظر إلى أعمالهم إن كانت صالحة أو سيئة^(١).

ثالثاً: أنه يضاد عدل الله تعالى الذي أخبر أننا سنجازي حسب أعمالنا وأقوالنا وحتى أفكارنا! ، لا بحسب إيماننا فقط^(٢)؛ لأنه القائل على لسان بولس: "لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجدد بحسب ما صنع، خيراً كان أم شراً"^(٣).

رابعاً: إن هذا التعليم عارٌ وخزيٌ ينجل منه كل مسيحي يشعر بالتقوى والغيرة على تعليم الله، وقد تبرأ منه كل محب للاستقامة والأعمال الصالحة، وقد قال أحد علماء البروتستانت "غرس كروسيويس" عند تفسيره رسالة مار يعقوب الرسول:

"قد تجدد في هذا العصر التعيس ذلك الرأي. . . الذي يلزم أن يخالفه كل من أحب التقوى وخلص القريب، فإن الإيمان لا يفيد أحداً البتة خلواً من الأعمال".
وقال جرجيوس بولس: "إنه ضلال ليس بخفيف وغلط وخيم وغواية. . . وليس بعبث أن يرجع الإنسان عن آرائه ما دامت مخالفة لروح الكتاب"^(٤).

خامساً: إنه يخالف روح الكتاب المقدس على خط مستقيم، والأدلة والشواهد كثيرة وأبرزها قول المخلص الذي يقطع شأفة هذا التعليم الفاسد^(٥): "ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات"^(٦).

(١) الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٨١).

(٢) المصدر السابق: (ص ٨١).

(٣) (٢ كو ٥: ١٠).

(٤) الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٨٢ - ٨٣).

(٥) المصدر السابق: (ص ٨٢).

(٦) (مت ٧: ٢١).

سادساً: إنه ينسب لله تعالى الظلم؛ لأنه بحسب وهمهم أنه -جل ذكره وتعالى عن هذه الآراء- ينسى أتعابنا ولا يكافئنا على جهادنا^(١)، يقول بولس: "لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه، إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم"^(٢).

سابعاً: إن هذا التعليم يقود إلى التماذي في الإثم، لأنه إذا لم تكن الأعمال الصالحة ضرورية فلا فائدة منها، وإذا كان الله يقبل الخاطئ كبار لمجرد شرط الإيمان بالمسيح فما الفائدة من الصلاح ولماذا لا نعيش بالخطية؟!^(٣).

(١) الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٨٢).

(٢) (عب ٦: ١٠).

(٣) اللاهوت النظامي: (ص ٤٨٠).

المبحث الرابع: غفران الخطايا في الإسلام

غفران الخطايا وزوال عقوبتها في الإسلام يركز على عدة نقاط، يُذكر منها ما يلي:

(١) اتصف الله ﷻ بأنه غفار للذنوب والخطايا صغيرها وكبيرها، وحتى الشرك إذا تاب منه العبد واستغفر ربه قبلت توبته، وغفر له ما تقدم ذنبه، قال تعالى: ﴿قُلْ يَبَادِيُ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر ٥٣]، وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة النساء ١١٠] فمهما عظمت ذنوب العبد فإن مغفرة الله ورحمته أعظم، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ [سورة النجم ٣٢]، وقد تكفل الله ﷻ بالمغفرة لمن تاب وآمن وعمل صالحاً قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [سورة طه ٨٢] بل من فضله وجوده أن تعهد ﷻ بأن يبذل سيئات المذنبين في حال توبتهم قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة الفرقان ٧٠].

(٢) من مات بلا توبة من أهل الشرك والكفر والنفاق فلا مغفرة له ولو طلبها له نبي مرسل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَن يُشْرِكْ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [سورة النساء ١١٦]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء ١٣٧]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ [سورة النساء ١٦٧-١٦٨]، وقال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [سورة المنافقون ٦]، وقال: ﴿سَتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة التوبة ٨٠]، وقال: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [سورة التوبة ١١٣].

(٣) إن كل إنسان مرتكب بعملة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ومن أذنب ذنباً فعليه

وزره لا يحملة عنه غيره. قال تعالى: ﴿مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ

عَلَيْهَا وَلَا نِزْرٌ وَازْرَةٌ وَزَرٌّ أُخْرَى ﴿ [سورة الإسراء ١٥] ، وقال: ﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [سورة فصلت ٤٦] ، وقال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [سورة المدثر ٣٨] .
ومن ذلك الخطيئة الأولى خطيئة آدم ﷺ وزوجه، حيث صرح القرآن الكريم في أكثر من موضع بأن معصية آدم ﷺ قد انتهت بعد توبته واجتباء الله له.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا يَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءٌ لَّهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ [سورة طه ١١٥-١٢٢] ، وقال: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة ٣٥-٣٧] ، ولم تنتقل الخطيئة إلى بقية البشر بالوراثة كما يزعم النصارى.

(٤) إن التوبة وعمل الصالحات تكفران الذنوب والسيئات، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة الزمر ٥٣] ، وقال: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة النساء ١١٠] ، وقال: ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَعَٰمَنُوا ۖ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الأعراف ١٥٣] ، وقال: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [سورة طه ٨٢] ، وقال تعالى: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الفتح ٢٩] .

وقال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [سورة هود ١١٤] جاء في سبب نزول هذه الآية عن ابن مسعود: "أن رجلاً

أصاب من امرأة قبله فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا﴾ الآية، فقال الرجل: يا رسول الله أهدا لي قال: «لجميع أمي كلهم»^(١).

وروى الترمذي في سننه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»^(٢).

قال ابن تيمية رحمه الله: على أن عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب:

السبب الأول: التوبة:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ [سورة الشورى ٢٥] وقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة التوبة ١٠٤].

السبب الثاني: الاستغفار:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة النساء ١١٠] وقال عليه السلام: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»^(٣).

السبب الثالث: الحسنات الماحية:

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكْرِينَ﴾ [سورة هود ١١٤].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة: (١/١٩٦/ح٥٠٣).

(٢) سنن الترمذي، محمد بن علي أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، كتاب البر والصلة باب ما جاء في معاشرته الناس: (٤/٣٥٥/ح١٩٨٧)، قال الألباني: حديث حسن.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار: (٤/٢١٠٦/ح٢٧٤٩).

وقال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»^(١).

السبب الرابع: دعاء المؤمنين للمؤمن:

مثل صلاتهم على جنازته واستغفارهم له، قال ﷺ: «ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه»^(٢).

السبب الخامس: ما يعمل للميت من أعمال البر كالصدقة ونحوها.

فإن هذا ينتفع به بنصوص السنة الصحيحة واتفاق الأئمة وكذلك العتق والحج.

السبب السادس: شفاعة النبي ﷺ وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة.

السبب السابع: المصائب التي يكفر الله بها الخطايا في الدنيا، قال ﷺ: «ما يصيب

المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشكها إلا كفر الله بها من خطاياها»^(٣).

السبب الثامن: ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة، فإن هذا مما يكفر به الخطايا.

السبب التاسع: أهوال يوم القيامة وكرها وشدائدها.

السبب العاشر: رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد"^(٤).

والم تأمل في نصوص الكتاب والسنة يرى بوضوح أن الإسلام قد فتح للعبد باباً واسعاً

في طلب المغفرة من الله ﷻ بلا واسطة، فمهما عظمت ذنوب العبد فإن مغفرة الله ﷻ أعظم، لا كما جاء في عقيدة النصارى التي انحرفت عما جاء من عند الله تبارك وتعالى.

(١) سبق تخريجه (ص ٢٦٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفّعوا فيه: (٢/٦٥٥/ح ٩٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى باب ما جاء في كفارة المرض: (٥/٢١٣٧/ح ٥٣١٨).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: (٧/٤٨٧-٥٠١).

الفصل الثامن

التناقض حول العذراء مريم عليها السلام

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: الحبل بلا دنس.

المبحث الثاني: بتولية العذراء الدائمة.

المبحث الثالث: تلقيب العذراء بوالدة الإله.

المبحث الرابع: مريم عليها السلام في الإسلام.

الفصل الثامن

التناقض حول العذراء مريم عليها السلام

تمهيد:

يرتبط تقديس النصارى لمريم عليها السلام ارتباطاً وثيقاً بالمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فما زالت الكنيسة منذ بدء تاريخها تفكر في سر المسيح الإله المتجسد"، والتفكير في مريم لا يسعه إلا أن يساير التفكير في المسيح.... هكذا نظرت الكنيسة دائماً إلى الأمور، لقد صلت إلى مريم، وعبرت تعبيراً عقائدياً عن عظمة مريم، ولكنها لم تفعل ذلك إلا مسايرة لصلاتها إلى المسيح ولتفكيرها في المسيح مسايرة ضرورية^(١). يقول الكردينال رترنغر: "ما زال آباء الكنيسة يرون في مريم العذراء صورة الكنيسة صورة الإنسان المؤمن الذي لا يستطيع أن يحقق نفسه تحقيقاً تاماً إلا بعطية المحبة، وهي ما يسميها علم اللاهوت النعمة، المسيح هو العطية الموهوبة، ومريم هي العطية المقبولة"^(٢)، وهذا النص يبين دور مريم في عملية التجسد التي تمت بقبولها وإرادتها.

وقد اختلف النصارى في شخص مريم عليها السلام اختلافاً بيناً فهي:

١. والدة الإله عند الأرثوذكس والكاثوليك.
٢. مطهرة من الخطيئة الأصلية، معصومة عن الخطأ، مستحقة للعبادة، شريكة في الفداء عند الكاثوليك ولذلك سميت لديهم "بسيده المطهر".
٣. ولهم في دوام بتوليبتها خلاف: فالأرثوذكس والكاثوليك يعتقدون "دوام عذريتها" الأمر الذي يرفضه البروتستانت وينكرونه^(٣).

(١) فرح الإيمان بمحة الحياة، محاضرات في أهم قضايا الإيمان المسيحي، جمعها الأب برنار هوسه، نقلها إلى العربية الأب: صبحي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، الطبعة التاسعة: (ص ١١٣-١١٤).

(٢) المصدر السابق: (ص ١١٤).

(٣) انظر: مريم بنت عمران بين اليهودية والمسيحية والإسلام: (ص ٣٢-٣٨)، كتر النفائس: (ص ١٦٧)، الفروق العقيدية: (ص ٣٢-٣٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٢٢، ٤٥١-٤٥٢)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (١/٩٥). القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي، القمص: تادرس يعقوب ملطي: (ص ١-٥)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (١/١١٧).

المبحث الأول: الحبل بلا دنس.

يعتقد النصارى بجميع طوائفهم أن الخطيئة الأصلية تتوارثها الأجيال منذ بدء الخليقة متسلسلة إلى جميع أفراد الجنس البشري، ولا يستثنى من ذلك أحد إلا ربهم يسوع المسيح المتزه عن الخطيئة على الإطلاق.

ويضيف الكاثوليك أن مريم العذراء أيضاً قد وجدت متزهة عن هذه الخطيئة، الأمر الذي يرفضه كل من الأرثوذكس والبروتستانت وتعد هذه العقيدة التي أدخلت في سنة (١٨٥٤م) من أكثر العقائد المتعلقة بالعذراء إثارة للجدل بين طوائف النصارى^(١).

المطلب الأول: الحبل بلا دنس عند الكاثوليك.

أولاً: مضمون العقيدة:

إن العذراء مريم "دخلت إلى العالم وهي ممتلئة بالنعمة، وذلك منذ لحظة الحبل من أبويها، وهذه النعمة الخاصة قد أعطيت لها بصفة فريدة واستثنائية؛ نظراً لاستحقاقات ابنها المسيح الفادي، فلكي يتجسد ويصير إنساناً كاملاً كان لا بد له من طبيعة إنسانية كاملة غير ملوثة بالخطيئة؛ لذلك وجب أن تكون تلك الأم التي سيأخذ منها طبيعته البشرية طاهرة وبريئة من كل دنس خطيئة.

ومن هنا نتج ضرورة منح العذراء امتيازاً خاصاً يحررها من الخطيئة الأصلية التي تتوارثها الجنس البشري، وهكذا تكون العذراء قد تمتعت بالنعمة المبررة وهي بعد في أحشاء

(١) انظر: كتر النفائس: (ص١٦٧)، الفروق العقيدية: (ص٣٢ - ٣٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٥١، ٤٥٢)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص٨١)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص٧٣)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل السابع، الإيمان الأرثوذكسي: (ص٢١)، مريم العذراء المتزهة عن الخطيئة الأصلية، القمص: باسيلي فانوس، بطريكية الأقباط الكاثوليك: (ص١٥)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (١/١١٧)، شرح أصول الإيمان: (ص١٥٧)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٩٣)، تاريخ الفكر المسيحي: (٢/١٩٤-١٩٥)، اللاهوت المقارن، الأنبا غريغوريوس: (ص٣٥٦)، اللاهوت النظامي: (ص٤٣).

أمها، وهي حالة النعمة التي تمتع بها الإنسان الأول في لحظة خروجه من يد الله، فإن الله قد انتخبها منذ الأزل أمّاً له" (١). تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ثانياً: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية.

استدل الكاثوليك بعدد من النصوص للبرهنة على صحة اعتقادهم منها:

أ- البراهين الكتابية:

١. العهد القديم.

(أ) قال الرب الإله للشيطان المنتصر على آدم وحواء المتمثل في الحياة: "وأجعلُ عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها، فهو يسحق رأسك وأنتِ تصيين عَقِبَهُ" (٢). يرى الكاثوليك في هذا النص: "البشرى السعيدة بمجيء الفادي مخلص العالم موجهة إلى المرأة "العدراء مريم" بصفتها الخلف الذي سيخرج من نسله فادي الإنسان" (٣)، حيث تعبر كلمات هذه البشارة تعبيراً كاملاً عن دور العدراء في الكفاح الخلاصي ضد مسبب الشر "الشيطان" الذي كان العدا معه ولا زال مستحكماً، فوجب أن تكون العدراء مترهة عن حالة الخطيئة الأصلية بحكمة الله الأزلية منذ اللحظة الأولى للحبل بها، فهي جديرة بكل إكرام وتطويب وتبجيل إلى منتهى الدهور" (٤).

(ب) يتضمن سفر نشيد الإنشاد عبارات المدح والتبجيل التي أجمع بعض آباء الكنيسة أنها قيلت في العدراء مريم ومنها:

(١) مريم العدراء المترهة عن الخطيئة الأصلية: (ص ١٥)، وانظر: التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (١١٧/١)،

خلاصة اللاهوت المريمي، الأب أوغسطين دويره لاتور، نقله إلى العربية: الأب يوسف قوشاقجي، دار المشرق،

بيروت، الطبعة الثالثة: (ص ٨١-٨٢)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٥٢).

(٢) (تك ٣: ١٥).

(٣) مريم العدراء المترهة عن الخطيئة الأصلية: (ص ٥٢).

(٤) انظر: المصدر السابق: (ص ٥٤-٥٨)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٨٢)، الدرّة النفيسة في بيان حقيقة

الكنيسة: (ص ١٧٥-١٧٦).

● "كالسوسنة بين الشوك كذلك خليلتي بين البنات"^(١).

يقول القديس ألفونس دي ليجوري شارحاً هذا النص: "أنت يا ابنتي بين البنات كزهرة الزنبق بين الأشواك؛ لأن البنات كلهن مدنسات بالخطيئة، أما أنت يا مريم فبريئة منها وخالية من كل عيب"^(٢).

● "أختي العروس جنة مقللة وينبوع مختوم"^(٣).

يقول القديس إيرونيموس مفسراً لهذا النص: "إن مريم بالحصر هي الجنة المقللة، وهذا ينبوع المقلل؛ لأن الأعداء "الخطايا" ما استطاعوا أن يدخلوا إليها، فقد حفظت دائماً مُحلاة بالنعمة كاملة لا عيب فيها"^(٤).

● "لكن حمامتي كاملي وحيدة هي، وحيدة لأمها مفضلة لوالدتها. رأتها البنات فهنأها رأتها الملكات والسراري فأتنين عليها"^(٥).

يقول القديس ألفونس دي ليجوري: "إن مريم هي من بين تلك الأنفس الحمامة الطاهرة الخالية من الخطيئة، هي الكاملة، البريئة من دنس المعصية الأصلية؛ إنها الوحيدة التي حُبِلَ بها في حال النعمة"^(٦)، وبرأي الكاثوليك يؤيد الروح القدس هذا المعنى بقوله: "كاملي وحيدة" فكيف تكون وحيدة إذا لم تُمَيِّز بمنحة فريدة لا يشترك فيها غيرها من البشر، وهذه المنحة لا يمكن أن تكون إلا براءتها من الخطيئة الأصلية، ومن سيطرة الشيطان عليها منذ أول لحظة من كيانها"^(٧).

(١) (نش ٢ : ٢).

(٢) مريم العذراء المتزهة عن الخطيئة الأصلية: (ص ٦٠).

(٣) (نش ٤ : ١٢).

(٤) مريم العذراء المتزهة عن الخطيئة الأصلية: (ص ٦١).

(٥) (نش ٦ : ٩).

(٦) مريم العذراء المتزهة عن الخطيئة الأصلية (ص ٦١).

(٧) انظر: المصدر السابق: (ص ٦١ - ٦٢).

٢. العهد الجديد.

يرى الكاثوليك أن نصوص العهد الجديد تشهد بطريقة أوضح لهذه العقيدة، ومنها:
 "شهادة الملك جبرائيل المرسل من عند الله ليبشرها بالحبل عندما حياها قائلاً:
 "افرحي أيتها الممتلئة نعمة، الرب معك، فداخلها لهذا الكلام اضطراب شديد وسألت نفسها
 ما معنى هذا السلام، فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم فقد نلتِ حظوة عند الله" (١).

وعلى ضوء هذا النص يستنتج الكاثوليك ما يلي:

- إن بشارة مريم بالفرح جاءت تكليلاً لكافة البشارات التي وردت في العهد القديم.
- هذا الفرح الذي عمَّ شعب الله قديماً بوجود الله وسط شعبه، يوجه الآن إلى مريم وحدها، فهي تمثل الشعب كله والبشر أجمعين، وعليها أن تفرح باسم الجميع لتنتقل فرحها إلى الجميع.
- إن الله يريد أن يشبع نفس مريم بالفرح الدائم، وكأنه يقول لها: فيضي فرحاً يا فيض النعمة، فيتدفق منها ويتغلغل في عمق إلى نفوس البشر أجمعين.
- وكما كان سبب الفرح هو حضور الله وسط شعبه، كذلك كان فرح مريم في لحظة البشارة بسبب حضور ابن الله في أحشائها، تعالى الله عما يصفه به هؤلاء المشركون علواً عظيماً.

يقول القديس مكسيمليان كولب (٢): "إن الله وحده هو الذي يدرك المعنى الحقيقي للحبل بمريم، متزهة عن الخطيئة الأصلية وأبعاده، وذلك بسبب الاتحاد الوثيق بين مقاصد الله

(١) (لو: ٢٨ - ٣٠).

(٢) مكسيمليان كولب: ولد في بولونيا (١٨٩٤م) وسيم كاهناً في (١٩١٨م) له مؤلفات عديدة في إكرام العذراء، وتحتفل به الكنيسة اللاتينية في ١٤ أغسطس من كل عام. انظر: مريم العذراء المتزهة عن الخطيئة الأصلية: (ص ٦٤).

ودور العذراء في تحقيق هذه المقاصد حين أجابت الملاك قائلة: ها أنا أمة للرب فليكن لي بحسب قولك" (١)(٢).

ويصل الكاثوليك إلى النتيجة التالية من خلال ذلك النص: "النتيجة إذاً أن العذراء قد ملئت بالنعمة منذ لحظة الحبل بها، والامتلاء من النعمة يتعارض مع وجود الخطيئة الأصلية، لكنه لا يتعارض مع الطبيعة الإنسانية، لأن الطبيعة الإنسانية لا تتنافى مع البراءة من الخطيئة الأصلية، وقد كانت هذه حالة الإنسان الأول لو أنه ثبت في حال النعمة، فإن صح القول أن المسيح لم تمسه أي خطيئة لأنه مملوء نعمة، هكذا وجب القول عن أمه العذراء؛ لأنها أيضاً مملوءة نعمة" (٣).

(ب) شهادة الآباء:

١. القديس يوستينوس: "إن الذي صار إنساناً من عذراء بتول، اختار لذاته أن يسلك الطريق الذي سلكه في بدء الخليقة، أي أن يولد من عذراء بلا خطيئة ليُحررنا من الخطيئة، حواء كانت عذراء طاهرة ولكنها قد أملت للحية أذنناً صاغية فجلبت علينا المعصية والموت، أما مريم التي كانت تُعم بفيض الإيمان والفرح فلما بشرها الملاك أجابت: ليكن لي بحسب قولك، وجلبت علينا النعمة".
٢. القديس غريغوريوس التريزي: يتحدث عن التجسد قائلاً: "إن الكلمة صار إنساناً كاملاً، فشابهنا في كل شيء ما عدا الخطيئة"، ثم يخاطب مريم قائلاً: "ولدتِه وأنت عذراء، وكان الروح القدس قد سبق وزين نفسك وجسدك طهراً ونقاوة".
٣. القديس كيرلس الأورشليمي: يتحدث عن تجسد الكلمة فيقول: "في الواقع كان ملائماً للطاهر ومعلم الطهارة أن يخرج من أحدار طاهرة".

(١) (لو ١: ٢٨).

(٢) مريم العذراء المتزهة عن الخطيئة الأصلية: (ص ٦٤).

(٣) مريم العذراء المتزهة عن الخطيئة الأصلية: (ص ٦٨)، وانظر: خلاصة اللاهوت المريمي (ص ٨٥ - ٨٦)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٨٢)، تاريخ الفكر المسيحي: (٢/ ١٩٤-١٩٥)، الدرّة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة: (ص ١٧٧-١٧٨).

٤. ثيودوسيوس أسقف مدينة أنقرة^(١): شهد بنقاء العذراء من كل وصمة خطيئة فقال: "لقد اختار لنا الله عوضاً عن حواء التي صارت أداة موت، عذراء ممتلئة نعمة، نالت حظوة في عينيه لترد لنا الحياة، عذراء صنعت بطبيعة المرأة ولكن بدون خطيئة المرأة، عذراء طاهرة بريئة من كل عيب، كاملة الطهر متزهة عن كل خطيئة، قديسة نفساً وجسداً، نبتت كالزنبقة وسط الأشواك، عذراء متلحفة بالنعمة الإلهية...، إنها عذراء تفوق فردوس عدن، ناجية من أميال حواء".

٥. فوثيوس بطريرك القسطنطينية: "إن مريم هي التحفة العظيمة التي نحتها الله بيده الخاصة. . . . ، استولى عليها الحب الإلهي بجملتها. . . . ، وقد اختارها الله قبل مولدها لتكون أمّاً للكلمة، هي العذراء بلا عيب، ابنة جنسنا المتزهة عن كل خطيئة...، هي التي لم تعرف لتزعات الشهوة غير المرتبة موضعاً. . . . ، بل كانت نفسها سائدة على جسدها سيادة كاملة على حد ما كان عليه الإنسان في حالة البراءة الأولى".

ويتره فوثيوس العذراء عن كل زلة في حياتها، وكل خطيئة فعلية مهما كانت خفيفة، ويُلح كثيراً على توضيح هذه الفكرة: "إن مريم استحقت بقداستها أن يختارها الله لشرف الأمومة الإلهية"، ويصرح أكثر من مرة: "إن الله قدس مريم مذ كانت في الأحشاء الوالدية لتكون هيكله الحي"، "تقدست مريم تمام القداسة من أحشاء أمها لتكون هيكلًا حيًا لربها". كل هذه النصوص توضح مفهوم فوثيوس وتعليمه عن العذراء مريم، فهي قديسة منذ لحظة وجودها في الحشا الوالدي، وهذا هو مضمون عقيدة الحبل بمرم المتزهة عن الخطيئة الأصلية^(٢).

(١) ثيودوسيوس أسقف أنقرة: كان ثيودوسيوس صديقاً لنسطور ومعيناً له، لكنه في مجمع أفسس (سنة ٤٣١م) انقلب إلى الضد؛ فصار من أكثر معاوي القديس كيرلس الكبير ضد نسطور. حُرم في المجمع النسطوري بطرسوس سنة (٤٣٢م). له عدة كتابات منها: مقالات ضد نسطور مفقودة؛ شرح لقانون الإيمان النيقوي؛ وعدة مقالات عن عيد الميلاد والتطهير. قاموس آباء الكنيسة: نسخة إلكترونية.

(٢) مريم العذراء المتزهة عن الخطيئة الأصلية: (ص ٧٦ - ٩٦).

(ج) ما جاء عن النبي ﷺ (١):

يستدل الكاثوليك على صيانة مريم العذراء عليها السلام من مس الخطيئة الأصلية بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها» (٢) ثم يقول أبو هريرة واقروا إن شئتم: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلِئِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [سورة آل عمران ٣٦].

المطلب الثاني: الاعتراضات على هذه العقيدة.

أورد الرافضون لهذه العقيدة جملة من الاعتراضات يذكر منها ما يلي:

(١) إن هذه العقيدة بدعة حديثة تم الاعتراف بها رسمياً في عهد البابا بيوس التاسع في (٨ ديسمبر ١٨٥٤م)، فقبل هذا التاريخ وحتى في المجمع الكاثوليكية المقدسة عندهم لا نجد أثراً لهذه العقيدة.

(٢) تعلم الكنيسة الكاثوليكية أن مريم ولدت بدون خطيئة، وأنها كانت خالية تماماً من كل خطيئة؛ لكن نصوص الكتاب المقدس تخبر أن ولادة مريم العذراء كانت بنفس الطريقة كأى إنسان آخر وبنفس الدوافع والضعفات والضروريات والحدود البشرية، حيث يقول الكتاب: "المولود من الجسد جسد هو" (٣)، "من يخرج الطاهر من النجس؟ لا أحد" (٤).

(٣) إن العذراء مريم قالت في تسبيحتها: "تعظم نفسي الرب، وتبتهج روعي بالله مخلصي" (٥).

(١) الدررة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة: (ص ١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً) (١١/١٠٥/ح ٤٥٤٨).

(٣) (يو ٣: ٦).

(٤) (أى ١٤: ٤).

(٥) (لو ١: ٤٦).

ومن خلال هذا النص يتضح أنّ العذراء قد أدركت خطيئتها الخاصة، وعرفت أنّها بحاجة إلى الخلاص مما يدل على حملها للخطيئة الأصلية وحاجتها للخلاص كسائر البشر.

(٤) إن هذه العقيدة ضد الفداء والكفارة، فجميع النصوص تدل بأن الجميع قد ورث الخطيئة الأصلية، وأننا لا نستطيع الخلاص إلا بالفداء بدم المسيح؛ لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة"، وكل شيء تقريباً يتطهر حسب الناموس بالدم، وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (١).

فكيف أمكن أن تخلص العذراء من الخطيئة الأصلية بدون سفك دم؟! والأخطر من ذلك أنه لو كان هناك طريقة للخلاص من الخطيئة الأصلية ومن الحكم الذي وقع على الأبوين غير الفداء فلماذا الفداء إذا؟! لماذا لم يعمها الله على جميع البشر أسوةً بالعذراء؟! ولماذا التجسد؟! ولماذا أخلى الرب ذاته آخذاً صورة عبداً؟ ولماذا احتمل الآلام والإهانات؟!

(٥) لو قبلنا هذا الرأي بوجوب خلو العذراء من الخطيئة الأصلية حتى لا يرثها المسيح منها، فكيف لم ترثها العذراء من والديها، إلا لو كانوا هم أنفسهم بلا خطيئة أصلية، وماذا عن آبائهم وآباء آبائهم صعوداً إلى آدم وحواء، فبمنطق الكاثوليك يلزم أحد أمرين لا ثالث لهما:

(أ) إما أن آدم وحواء لم يخطئوا.

(ب) أن أبوي العذراء لم يكونا من نسل آدم وحواء.

ولا يمكن القول بأحدهما لاستحالتهم ومخالفتهم للعقل ولنصوص الكتاب.

(٦) إن المدائح التي قيلت في العذراء لا يؤخذ منها دليل ولا يبنى عليها حكم، فقد اعتاد الناس أن يستعملوا فيها المغالاة إذا مدحوا أحداً، أو وصفوه بصفة مشرفة له، ومدح

الكنيسة للعدراء هو من هذا القبيل، بالنظر إلى الفضائل التي تعبت في الحصول عليها وامتازت بها عن غيرها.

(٧) إن هذه العقيدة من الخطورة بمكان؛ لأنها تمس الفداء وتقلل من قيمته بصورة كبيرة، وتقلل من عمل الروح القدس في التجسد، وهي أمور لا يستطيع أي مسيحي أن يتخلى عنها؛ لأنها من أعلى العقائد الإيمانية^(١)، عندهم.

(١) انظر: تنوير الأذهان بما في الكنيسة الرومانية من الزيغان: (ص ٢٣٩ - ٢٤٢)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس الفصل السابع، مريم ابنة عمران بين اليهودية والمسيحية والإسلام: (ص ٣٥ - ٣٦)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٨٣ - ٨٤)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٥٢)، شرح أصول الإيمان: (ص ١٥٧).

المبحث الثاني: بتولية العذراء الدائمة.

يؤمن الأرثوذكس والكاثوليك معاً بتولية العذراء الدائمة، وذلك لاعتقادهم بأن العذراء حبلت وولدت الإله المتجسد، فلزم من ذلك بقاءها عذراء إلى الأبد، قبل الحبل وأثناء الحبل وبعد الولادة، وهذا الأمر يرفضه البروتستانت الذين يعتقدون بأن لها بنين بعد المسيح من زوجها القديس يوسف النجار^(١).

وقد أُقرت هذه العقيدة في المجمع القسطنطيني الثاني سنة (٥٥٣م) وجاء فيه:

"ليكن مبسلاً كل من لا يعترف أن كلمة الله ولد ولادتين: الولادة الأولى منذ الأزل من الآب لا تحصر في زمان أو في جسد، والثانية في الأيام الأخيرة إذ نزل من السماء وصار جسداً من القديسة المجيدة مريم والدة الإله الدائمة البتولية وولد منها"^(٢).

جاء في تعليم الكنيسة الكاثوليكية ما نصه: "تعمق الكنيسة في إيمانها بالأومومة البتولية قادها إلى الاعتراف بتولية مريم الحقيقية والدائمة حتى في ولادتها ابن الله المتأنس، فميلاد المسيح لم ينقص بتولية أمه، ولكنه كرس كمال تلك البشرية، ليرجيا الكنيسة تشيد بمريم على أنها دائمة البتولية"^(٣).

(١) انظر: الفروق العقيدية: (ص٣٢-٣٣)، السيدة العذراء، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست بالعباسية، الطبعة الثالثة: (ص١٦)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٩٠)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (١/٩٥)، أرثوذكسي تراث وعقيدة وحياة: (ص٩٣)، التجسد الإلهي ودوام بتولية العذراء، القس عبد المسيح أبو الخير، مطبعة المصريين، الطبعة الثانية: (ص٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٢٢)، القديسة مريم في المفهوم الأرثوذكسي: (ص١-٥)، العذراء القديسة مريم ثيوتوكوس: (ص٧١).

(٢) مجموع الشرع الكنسي: (ص٤٦٧).

(٣) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (١/١٩٩).

المطلب الأول: البراهين التي يستند إليها المؤمنون بهذه العقيدة.

مما استدلووا به لإثبات صحة مذهبوا إليه:

أ- البراهين الكتابية

- "ثم أرجعني إلى طريق باب المقدس الخارجي المتجه للمشرق وهو مغلق، فقال لي الرب: هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح ولا يدخل منه إنسان؛ لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً"^(١).

وقد فسر القديس أوغسطينيوس هذا النص بقوله: "ما معنى باب مغلق في بيت المقدس؟! إلا أن القديسة مريم تكون على الدوام بلا دنس، مالكة لخاتم بتوليتها، وما معنى قوله: لا يدخله إنسان؟! إلا أن القديس يوسف النجار لم يعرفها قط. وما معنى: أن هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح! إلا أن مريم قد كانت قبل الولادة عذراء وبقيت بعد الولادة عذراء أيضاً"^(٢).

وجاء عن القديس جيروم: "مع أن هذا الباب كان مغلق، دخل يسوع إلى مريم القبر الجديد المنحوت في الصخر الذي لم يرقد فيه من قبل ولا بعد، إنما جنة مغلقة ينبوع محتوم، هي الباب الشرقي الذي تحدث عنه حزقيال المغلق إلى الدوام، المملوء نوراً يدخل إلى قدس الأقداس، منه يدخل ويخرج من هو على رتبة ملكي صادق، ودعوهم يخبروني كيف دخل يسوع والأبواب مغلقة وأنا أجيهم كيف تكون القديسة مريم أمماً وعذراء بعد ميلاد ابنها"^(٣).

- قول العذراء للملك جبرائيل: "كيف يكون لي هذا وأنا لست أعرف رجلاً"^(٤).

تساءلت العذراء كيف أحبل وأنا عذراء، وقد نذرت البتولية وليس في نيتي التراجع عنها!

(١) (جز ٤٤: ١ - ٣).

(٢) موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٢٢)، وانظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٣٩٠).

(٣) التجسد الإلهي ودوام بتولية العذراء: (ص ٦).

(٤) (لو ١: ٣٤).

فيجيها الملك: إن هذا الحبل لن يمس بتوليتك ولن يضطرك للتراجع عما نذرته وسوف تظلين بتول إلى الأبد، وأما عن الكيفية فهذا عمل الله وحده^(١)، فأجاب الملك وقال لها: "الروح القدس يجلب عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله"^(٢) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ب- شهادة الآباء^(٣):

- (١) باسيلوس الكبير: "إن المسيحين لا يطيقون أن يسمعو من "هرطوقي" بزواج العذراء بعد ولادتها السيد المسيح؛ لأنه على خلاف ما تسلموه من آباؤهم".
- (٢) العلامة القبطي أوريجانوس: "لقد وصل إلينا -من التقليد- أن بتولية العذراء الدائمة كانت من الحقائق التي تداولتها الكنيسة منذ نشأتها"، كما يقول في موضع آخر: "لقد تلمسنا تقليداً في هذا الشأن، أن مريم قد ذهبت إلى الهيكل بعدما أنجبت المخلص لتتعبد ووقفت في الموضع المخصص للعذارى، فحاول الذين يعرفون عنها أنها أنجبت ابناً طردها من الموضع، لكن زكريا أجابها أنها مستحقة المكوث في موضع العذارى إذ لا تزال عذراء".
- (٣) اكليمينضس الإسكندري: "إن مريم العذراء استمرت عذراء"، رافضاً الادعاء بأنها قد صارت امرأة -أي فقدت بتوليتها- بسبب إنجابها الطفل.
- (٤) يوحنا فم الذهب: "لم تحل بتولية العذراء الطاهرة خلال الميلاد غير الدنس، كما لم تقف البتولية في طريق ميلاد عظيم كهذا".
- (٥) غريغوريوس النيصي: "السيد المسيح وحده فتح أبواب بتوليتها المغلقة، ومع هذا بقيت الأبواب مغلقة تماماً".
- (٦) الإسكندري ديديموس: "أكد بأنها عذراء في الحمل وبعد الميلاد ويدعوها دائماً البتولية".

(١) التجسد الإلهي ودوام بتولية العذراء: (ص ٨).

(٢) (لو ١: ٣٥).

(٣) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٢٤)، القديسة العذراء مريم في المفهوم الأرثوذكسي: (٩-١٠)، التجسد

الإلهي ودوام بتولية العذراء: (٦-١٠)، العذراء القديسة مريم: (ص ٧١-٧٦).

المطلب الثاني: الاعتراضات على هذه العقيدة.

أورد الرافضون لهذه العقيدة جملة من الاعتراضات على النحو التالي:

(١) إنَّ عدم استمرارية بتولية العذراء بعد ولادتها للمسيح لا تعد خطيئة أو عاراً وليس في ذلك ما يقلل من شأنها ومكانتها، والقول بدوام بتوليتها لم يرد في التاريخ إلا بعد القرن الثالث، وهذه الفترة ظهرت فيها بدع وهرطقات كثيرة، وظهر من يؤهون العذراء ويعبدونها، وهذا مخالف لفكر كلمة الله^(١).

(٢) إن فكرة دوام بتولية العذراء بعد ولادتها للمسيح لا مستند لها من الكتاب المقدس، بل نصوص الكتب تؤكد خلاف ذلك؛ إذ ثبت بنصوص الكتاب اقتران العذراء بعد ولادة المسيح بالقديس يوسف، وولادتها لأبناء له هم: يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا.

● "فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب، وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع"^(٢)، أي أنه عرفها بعد إنجابها لابنها البكر يسوع المسيح، ومعنى كلمة يعرفها: أي جامعها جماع الأزواج، ودليل ذلك أن كلمة يعرفها معناها النكاح والوطء، جاء في سفر التكوين ما يؤيد ذلك في العلاقة بين آدم وحواء: "وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين وقالت: اقتنيت رجلاً من عند الرب ثم عادت فولدت له أخاه هابيل"^(٣).

● قوله: "ابنها البكر" دليل على أنه الأول بين إخوته^(٤)، وهذا ما أثبتته نصوص الكتاب، فقد جاء ذكر إخوة للمسيح في النصوص التالية: "أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان؟ أوليست أخواته ههنا عندنا"^(٥).

(١) انظر: القديسة العذراء مريم، القس عماد عبد المسيح: (ص ٤).

(٢) (مت ١: ٢٤ - ٢٥).

(٣) (تك ٤: ١ - ٢).

(٤) (لو ٢: ٧)، (مت ١: ٢٥).

(٥) (مر ٦: ٣).

- "وفيما هو يكلم الجموع إذ أمه وإخوته قد وقفوا خارجين طالبين أن يكلموه" (١).
- "ولما جاء إلى موطنه كان يعلمهم في مجتمعهم حتى بهتوا وقالوا: من أين لهذا هذه الحكمة والقوات أليس هذا ابن النجار؟! أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا؟! أو ليست أخواته جميعهن عندنا؟ فمن أين لهذا هذه كلها؟" (٢).
- قول بولس في رسالته لأهل غلاطية: "ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرّف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً ولكني لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب" (٣).
- "هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبية مع النساء ومريم أم يسوع ومع إخوته" (٤).
- "وبعد هذا انحدر إلى كفر ناحوم هو وأمّه وإخوته وتلاميذه وأقاموا هناك أياماً ليست كثيرة" (٥).
- إنَّ العذراء بعد الولادة صارت امرأة ولم تعد عذراء. وهذا بشهادة المسيح نفسه عندما قال لها في عرس قانا الجليل: "مالي ولك يا امرأة لم تأتِ ساعتِي بعد" (٦).
- وكذلك عبارة امرأة التي قيلت ليوسف: "إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً: يا يُوسُفُ بن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك" (٧).
- "فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب، وأخذ امرأته" (٨).

(١) (مت ١٢ : ٤٦).

(٢) (مت ١٣ : ٥٤ - ٥٥).

(٣) (غلا ١ : ١٨ - ١٩).

(٤) (أع ١ : ١٤).

(٥) (يو ٢ : ١٢).

(٦) (يو ٢ : ٤).

(٧) (مت ١ : ٢٠).

(٨) (مت ١ : ٢٤).

(٣) إن الإعجاز في عذريتها وقت ميلاد المسيح فقط وليس بعده، ودوام العذرية بعد الولادة يُعدّ محالاً، وليس محالاً فقط بل يناقض العقل تماماً، ويُعدّ ضحكاً على الذقون فلا بد من زوال البكارة بفعل الجنين عند نزوله^(١).

(١) انظر: القديسة العذراء مريم: (ص٤)، مريم ابنة عمران بين اليهودية والمسيحية والإسلام: (ص٣٨).

المبحث الثالث: تلقيب العذراء مريم بوالدة الإله.

الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية تعتقد وتعلم بأن تلقيب القديسة العذراء مريم الدائمة البتولية بوالدة الإله "ثيؤطوكس، Theotokos" ضرورة لاهوتية تحتمها حقيقة التجسد الإلهي، بما أن المولود منها هو السيد المسيح "الكلمة" الإله المتأنس، بينما ترفض الكنيسة البروتستانتية ذلك وتكر عليها هذا اللقب مكتفية بكونها "والدة يسوع" الإنسان^(١).

معنى عبارة "ثيؤطوكس":

يقول الأسقف بيرسون: "إن الكنيسة اليونانية هي أول من استعمل هذه العبارة بسبب سهولة التركيب في لغتها فدعتها "والدة الإله العذراء المباركة" وقلدتها في ذلك الكنيسة اللاتينية بلغتها".

ثم يقول: "ولذلك بسبب هذه الأمور الثلاثة: الحبل الحقيقي، والتغذية، والولادة يجب أن نعترف بأن العذراء المباركة كانت حقاً أم مخلصنا، وهكذا دعيت "أم يسوع" بلغة البشيرين و"أم ربي" بلغة اليصابات، وهي تدعى "والدة الإله" بموافقة الكنيسة إجمالاً؛ لأن الذي ولد منها كان الله، وقد بدأ هذا الاسم المركب في الكنيسة اليونانية والذي أخذته عنها الكنيسة اللاتينية ففصلته إلى جزئيه فدعيت العذراء "أم الله، ووالدة الإله"^(٢). تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(١) انظر: اللاهوت المقارن، الأنبا غريغوريوس: (ص١٨٢-١٨٣)، اللاهوت المقارن البابا شنودة: (١/٨٤)، العذراء القديسة مريم: (ص١٥)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٢٤)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (١/١٢٠)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل السابع، الفروق العقيدية: (ص٣٢-٣٣)، عبادة مريم في المسيحية والظهورات المريمية، معاذ عليان، تقديم: د. عبد الله سمك، مكتبة النافذة: (ص٥٦)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٨٩)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٨٦)، أرثوذكسيي تراث وعقيدته وحياة: (ص٩٦).

(٢) مجموع الشرع الكنسي: (ص٣١١).

وقد تقرر هذه العقيدة في مجمع أفسس الأول سنة (٤٣١م) وزيد في أمانة نيقية فقرة تخصها جاء فيها "نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله"^(١).
ومما جاء فيه: "ليكن ميسلاً كل من لا يعترف أن عمانوئيل هو إله حق، وأن العذراء القديسة هي لذلك والدة الإله لأنها بحسب الجسد ولدت كلمة الله الذي صار جسداً كما كتب: "والكلمة صار جسداً"^(٢)"^(٣).

تاريخ العبارة "ثيوطوكس".

هذه العبارة قديمة في لاهوت الكنيسة فقد استعملها الأسقف الكسندروس في رسالة في مجمع التأم سنة (٣٢٠م) في الإسكندرية للحكم على دعوة آريوس، كما استخدمت عند عدد من آباء الكنيسة منهم القديس أثناسيوس الذي قال: "كما ولد الجسد من مريم والدة الإله، هكذا نقول أنه الكلمة" هو نفسه ولد من مريم"، وكذلك القديس كيرلس الأورشليمي.

وكان ثيودوريوس^(٤) أسقف (موبسويستيه) أول من اعترض على هذه العبارة بقوله: "إن مريم ولدت يسوع لا الكلمة، لأن الكلمة كان ولا يزال حاضراً في كل مكان وإن سكن منذ البداية في يسوع بطريقة خاصة، وهكذا فإن مريم هي أم يسوع نفسه وليست أم الله. . . . ؛ لأنها في الحقيقة ولدت إنساناً به ابتداء اتحاد الكلمة".

(١) انظر: الله ﷻ واحد أم ثلاثة: (ص ٢١٨).

(٢) (يو ١: ١٤).

(٣) مجموع الشرع الكنسي: (ص ٣٠٧).

(٤) ثيودوريوس أسقف موبسويستيه (٣٥٠-٤٢٨) نشأ في عائلة شغوفة بالعلم مولعة بالأدب، تتلمذ على يد الفيلسوف ليبانيوس، كان محباً ومتأثراً بيوحنا فم الذهب، بدأ حياة الرهبنة ولم يتجاوز العشرين من عمره، سيم كاهناً في طرطوس سنة: (٣٨٣م)، ثم انتقل الى مدينة موبسيوست في مقاطعة سلسي ونُصب أسقفاً لها لمدة (٣٦) سنة، كان واسع العلم عميق التفكير، جاداً صبوراً في أبحاثه وكتاباته، تعرضت مؤلفاته للحرق والإخفاء إثر الحكم عليه بالهرطقة في المجمع المسكوبي الخامس سنة (٥٥٣م)، يعتقد بعض اللاهوتيين أنه الأب الروحي الحقيقي لنسطوريوس، من مؤلفاته: تفسير العهد القديم والجديد، التجسد، لاهوت الروح القدس. انظر: تاريخ الفكر المسيحي: (١٤٦-٩٣/٣).

وقال في موضع آخر: "إنه من الجنون أن نقول أن الله ولد من مريم" (١).

المطلب الأول: البراهين التي يستند إليها المؤمنون بهذه العقيدة.

من جملة أدلتهم:

أولاً: البراهين الكتابية.

- أ- قول الیصابات للعدراء مريم: "من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلي" (٢).
- ب- قول الملك للعدراء مريم: "الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظلك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (٣).
- ج- قول الملك للرعاة: "إنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب" (٤).
- د- قول إشعياء النبي: "هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا" (٥).
- هـ- قول زكريا لابنه يوحنا المعمدان: "وأنت أيها الصبي نبي العلي تُدعى لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتُعدَّ طُرقه" (٦).
- ويعتقد الأرثوذكس والكاثوليك بأن هذه النصوص تثبت أن العذراء مريم تدعى "والدة الإله"؛ لأنها ولدت المسيح "وهو الله ظهر في الجسد" (٧) أي الإله المتأنس والمتجسد ومن يقول غير ذلك فقد أنكر لاهوت المسيح ووقع في الكفر والضلال (٨).

(١) مجموع الشرع الكنسي: (ص ٣١٠).

(٢) (لو ١: ٤٣).

(٣) (لو ١: ٣٥).

(٤) (لو ٢: ١٢).

(٥) (إش ٧: ٤، مت ١: ٢٣).

(٦) (لو ١: ٧٦).

(٧) (١ تي ٣: ١٦).

(٨) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٢٥)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (١/١١٨)، أرثوذكسي تراث

وعقيدة وحياة: (ص ٩٦).

ثانياً: شهادة الآباء.

- أ- القديس كيرلس الكبير "عمود الدين": "بقولنا إنَّ مريم والدة الإله لا يفهم منه أنَّ طبيعة الكلمة أو اللاهوت أخذ بدايته من هذه القديسة، بل إنَّ منها قد تصور الجسد المقدس بنفس ناطقة وبه أي "الجسد" اتحد الكلمة اتحاداً أقتومياً، ومن ثمَّ يقال: إنَّ الكلمة قد ولد حسب الجسد وإني لأعجب من وجود من يرتابون في تلقيب العذراء بوالدة الإله، لأنَّه إذا كان المسيح إلهاً فكيف يضمن على التي ولدته بلقب أم الله؟! "(١).
- ب- القديس أثناسيوس: "كما ولد الجسد من مريم والدة الإله، هكذا نقول أنه "الكلمة" هو نفسه ولد من مريم"(٢).
- ج- القديس يعقوب السروجي(٣): "هذا هو الابن الذي صور أمه - في بطن أمها- وقد تصور جسدياً وصار منها زين أمه بصورة أبيه حين خلقها، وفي آخر الزمان جاء فتصور فيها وصار منها بالأمس خلقها واليوم ولد منها، فإنه أقدم أو أحدث من والدته"(٤).

(١) موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٢٥)، وانظر: الصخرة الأرثوذكسية: (ص٨٨)، اللاهوت المقارن: الأنبا

غريغوريوس: (ص١٨٨).

(٢) مجموع الشرع الكنسي: (ص٣١٠).

(٣) يعقوب السروجي (٤٤٩-٥٢١): ولد في قرية كورتم وقيل في حورا على ضفة الفرات من أعمال مدينة سروج،

تلقن في مدرسة الرها اللغة السريانية والفلسفية واللاهوتية والكتابية، اشتهر بالعلم والبلاغة، رسم أسقفاً على بطنان،

ترك عدداً كبيراً من الرسائل وضمنها حثاً على التقوى، وإرشاداً، وحلاً للمسائل الكتابية، وتفسيراً للنصوص،

واعتماداً بالمتقن الأرثوذكسي، كما نظم عدداً كبيراً من القصائد تناولت موضوعات شتى، هاجم نسطوريوس

والمونوفيزيين بعنف قائلاً بطبيعتين كاملتين في المسيح يجمعهما الأقتوم الواحد، وبأمومة العذراء الإلهية غير المنقوصة.

انظر: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة: (ص٥٦٩-٥٧٥).

(٤) موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٢٥)، وانظر: أرثوذكسيي تراث وعقيدة وحياة: (ص٩٧).

ثالثاً: ما جاء في مقدمة قانون الإيمان النيقوي الذي يؤكد أن القديسة مريم والدة الإله.

"نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجد لك أيتها العذراء القديسة والدة الإله لأنك ولدت لنا مخلص العالم"^(١).

رابعاً: القياس.

"بما أن يسوع المسيح الذي ولدته العذراء القديسة مريم هو الله ظهر في الجسد فواجب بحق وعدل أن تدعى العذراء أم الله، لأنه إن كان سيدنا يسوع المسيح إلهاً فكيف لا تكون التي ولدته أمّاً لله، فهذه النتيجة لا يمكن لأحد إنكارها؛ لأن مريم هي أم يسوع ويسوع هو الله فمريم هي أم الله، وحيث أن المقدمة صادقة فالنتيجة صادقة، فإذا لم تكن القديسة مريم أمّاً لله، لا يكون الابن المولود منها إلهاً، وهذا كفر شنيع"^(٢).

المطلب الثاني: الاعتراضات على هذه العقيدة.

أورد الرافضون لهذه العقيدة جملة من الاعتراضات منها:

(١) لا يحق تلقب العذراء مريم بوالدة الإله؛ لأن الكتاب المقدس لم يطلق عليها هذا اللقب^(٣).

(٢) إن تلقيها بوالدة الإله يعارض ما جاء في الكتاب المقدس: "المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح"^(٤)، فالسيدة العذراء جسد والذي يولد منها لا بد أن يكون جسداً فقط^(٥).

(١) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٣٩٠)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٢٥-٤٢٦)، اللاهوت المقارن الأنبا غريغوريوس: (ص ١٨٢)، أرثوذكسي تراث وعقيدة وحيات: (ص ٩٨).

(٢) الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٨٧). وهذا القياس الذي استدلوا به قياس فاسد في مقدمته ونتيجته، والصواب أن يقال: بما أن العذراء -والدة المسيح ﷺ- بشرٌ فالمولود منها بشر بلا بد، وليس إلهاً -كما يزعمون-.

(٣) العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل السابع.

(٤) (يو ٣: ٦).

(٥) عبادة مريم في المسيحية: (ص ٥٦).

(٣) يقول القس صموئيل بندكت: "تعلم الكنيسة الكاثوليكية أن مريم هي أم الله وبذلك تجعلها أم الطبيعة الإلهية للمسيح، لم تكن مريم أم لاهوت المسيح، ولكنها كانت أم الطبيعة البشرية فقط، وعندما نقول: إن مريم هي أم الله نعتبرها موجودة قبل الله، ونجعل الله بداية، مع العلم أنّها مخلوقة بشرية خلقها الله كباقي الناس، صحيح أن اليصابات قالت لها: "أم ربي" ولكن ذلك لا يعني أنّها أم يهوه "أم الله"، إذ في اللغة اليونانية -لغة الإنجيل الأصلية- كلمة "رب" تشير إلى يسوع كمولود في العالم وليس إلى يهوه، والقصد الحقيقي من تسمية مريم "أم الله" هو رفعها وتمجيدها بينما هي مخلوقة بشرية والكتاب المقدس لم يطلق عليها هذا اللقب"^(١).

(٤) إن تلقيب العذراء بوالدة الإله من العقائد الوثنية التي تسربت إلى المسيحية في قرونها الأولى، حيث كان قدماء المصريين يلقبون والدة ايزيس "بوالدة الإله" و"ملكة السماء"، وفي مجموعة الآلهة البابلية كانت عشتار الآلهة الرئيسة وقد خاطبها عبادها بصفتها "العذراء، والأم العذراء، وآلهة الإلاهات".

جاء في القاموس الأممي للاهوت العهد الجديد: إن الأفكار الكاثوليكية عن "أم الله وملكة السماء" رغم أنّها أحدث من العهد الجديد، تشير إلى جذور دينية تاريخية أبكر بكثير في الشرق. . . . ، وفي التبجيل الأحدث لمريم هنالك آثار كثيرة للعبادة الوثنية للأم الإلهية.

إن الألقاب عينها المعطاة لمريم تذكرنا بأسماء الآلهة الوثنية، فعشتار كانت تنادى بصفتها "العذراء المقدسة، الأم الرحيمة التي تُصغي للصلاة، سيدي"، وإيزيس وعستارت كانتا تدعيان "ملكة السماء"، وسيبيل كانت تسمى "أم كل المطوبين"، جميع هذه الألقاب مع اختلاف بسيط تنطبق على مريم^(٢).

(١) العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل السابع.

(٢) انظر: برج المراقبة تعلن ملكوت يهوه، الأم الإله لا تزال تعبد، العدد ١٣ (١) تموز "يوليو" ١٩٩١م: (٣-٧).

المبحث الرابع: مريم عليها السلام في الإسلام.

المتأمل في نصوص الكتاب والسنة يعلم علم اليقين عظمة الدين الإسلامي واعتداله، وصحة ما جاء به من معتقدات تناسب الفطرة السوية والعقل السليم.

وما جاء عن العذراء مريم عليها السلام من فضائل في الإسلام لم يرد في دين النصراني نفسه، فقد تناول الإسلام كل شيء متعلق بما ابتداء من الحمل بما حين كانت جنيناً في رحم أمها مروراً بولادتها ونشأتها نشأة إيمانية قائمة على التبتل والعبادة، فأجرى الله ﷻ لها العديد من الكرامات كان أبرزها حملها وولادتها للمسيح ﷺ^(١)، هذا وقد زكاهها الله ﷻ في كتابه تزكية عظيمة وخلد ذكرها بسورة تحمل اسمها، وذكر النبي ﷺ عظيم فضلها ورفع منزلتها، حيث كانت من النساء العابדות القانتات الكاملات، جاء عن النبي ﷺ قوله: «كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا: آسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(٢).

فمريم عليها السلام:

(١) الصّدِّيقَة، بلغت الغاية في التصديق بكلمات ربها وكتبه والثقة بموعوده.

قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ

صِدِّيقَةٌ ﴿٧٥﴾ [سورة المائدة ٧٥].

(١) انظر: سيرة نبي الله عيسى بن مريم ﷺ وبيان فساد دين النصراني، د. محمد سعد عبد الدايم: (ص ٦-٧)، تكريم القرآن الكريم لمريم عليها السلام، محاضرة للشيخ أحمد ديدات.

<https://www.youtube.com/watch?v=MxOGvHEv04Y>

(٢) أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا":

(٣/١٢٥٢/ح ٣٢٣٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها:

(٤/١٨٨٦/ح ٢٤٣١).

والصديق في اللغة: المبالغ في الصدق، الدائم التصديق، وهو الذي يصدق قوله بالعمل، وفي التزويل ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ أي مبالغة في الصدق والتصديق^(١).
والصديقية: منزلة عالية، وأهلها هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء، وقيل: هي العلم النافع المثمر لليقين والعمل الصالح، وفيه دليل على أن مريم عليها السلام لم تكن نبية بل أعلى أحوالها الصديقية^(٢).

قال البغوي: "سميت صديقة لأنها صدقت بآيات الله^(٣)، قال تعالى في وصفها:

﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ﴾ [سورة التحريم ١٢].

وقوله: ﴿كَانَا يَا كُنَانِ الطَّعَامِ﴾ دليل ظاهر أنهما عبدان فقيران محتاجان إلى التغذية به، وإلى خروجه منهما كسائر البشر، وليسا بإلهين كما زعمت فرق النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة^(٤).

(٢) المصطفاة الطاهرة، العفيفة، البريئة من كل ريبة أثرت حولها.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران ٤٢]، يبين الباري تبارك وتعالى في كتابه الكريم فضيلة مريم عليها السلام وعلو قدرها وشرفها وطهارتها وأن الملائكة قد خاطبتها فقالت: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ أي اختارك، وطهرك من جميع الآفات المنقصة، فالاصطفاء الأول: يرجع إلى الصفات الحميدة والأفعال السديدة والعبادة، والاصطفاء الثاني: يرجع إلى تفضيلها على سائر نساء العالمين بولادتها للمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٥).

(١) لسان العرب: (١٩٣/١٠).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: (٢٣٩/١).

(٣) معالم التزويل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر، دار طيبة، الطبعة الرابعة: (٨٣/٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم: (١٤٣/٣)، وانظر: تيسير الكريم الرحمن: (٢٣٩/١)، معالم التزويل: (٨٣/٣).

(٥) انظر: تفسير النكت والعيون، علي بن محمد البغدادي الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: (٣٩١/١)، تفسير القرآن العظيم: (٣٣/٢)، تيسير الكريم الرحمن: (١٣٠/١).

وقد دافع الله ﷺ عنها وبين براءتها مما رماها به اليهود من الوقوع في الفاحشة - حاشاها من ذلك - في مواضع كثيرة من كتابه فأثبت عفتها بكلام المسيح ﷺ في المهّد، ليكون ذلك آية على طهر أمه، وطرّداً للظنون والشكوك التي أثّرت حولها عندما جاءت قومها وهي تحمله، ولم تكن ذات زوج، قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَمْرِيءُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيئًا ﴿٢٧﴾ يَتَّخِذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة مريم ٢٧-٣٣].

وقد أوضح الله براءتها مع بيان سبب حملها للمسيح ﷺ من غير زوج وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [سورة مريم ١٦-٢١].

ومن الآيات التي بين الله فيها براءتها قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة الأنبياء ٩١].

وقوله في سورة التحريم: ﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فننفخنا فيه من رُوحنا وصدقت بكلمت ربها وكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَنِينِ ﴿١٢﴾﴾ [سورة التحريم ١٢]، وقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران ٥٩].

والمثير للدهشة أن النصارى يقرون بولادة المسيح ﷺ المعجزة، إلا أنهم ينكرون كلامه في المهّد.

يقول الجاحظ: "كذلك كان ما ذكره القرآن من كلام عيسى في المهّد مثاراً لاعتراض النصارى، وملخص كلامهم أنهم رغم تمجيدهم له ﷺ، لا يعرفون له تلك المعجزة، وكذلك

لا يعرفها اليهود ولا المجوس ولا الصابئة ولا الهنود ولا الترك ولا الخزر ولم تسجل في الإنجيل، ورغم أن الكلام في المهدي أعجب من كل عجب، إذ هو أمر ينفرد به عيسى عليه السلام دون سائر الأنبياء والمرسلين فضلاً عن أن الخداع فيه غير ممكن". ثم يمضي في رده عليهم قائلاً: "إن النصراني إنما قبلوا دينهم عن يوحنا ومتى (من الحواريين في زعمهم) ومارقس ولوقا (من التابعين) وهؤلاء الأربعة لا يؤمن عليهم الغلط ولا النسيان، ولا تعمد الكذب ولا التواطؤ على اقتسام الرئاسة، وإن اختلاف أناجيلهم وتناقضها مع بعضها البعض لدليل على ذلك" (١).

(٣) العذراء البتول، القانتة العابدة.

وهذه من فضائلها عليها السلام، جاء عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ونحن نحو ثمانين رجلاً فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن عرفطة وعثمان بن مظعون وأبو موسى فأتوا النجاشي، وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية، فلما دخلا على النجاشي سجداً له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالوا: إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا، قال: فأين هم؟ قال: هم في أرضك، فابعث إليهم، فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه، فسلم ولم يسجد، فقالوا له: مالك لا تسجد للملك، قال: إنا لا نسجد إلا لله وَعَجَّلْ، قال: وما ذاك، قال: إن الله وَعَجَّلْ بعث إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم وأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله وَعَجَّلْ، وأمرنا بالصلاة والزكاة، قال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم قال: ما تقولون في عيسى بن مريم وأمه؟ قالوا: نقول كما قال الله وَعَجَّلْ، هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسهها بشر ولم يفرضها ولد (٢).

(١) مع الجاحظ في رسالة الرد على النصراني، د. إبراهيم عوض، مكتبة زهراء الشرق، ١٤١٩هـ: (ص١١٦-١١٧).

(٢) في رواية النهاية لابن الأثير: ولم يفرضها ولد: أي لم يؤثر فيها، ولم يجزها، ورواية ابن الجوزي: أي لم يقرعها ذكر. السيرة النبوية "من البداية والنهاية لابن كثير" تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. لبنان. (١٠/٢)، ولم يفرضها ولد: أي لم يؤثر فيها. عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، محمد بن محمد الربيعي، تعليق: إبراهيم رمضان، دار القلم، بيروت: ١٩٣٣هـ: (٣٨/١).

قال: فرفع عوداً من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يسوي هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، فإنه الذي نبجده في الإنجيل، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه، وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما.

ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرأ، وزعم أن النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته^(١).

وقد قال تعالى ممتدحاً إياها بالقنوت ولزوم الطاعة: ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ

فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الظَّاهِرُ﴾ [سورة التحريم ١٢].

والقنوت: الطاعة، وقيل: طول القيام، قال قتادة: القانتين: المطيعين لربهم، وقال عطاء: من المصلين كانت تصلي بين المغرب والعشاء، ويجوز أن يريد بالقانتين رهطها وعشيرتها التي كانت منهم حيث كانوا مطيعين لله من أهل بيت صلاح وطاعة^(٢).

وقال تعالى: ﴿يَمْرِيْمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاَسْجُدِي وَاَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِيْنَ﴾ [سورة آل عمران ٤٣] "قالت

لها الملائكة شفاهاً: أطيعي ربك.

قال مجاهد: أطيلي القيام في الصلاة لربك، وقال الأوزاعي: لما قالت لها الملائكة ذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدمها، وقال: مع الراكعين، ولم يقل: مع الراكعات، ليكون أعم وأشمل، فإنه يدخل فيه الرجال والنساء، وقيل: مع المصلين الجماعة^(٣).

وجاء عن النبي ﷺ قوله: «كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسيا امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(٤).

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (١/٤٦١ ح ٤٤٠). قال الألباني: "وهذا إسناد جيد قوي وسياق حسن"، صحيح

السيرة النبوية، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى: (ص ١٦٦).

(٢) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، تقديم: عبد الحفي

الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: (٤/٣٢٤).

(٣) معالم التنزيل: (٢/٣٧).

(٤) سبق تخريجه: (ص ٢٨٧).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة، وفاطمة سيدة نسائهم إلا ما كان لمريم بنت عمران»^(١).

(٤) لا تتصف بشيء من صفات الألوهية.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ، فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾

[سورة المائدة ١١٦-١١٧].

"في الآية إظهار لبراءة المسيح عليه السلام ووالدته مما نسب إليه من الدعوة إلى عبادتهما، وفيه توبيخ للنصارى الذين يزعمون اتباعهم للمسيح عليه السلام، فتمردوا، وطعنوا في الله جل جلاله، ووصفوه بما لا يليق من اتخاذ الزوجة والولد.

فجاء رد المسيح عليه السلام إقراراً منه بالعبودية لله وعلى، وتبليغه للرسالة التي كلف بها، وهي الدعوة إلى التوحيد تكديماً لقومه في افتراءهم عليه، وتشبيهاً لحجته على قومه على رؤوس الأشهاد، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدًّا رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [سورة الجن ٣]^(٢).

وفرق النصارى اليوم - كما تدعي الكنيسة - لا تعترف بألوهية العذراء، إلا أن تقديسهم لها الذي قرر في مجمع أفسس سنة (٤٣١م) والذي وضع في مقدمة قانون الإيمان: "نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها لعذراء المقدسة والدة الإله"، ويؤكد ما جاء من أوامر الكنيسة لأتباعها بالتوجه والدعاء إلى مريم يكذب دعواهم تلك^(٣).

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (٣/٦٤/ح ١١٦٣٦)، قال الألباني: حسن صحيح، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف: (٤٢٣/٢).

(٢) محاسن التأويل: (٤/٢٩٩)، وانظر: تيسير الكريم الرحمن: (١/٢٤٩).

(٣) انظر: تحجيل من حرف التوراة والإنجيل: (٢/٦٠٦).

قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [سورة المائدة ٧٥] "فأبطل دعوى ألوهيتهما بصفة الأكل، لأن الإله الحق منزّه عن الأكل والشرب وآلاته وأسبابه" (١)، وبين حقيقتهم المساوية "لحقيقة غيرهما من أفراد نوعهما وجنسهما بدليل أنهما كانا يأكلان الطعام، وكل من يأكل الطعام مفتقر إلى ما يقيم بنيته ويمد حياته، إلى جانب أن أكل الطعام يستلزم الحاجة إلى دفع الفضلات، وعليه فلا يمكن أن يكون رباً خالقاً، ولا ينبغي أن يكون إلهاً معبوداً" (٢).

قال ابن تيمية رحمه الله: "فهذا كلام في نفي الألوهية عن المسيح وغيره وتكفير من قال إنه الله، أو إن الله ثالث ثلاثة، ومن اتخذه وأمه إلهين من دون الله، فبين غايته وغاية أمه فقال: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ ثم قال: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ وهو يقتضي أن أكل الطعام منافع للألوهية، فمن يأكل الطعام لا يصلح أن يكون إلهاً، فعلم أن أكل الطعام يستلزم نفي الإلهية، وقد ذكروا في ذلك وجهين:

(١) أشهرهما أن من يأكل ويشرب ويعيش بالغذاء، ومن يقيمه أكل وشرب كان مفتقراً إلى غيره فلا يصلح أن يكون إلهاً، وهذا هو الذي ذكره أكثر المفسرين.

(٢) وقالت طائفة منهم ابن قتيبة: إنه نه على عاقبته وهو الحدث، إذ لا بد لأكل

الطعام من الحدث، قال: وقوله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ بُنِيَتْ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ من أطف ما يكون من الكناية، وهذا الوجه صحيح في حق المسيح وأمثاله من البشر في الدنيا، فإن أكلهم الطعام يستلزم الحدث، وخروج الحدث من أبين الأشياء دلالة على انتفاء إلهية من يبول ويغوط، وذلك أعظم من كونه يلد، والدليل يجب طرده ولا يجب عكسه، فلا يلزم أن يكون كل من يتغوط أو من لا يأكل ويشرب إلهاً، كما أنه لو استدل على انتفاء الإلهية بأنه لا

(١) حقيقة المثل الأعلى وآثاره: (ص ٢٥).

(٢) سد الذرائع في مسائل العقيدة على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة: (١٤ ص ١٢)، وانظر: الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة: (٤٨٢/٣).

يتكلم ولا يسمع ولا يبصر، كان دليلاً صحيحاً، ولم يلزم أن يكون كل من يتكلم ويسمع ويبصر إلهاً، بل انتفاء صفات الكمال يناقض الألوهية وإن كان ثبوت جنسها لا يستلزم إلهية، كما أنه إذا قيل: إن الإله يجب أن يكون موجوداً قائماً بنفسه حياً عليمًا قديرًا، فانتفاء هذه الأمور يستلزم انتفاء الإلهية، ولا يستلزم أن يكون كل موجود عليم قدير إلهاً.

وأما إن أريد بهذا الوجه الذي ذكره ابن قتيبة وغيره من لزوم الحدث طرد الدليل فيحتاجون أن يفسروا الحدث بجنس الخارج من الأكل والشارب، فإن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة لهم «رشح كرشح المسك»^(١)، وهذا من جنس العرق الذي يخرج من المسام، وهو أيضاً ينافي الصمدية، فإن الصمد الذي لا يدخل فيه شيء ولا يخرج منه شيء، فخروج الخارج ولو كان كرشح المسك ينافي الصمدية التي هي من لوازم الباري، فيكون لزوم الحدث للأكل دالاً على نفي إلهيته من هذه الجهة أيضاً، والصمدية هي المنافية للأكل والشرب وسائر ما يدخل ويخرج^(٢).

وهكذا فإن لعيسى عليه السلام ووالدته الصديقة منزلة عظيمة في قلوب المسلمين حيث يذكرونها دائماً بأجمل الصفات وأزكى العبارات، وفق العدل والإنصاف الموافق للأخبار الإلهية الصحيحة، دون أن يخرجهم ذلك إلى أي لون من ألوان الغلو كما فعل النصارى، أو النيل منهما باتهامهما بما يندى له الجبين كما فعل اليهود.

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا: (٢١٨٠/٤-٢٨٣٤).

(٢) جامع المسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر أبو زيد - دار عالم الفوائد - الطبعة الأولى: (ص ١١٦ - ١١٧).

الفصل التاسع

التناقض حول الأسرار الكنسية

وفيه تمهيد وسبعة مباحث:

المبحث الأول: المعمودية.

المبحث الثاني: التثبيت أو المسحة بالميرون المقدس.

المبحث الثالث: التوبة "الاعتراف".

المبحث الرابع: العشاء الرباني "الإفخارستيا".

المبحث الخامس: مسحة المرضى.

المبحث السادس: الزواج.

المبحث السابع: الكهنوت أو الرسامة.

مكتبة معهد الدراسات الإسلامية في القاهرة

الفصل التاسع

التناقض حول الأسرار الكنسية

تمهيد:

للنصرانية طقوس وشعائر مقدسة يجب القيام بها ولا يصح التخلي عنها، حيث إنها تشكل جوهرًا محوريًا في دينهم، يقولون عنها: "أسرار إلهية مقدسة، يجب الالتزام بها"^(١)، وحيث إن الشعائر لا تسمو إلى مرتبة العقائد فإنه يكفي هنا بالإشارة إلى مواطن الخلاف بين طوائف النصراني حول هذه الأسرار^(٢) -دون التعرض لنقدها أو لبيان موقف الإسلام منها^(٣)- حيث اختلفوا حول "تعريفها وأهميتها وفعاليتها وعددها وممارستها"^(٤) على النحو التالي:

أولاً: تعريف السر الكنسي:

كلمة "سر" بالحبشية مستير وتعني خطة مخفية، أو تدبير مخفي^(٥). وكلمة "سر" عند النصراني لها عدة معانٍ منها: أن السر يراد به "كل شيء مقدس، وغير منظور"^(٦)، ويستدلون بالنصوص التالية: "لتعرفوا أسرار ملكوت السماوات"^(٧) "ولهم سر

(١) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص ٥٩٣)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٧٤)، حقائق

وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص ٢٤٩).

(٢) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص ٥٩٣).

(٣) مما ينبغي الإشارة إليه أن موضوع الأسرار الكنسية قد تم التطرق إليه في العديد من الأبحاث والرسائل الجامعية في داخل المملكة وخارجها، ومن الرسائل المفيدة التي عرضت الأسرار بشكل مفصل، مع بيان نقدها وموقف الإسلام منها رسالة بعنوان: الكنيسة أسرارها وطقوسها، أ. د: عادل درويش، جامعة الأزهر؛ البروتستانتية وأثرها على العالم الإسلامي، أ. د: مريم الحربي؛ الأسرار الكنسية (عرض ونقد) أ. سمية الشهري، جامعة أم القرى، فليرجع إليها.

(٤) الفروق العقيدية: (ص ٢٠-٢٣). وانظر: البروتستانتية وأثرها على العالم الإسلامي، أ. د: مريم الحربي: الفصل

الخامس، المبحث الثاني.

(٥) معجم المصطلحات الطقسية والكنسية: نسخة إلكترونية.

(٦) أسرار الكنيسة: (ص ٥).

(٧) (مت ١٣: ١١).

الإيمان" (١)، "سر الرب لخائفه" (٢)، وتأتي كلمة سر أيضاً "بمعنى رمز أو إشارة أو علامة" (٣)، وتأتي بمعنى "ما خفي على الإنسان، وسر الأشياء: حقيقتها العميقة التي تخفى على الأنظار" (٤).

والسر الكنسي عند:

(١) الأرثوذكس: "نعمة أو عطية إلهية غير منظورة، تمنح للمتقدم إليه بعمل الروح القدس وذلك بواسطة صلوات وممارسات طقسية تتم على يد كاهن شرعي" (٥).

ويعرفه الأب متى المسكين بقوله: "كلمة سر في المفهوم اللاهوتي: جمعها أسرار أو سرائر، تفيد حقيقة أو حقائق إلهية ثابتة ومستقرة كانت مخفية ومكتومة منذ الدهور، لأنها كانت فائقة على قدرة الإنسان العقلية أو أعلى من مستواه الروحي أو أكثر من حاجته، ثم أعلنها الله بروحه لأنبيائه ورسله وقديسيه، ثم للكنيسة، وذلك إما بوحى إلهي أو إلهام في رؤيا أو بسمع الأذن أو بانفتاح الذهن أو بتلقي الروح أو كأمر ووصية صريحة واضحة بتسليم محسوس، كما صنع المسيح مع تلاميذه في العشاء الرباني" (٦).

(٢) الكاثوليك: "علامات حسية تحقق النعمة، وضعها المسيح ووكلمها إلى الكنيسة وبها تعطى للمسيحيين الحياة الإلهية" (٧).

يقول اللاهوتي المعاصر إدوارد سنخليكس: "السر عطية خلاصية يمنحنا إياها الله بشكل خارجي يمكن إدراكه وتيقنه، وبه تصير تلك العطية واقعا، وحقيقة السر: هو عطية خلاص تأتي إلينا بشكل منظور في قلب التاريخ" (٨).

(١) (١ تي ٣: ٩).

(٢) (مز ٢٥: ١٤).

(٣) أسرار الكنيسة: (ص ٥).

(٤) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، المطران: كيرلس سليم، كنيسة الأقباط الكاثوليك: (٢/٣).

(٥) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٣١٥)، وانظر: الفروق العقيدية: (ص ٢٠)، موسوعة علم اللاهوت: (٢٠٥/٢).

(٦) الإفخارستيا عشاء الرب، بحث في الأصول الأولى لليتورجيا، ومدخل لشرح القداش وتطوره من القرون الأولى حتى عصرنا الحاضر، الأب متى المسكين، مطبعة دير القديس أنبار مقار، وادي النطرون، الطبعة الثانية: (ص ٣٧).

(٧) مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٧٥).

(٨) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٤/٣).

(٣) البروتستانت: "السر: هو فريضة مقدسة مرسومة من المسيح، فيها تدل علامات حسية على المسيح وفوائد العهد الجديد، وبواسطتها يُعطى مدلولها للمؤمنين ويختتم" (١).

ويتبين من هذه التعريفات أن السر عند النصارى يشتمل على وجهين:

- (١) وجه منظور: حيث تتكون الأسرار المقدسة من عنصر ظاهر مثل الماء أو الخبز أو الخمر.
- (٢) وجه غير منظور: وهو الفاعلية والفائدة المرجوة التي تعطى للمؤمن من ممارسة هذا السر (٢).

يقول الأب متى المسكين: "وهكذا يعتبر السر الكنسي عملاً مقدساً يتم بالصلاة واستخدام وسائل حسية منظورة، تنال من خلالها النفس البشرية نعمة الله ومواهبه غير المنظورة" (٣).

ثانياً: أهمية وفاعلية الأسرار.

وقد اختلف النصارى حول أهمية الأسرار وفعاليتها على النحو التالي:

فالأرثوذكس والكاثوليك: يعتقدون "أنها لازمة للخلاص ولنوال مواهب الروح القدس" (٤)، "وأنها تمنح فاعليها النعمة بذاتيتها وقوتها" (٥)، و"لا تتوقف على شخص الخادم واستعداده" (٦).
يقول حبيب جرجس: "وهذه الأسرار تمنح النعمة من ذاتها وبقوتها التي وضعها الله فيها، قلنا من ذاتها وبقوتها؛ لأن صدور النعمة معلق على مباشرة طقس السر الخارجي، أي على تطبيق مادة السر وصورته لا على إيمان خادم السر، وقلنا بالقوة التي وضعها الله فيها لأن الأسرار هي هبات للمؤمنين تحمل النعم والبركات، أما العلة الأصلية فهي الرب يسوع

(١) شرح أصول الإيمان: (ص ٤٦٩).

(٢) انظر: تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص ٥٩٥)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص ٢٤٩).

(٣) الإفخارستيا: (ص ٣٨).

(٤) الفروق العقيدية: (ص ٢٠).

(٥) تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص ٥٩٥).

(٦) الفروق العقيدية: (ص ٢٢)، وانظر: موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٠٦).

المسيح مانحها ومؤسسها الذي يؤتي السر قوته وفاعليته على منح هذه النعمة، فكما أن الآلة تبرز المعلول رأساً بالقوة التي تتصل إليها من العلة الأصلية، هكذا الأسرار فإنها تصدر النعمة رأساً بذاتها وبقوتها التي وضعها الله فيها، وعلى ذلك لا يكون مفعول الأسرار إنماء الإيمان فقط، أو أنها ختوم على المواعيد الإلهية، ولكنها تمنح النعمة، فبها يتطهر الإنسان ويولد ثانية ويتجدد وتغفر خطاياها، وبها يقبل الروح القدس، وبها يتحد مع المسيح ويثبت فيه ويحيا للأبد"^(١)، جاء في التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: "الأسرار فاعلة تلقائياً أي بمجرد القيام بها فالمسيح هو الذي يعمل فيها وينيل النعمة التي تعنيها بمعزل عن القداسة الشخصية للقيام بها"^(٢).

أما البروتستانت: فيرون أنها "لا أهمية لها ويمكن الخلاص بدونها، ومن طوائفها من يمارس بعضها كالأسقفيين والمشيخيين"^(٣)، وفاعليتها عندهم لا بذاتها ولا بخادمتها، بل بمجرد بركة المسيح وفعل روحه القدس في الذين يقبلونها بالإيمان^(٤).

جاء في شرح أصول الإيمان:

"س: ما دامت الفرائض المقدسة غير قادرة على أن تخلص بقوة في ذاتها فما الفائدة من استعمالها؟

ج: إن فائدتها تقوم بكونها من جملة الوسائط التي باستعمالها يخلصنا الله بالإيمان.

س: ما المراد بقوله: "إن الأسرار تصير وسائط فعالة للخلاص ليس بقوة في خادمها؟"

ج: يراد به أن الفرائض المقدسة ولو قام بخدمتها وممارستها الرسل ذواتهم أو أحسن كاهن في العالم فإنها على الرغم من ذلك لا تخلص الذين يقبلونها، ولا يمكن أن يستفيدوا شيئاً للخلاص من مجرد كون خادمها مرتسماً رسامة قانونية رسولية"^(٥).

(١) أسرار الكنيسة: (ص ١٢-١٣).

(٢) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٧٦).

(٣) الفروق العقيدية: (ص ٢١-٢٣)، وانظر: اللاهوت النظامي: (ص ٥٢٨)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص ٢٥٠).

(٤) اللاهوت النظامي: (ص ٥٣٠)، وانظر: الفروق العقيدية: (ص ٢٣)، شرح أصول الإيمان: (ص ٤٦٤).

(٥) شرح أصول الإيمان: (ص ٤٦٦)، وانظر: حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص ٢٥٠).

ثالثاً: شروط إتمام السر.

عند الأرثوذكس والكاثوليك لإتمام كل سر من الأسرار الثلاثة شروط:

١. "مادة ملائمة للسر، كالماء للمعمودية، والخبز لسر الشركة، والزيت للمسحة وهكذا.

٢. كاهن مشرطن^(١) قانونياً بوضع اليد.

٣. استدعاء الروح القدس من الكاهن بالعبارات المعينة لتقديس السر لحللول الروح القدس"^(٢).

أما البروتستانت: فهم وإن كانوا يرون الشرط الأول والثالث؛ إلا أنهم لا يرون الشرط

الثاني^(٣).

كما جاء عن لوثر: "إن تتميم السر لا يقتضي كاهناً أو أسقفاً مشرطناً شرطونية

قانونية، لأن كل مسيحي له الكفاءة والأهلية أن يتمم الأسرار سواء كان إكليروسياً^(٤) أو

علمانياً رجلاً أو امرأة ولا فرق في ذلك"^(٥).

رابعاً: عدد الأسرار

ذهب الأرثوذكس والكاثوليك إلى أن عدد الأسرار سبعة^(٦) وهي:

١. سر المعمودية.

٢. سر المسحة المقدسة أو الميرون.

٣. سر الشكر أو الإفخارستيا، العشاء الرباني.

٤. سر التوبة أو الاعتراف.

(١) كلمة شرطونية: كلمة يونانية بمعنى وضع اليد، وتقابلها في السريانية "سيامة"، وفي العربية "رسامة"، أي إعطاء

ختم الروح القدس للشخص المكرس، أو قانونية العمل الكهنوتي أو قانونية الرسامة، معجم المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية.

(٢) أسرار الكنيسة: (ص ١٤)، انظر: الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (١/٣٤٩-٣٥٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٠٦).

(٣) انظر: الفروق العقيدية: (ص ٢٣).

(٤) رجال الإكليروس: هم الأساقفة والكهنة والشمامسة، قاموس المصطلحات القبطية: (ص ٩).

(٥) الأنوار في الأسرار: (ص ١١).

(٦) أول من حدد عدد الأسرار بالرقم (٧) هي الكنيسة الكاثوليكية بواسطة أسقف باريس "بطرس مبارد" مع غيره،

وقد قبلها توما الأكويني وقتنها بعد ذلك مجمع فلورنسا (١٤٣٩م)، وقد أخذت الكنيسة البيزنطية هذا التقليد عن

الكنيسة الكاثوليكية، ثم دخل هذا التقليد إلى الكنيسة القبطية. انظر: الإفخارستيا عشاء الرب: (ص ٣٧).

٥. سر مسحة المرضى.

٦. سر الكهنوت.

٧. سر الزيجة^(١).

أما البروتستانت فإنهم يؤكّدون على أنه لا يمكن أن يدعى سراً إلا ما أنشأه المسيح بشكل صريح^(٢)، واستناداً إلى هذا المبدأ فإنهم لا يعترفون إلا بسرّين فقط هما:

(١) المعمودية.

(٢) العشاء الرباني^(٣).

ويرون أنه عند مجيء المسيح ثانية تنتهي أسرار الكنيسة، فتلغى المعمودية، ويلغى العشاء الرباني^(٤)، ويستدلون على إلغاء المعمودية بقول المسيح لتلاميذه: "دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر"^(٥).

ويستدلون على إلغاء العشاء الرباني وعدم ممارسته بعد المجيء الثاني بقول بولس: "فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء"^(٦).

(١) انظر: أسرار الكنيسة: (ص١٨)، الفروق العقيدية: (ص٢٢)، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٨/٣)، الأنوار في الأسرار: (ص٦)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية (ص٧٥)، كتر النفائس: (ص١٧٤)، المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص٨٩).

(٢) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (١٠/٣).

(٣) انظر: الفروق العقيدية: (ص٢٣)، اللاهوت النظامي: (ص٥١١)، شرح أصول الإيمان: (ص٤٧٤)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٢٤٩)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي: (ص١٤٧)، كتر النفائس: (ص١٧٥).

(٤) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٥١١)، المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص٨٩).

(٥) (مت ٢٨: ١٨-٢٠).

(٦) (١ كو ١١: ٢٦)

المبحث الأول: المعمودية.

يعتبر التعميد أول الأسرار عند النصارى وأهمها، وهو باب الأسرار الأخرى، فيه يحصل المعمد على نعمة الميلاد الجديد، وهو شرط أساسي يدخل منه المؤمن إلى الكنيسة وملكوت النعمة والمجد، ولهذا يمنح هذا السر قبل أي سر آخر، ومن لا يقبله فلا حق له في الاشتراك في بقية الأسرار (١) طبقاً لقول المسيح: "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (٢).

وكلمة (عمد- معمودية) وسائر مشتقاتها لا تذكر في العهد القديم، وترد كثيراً في العهد الجديد نقلاً عن الكلمة اليونانية "بابتزو" (Paptizo) ومشتقاتها وهي تعني:

(١) يغمر أو يغمس أو يغطس.

(٢) يصبغ بالغمر.

(٣) يصبغ بدون تحديد الطريقة.

(٤) يطفى.

(٥) يبيلل أو يرطب أو يغسل أو يغطي بالماء.

(٦) ينقع (٣).

ومادة المعمودية: هي الماء القراح فقط غير الممزوج بشيء من السوائل الأخرى (٤) كما اعتمد يسوع: "فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه" (٥).

(١) انظر: الفروق العقيدية: (ص ٢٥)، أسرار الكنيسة: (ص ٢١)، موسوعة علم اللاهوت: (٢٠٨/٢)، عقائدنا

الأرثوذكسية: (ص ٣١٦)، سلسلة تبسيط الإيمان، سر المعمودية: الأنبا بيشوي، مطران دمياط وكفر الشيخ:

(٤/١٢-١)، الأنوار في الأسرار: (ص ١٣).

(٢) (يو ٣: ٥).

(٣) دائرة المعارف الكتابية: (٣١٣/٥).

(٤) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٢٠٨/٢)، شرح أصول الإيمان: (ص ٤٨٣)، مختصر التعليم المسيحي: (ص ٨٣)،

اللاهوت النظامي: (ص ٥١٢)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٣١٦)، أسرار الكنيسة: (ص ٣٢)، الآلئ

النفيسة: (٥١/٢).

(٥) (مت ٣: ١٦).

جاء في شأن سر المعمودية: "إذا قال أحد إن الماء الحقيقي والطبيعي ليس ضرورياً للمعمودية فحمل على المعنى المجازي كلام المسيح "ما لم يولد من الماء والروح" (١) "فليكن محروماً" (٢).

وجميع الكنائس تعتقد بضرورة التعميد للكبار والأطفال (٣)، مما جاء من قوانين في شأن سر المعمودية عن مسألة تعميد الأطفال: "إذا قال أحد إن الأطفال لا يجوز أن يُعدوا من المؤمنين بعد نيلهم المعمودية لكونهم لم يفعلوا فعل إيمان ولهذا يجب إعادة معموديتهم عندما يبلغون سن التمييز، أو من الأفضل إرجاء معموديتهم وذلك خير من تعييدهم في إيمان الكنيسة وحده، هم الذين لا يؤمنون بفعل إيمان شخصي فليكن محروماً" (٤).

إلا أن بعض الكنائس البروتستانتية علموا بعدم لزوم المعمودية للأطفال، إصراراً على لزوم الإيمان قبل المعمودية، واعتماداً على قول المسيح: "من آمن واعتمد خلص" (٥) وأيضاً اعتماداً على أن الطفل لا يدرك ماذا يحدث له في المعمودية (٦).

أما طريقة التعميد فتختلف من كنيسة لأخرى:

الكنيسة الأرثوذكسية: ترى أن التعميد يتم وجوباً بالتغطيس في الماء ثلاث مرات على اسم الأقانيم الثلاثة: الآب والابن والروح القدس، إشارة إلى موت المسيح ودفنه وقيامه (٧).

(١) (يو ٣: ٥).

(٢) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٤٠٩/١).

(٣) انظر: الآلئ النفيسة: (ص ٣٥)، كتر النفائس: (ص ٧٥)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي: (ص ١٥٠)، أسرار الكنيسة: (ص ٢٧)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٣١٩-٣٢٠)، اللاهوت النظامي: (ص ٥١٣)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٨٤) المجموع الصفوي، أبي الفضائل ابن العسال: شرح جرجس فيلوثاوس عوض: (١٤/١).

(٤) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٤١٠/١).

(٥) (مر ١٦: ١٦).

(٦) انظر: الفروق العقيدية: (ص ٢٣)، كتر النفائس: (ص ١٧٥-١٧٦)، أسرار الكنيسة: (ص ٢٧)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (٣٣/١)، دائرة المعارف الكتابية: (٣١٤/٥).

(٧) انظر: أسرار الكنيسة: (ص ٣٢)، الأنوار في الأسرار: (ص ٢٢، ٢٦)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة (٣٢/١)، موسوعة علم اللاهوت: (٢١٠/٢).

ووجوب التغطيس عندهم للأسباب التالية:

- (١) لأن المسيح اعتمد على هذه الصورة.
 - (٢) لأن الرسل القديسين هكذا كانوا يعتمدون، ويعمدون الذين آمنوا.
 - (٣) لأن آباء الكنيسة الأولين هكذا مارسوا وعلموا.
 - (٤) لأن المعنى اللغوي لكلمة المعمودية تعني صبغة، وصبغ الشيء لا يتم إلا بغمره بالكامل في السائل.
 - (٥) لأن رموز المعمودية في العهد القديم تدل على ذلك.
 - (٦) لأن المعاني الروحية للمعمودية تدل على ذلك، فالمعمودية هي دفن المسيح وفي الدفن يكون الإنسان كله داخل القبر، المعمودية هي غسل الخطايا، والغسل يتم بانغماس الشيء كله في الماء^(١).
- ولا يرون الرش إلا في ظروف ضرورية معينة وخصوصاً للمرضى مرضاً شديداً أو المشرفين على الموت والمقعدين الذين لا يمكن تعميدهم بالتغطيس^(٢).

الكنيسة الكاثوليكية:

الطقس الأساسي لديهم: "هو تغطيس المعتمد في الماء أو صب الماء على رأسه مع الاستدعاء الثلاثي: "باسم الآب والابن والروح القدس"^(٣)، وفي مطلع الاحتفال بالمعمودية يشار أولاً بالصليب إلى وسم المسيح، ويرمز إلى نعمة الفداء التي استحقتها المسيح بصلبه - كما يزعمون- ومن ثم تُتلى بعض التقاسيم على المرشح للمعمودية ويمسح بزيت الموعوظين

(١) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٣١٩)، أسرار الكنيسة: (ص ٣٢-٣٣)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (٣٣-٣٢/١)، الأنوار في الأسرار: (ص ٢٦-٢٧).

(٢) انظر: الأنوار في الأسرار: (ص ٢٨)، أسرار الكنيسة: (ص ٣٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢١٢).

(٣) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٨٣)، ويتمونه أيضاً بالرش أو السكب. انظر: الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٣٩).

أو يضع المحتفل يده عليه، ويكفر صراحة بالشيطان، ويعترف بإيمان الكنيسة التي يوكل إليها بالمعمودية ومن ثم يأتي الطقس الأساسي في المعمودية أي التعميد نفسه الذي يعني ويحقق موت الإنسان دون الخطيئة، وتتم المعمودية بأعمق معانيها بالتغطيس ثلاثاً في ماء المعمودية أو بصب الماء ثلاثاً على رأس المعمد، وعند الكاثوليك اللاتين يقول المعمد وهو يصب الماء ثلاثاً على المعمد: يا فلان أعمدك باسم الآب والابن والروح القدس، وفي الليتورجيات الشرقية يوجه المعمد جهة الشرق ويتلو الكاهن عبارة التعميد: "يعمد عبد الله فلان باسم الآب والابن والروح القدس"، وعند ذكر كل من الأقانيم الثلاثة يغطسه في الماء وينتشله، ثم يمسح المعمد بالزيت المقدس وهو زيت معطر يقده الأسقف ويرمز إلى موهبة الروح القدس للمعمد الجديد والمسحة التي تلي المعمودية هي سر الميرون "التثبيت"، ومن ثم يرتدي المعمد الثوب الأبيض الذي يرمز إلى أنه قد لبس المسيح ونهض مع المسيح! والشمعة المسرجة أمامه من شمعة الفصح ترمز إلى أن المسيح قد أثار المعمد جديداً، والمعمد الجديد قد أصبح الآن ابن الله -تعالى الله عن ذلك- في الابن الوحيد، وبإمكانه أن يتلو صلاة أبناء الله^(١).

الكنيسة البروتستانتية:

تتم المعمودية برش الماء على المعمد أو بسكبه عليه، أو بتغطيسه فيه باسم الآب والابن والروح القدس، وليس من الضروري أن تتم المعمودية بإحدى هذه الطرق دون غيرها فقد اعتادت الكنيسة المشيخية على ممارسة المعمودية "بالرش" مع أن قسماً من الإنجليبين يفضل التغطيس، بل يحسبه ضرورياً للمعمودية الحقيقية^(٢).

والمعمودية لازمة للخلاص والتجديد والميلاد الثاني والعضوية في جسد المسيح عند الأرثوذكس والكاثوليك^(٣)، يقول القديس باسيليوس الكبير: "المعمودية هي فدية

(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢/٢٦٠)، وانظر: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٣/٤١-٤٥).

(٢) انظر: اللاهوت النظامي: (ص٥١٢)، شرح أصول الإيمان: (ص٤٨٨)، الفروق العقيدية: (ص٢٣)، أصول

التعليم المسيحي: (ص١٤٨)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص٢٥٢).

(٣) انظر: اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (١/٢٢)، مختصر التعليم المسيحي: (ص٨٤-٨٥)، عقائدنا المسيحية

الأرثوذكسية: (ص٣١٨)، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٣/٣٢-٣٣، ٣٨)، موسوعة علم اللاهوت:

(٢/٢١٥-٢١٦).

للمأسورين وصفح عن الخطايا وموت للخطيئة وإعادة ولادة النفس، وثوب للطهارة وختم لا يُمحى ومنحة للتبني ومركبة للسماء"^(١)، مما جاء من قوانين في شأن سر المعمودية في المجمع التريديتيني في جلسته السابعة: "إذا قال أحد أن المعمودية أمر حر، أي ليست ضرورية للخلاص فليكن محروماً"^(٢).

أما البروتستانت فيرون "أن الواسطة الوحيدة التي تغفر بها الخطية الجدية هي الإيمان يسوع المسيح"^(٣)، وليس للمعمودية فعل في ذاتها في أجزاء التجديد، لأن التجديد هو عمل الروح القدس داخل نفس الإنسان، لا عمل الماء المرشوش على جسده ولا ترتبط النعمة والخلاص بهذا السر ارتباطاً غير منفصل حتى لا يتجدد ولا يخلص أحد بدونه، ولا يقال: إن كل معمد لا بد متجدد فلا يقدر على تطهير القلب إلا الله، وينكر الإنجيليون أن الروح القدس يجدد القلب عند إجراء المعمودية، فإن الإيمان يسبق المعمودية، كما ينكرون أن المعمودية واسطة فعالة في توصيل النعمة الإلهية إلى قلب المعمد، ويقولون: إن المعمودية علامة خارجية مستقلة تشير إلى النعمة الداخلية وفعالها في القلب، وهي رمز أو ختم لذلك وأنها مطلوبة عند دخول المعمد البالغ جهاًراً في الكنيسة، على أنه لا بد من الأدلة الكافية على دخوله روحياً بالتجديد والإيمان إلى شركة تلك الكنيسة قبل دخوله جهاًراً بالمعمودية ومن الأدلة التي يرونها على بطلان التجديد بالمعمودية ما يأتي:

يعلم الكتاب في كل موضع أن الشرط الوحيد للخلاص هو الإيمان بالمسيح الذي يجدد القلب بفعل الروح القدس، وهذا برهان واضح على خطأ التعليم بلزوم المعمودية لأجل التجديد والخلاص"^(٤)، حيث قال الرسل لكل خاطئ صادفوه: "آمن بالرب يسوع فتخلص"^(٥)، فغفران الذنوب والخلاص - كما يعتقدون - قد أممه المسيح بواسطة آلامه

(١) موسوعة علم اللاهوت: (٢١٦/٢).

(٢) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٤٠٩/١).

(٣) انظر: كتر النفائس: (ص١٧٦)، شرح أصول الإيمان: (ص٤٨٥)، اللاهوت النظامي: (ص٥١٤).

(٤) اللاهوت النظامي: (ص٥١٣).

(٥) (أع ١٦: ٣١).

وموته حصل على كل هذه البركات لأجلنا، ولكن المعمودية هي وسيلة تؤدي عن طريق عمل الروح القدس إلى جعل هذه البركات ملكاً لنا"^(١).

وترى معظم الكنائس أن المعمودية تكون مرة واحدة، ولا يجوز إعادتها ما دامت قانونية، ولذلك يكررون في قانون إيمانهم "ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا"^(٢)، ومما جاء من قوانين في شأن سر المعمودية في المجمع التريدينتيني في جلسته السابعة:

"إذا قال أحد أن المعمودية الحقيقية التي منحت حسب الطقوس يجب تكرارها للمؤمن الذي جحد إيمان المسيح إذا اهتدى وتاب فليكن محروماً"^(٣) إلا أن الكنيسة الأرثوذكسية ترى إعادة تعميد من يدخل مذهبها من الطوائف الأخرى التي لا تؤمن بسر الكهنوت وسر المعمودية وفاعليته، وكذلك الوضع مع الطوائف التي تؤمن بسر المعمودية وفاعليته وسر الكهنوت ولكنها مغلقة بحجج الآباء^(٤) كما أن بعض الطوائف المنبثقة عن البروتستانتية تدعو أتباعها إلى إعادة تعميد الراشدين^(٥).

(١) شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتناخسيس الصغير": (ص ١٥٢).

(٢) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٢١٢/٢-٢١٣)، أسرار الكنيسة: (ص ٣٨)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي:

(ص ٢٥٢)، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٢٢/٣)، اللائح النفيسة: (٤١/٢-٤٣).

(٣) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٤٠٩/١).

(٤) انظر: اللاهوت المقارن: البابا شنودة (٤٨/١).

(٥) الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٢١٢).

المبحث الثاني: التثبيت أو المسحة بالميرُون المقدس.

يعد التثبيت "المسحة بالميرُون" سرّاً مقدساً عند الأرثوذكس والكاثوليك لأنه يمنحهم ختم موهبة الروح القدس بخلاف البروتستانت الذين لا يعدونه سرّاً^(١)، والميرُون كلمة يونانية معناها: طيب أو زيت عطري^(٢).

وفي اصطلاح الكنائس: تطلق على مزيج سائل، مركب من نحو (٣٠) صنفاً من أصناف الطيب وحسب التقليد البيزنطي من (٥٧) صنفاً، منها: المر والعود والسليخة وقصب الذريرة وعود اللبان والقرنفل وغيرها مع كل أنفاس الأطياب مضافاً إليها زيت الزيتون الصافي^(٣).

كيفية عمل الميرُون:

يجهز الميرُون بحسب ما جاء عن آباء الكنيسة: "بسحق الأطياب سحقاً جيداً، وقيل بنقعها في الماء لمدة (١٢) ساعة، ثم توضع في مرجل وتطبخ بتأن بواسطة الأساقفة، ومواد الإيقاد من أغصان الزيتون وخشب الصندل، ويعمل في يوم الجمعة من الجمعة السادسة من الصوم الكبير، ويطبخ في كل يوم مرة إلا يوم الثلاثاء فيطبخ فيه مرتين إلى يوم الأربعاء، ثم يصفى الزيت ويحفظ في أوعية، ثم يطبخ بعده الغاليلاون^(٤) وهو زيت قسطنطيني تغلى فيه أثقال الأطياب المصفاة من الميرُون من الأربع طبخات، ويتلى على الميرُون أثناء طبخه أغلب أسفار الكتاب المقدس، ولا سيما سفر المزامير الذي يتلى كل يوم من الأيام الثلاثة.

(١) انظر: الآلئ النفيسة: (٩٥/٢)، أسرار الكنيسة: (ص٥٥)، موسوعة علم اللاهوت: (٢٢٢/٢).

(٢) انظر: معجم المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية، قاموس المصطلحات القبطية: (ص٥٣)، أسرار الكنيسة: (ص٥٢)، الآلئ النفيسة: (٦٦/٢)، عقائدنا الأرثوذكسية: (ص٣٢١)، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٥٠/٣).

(٣) انظر: الآلئ النفيسة: (٦٦/٢)، أسرار الكنيسة: (ص٥٢).

(٤) غاليلاون: هو زيت يغلى فيه بقايا زيت الميرُون بعد تصفيته ويستخدم في العماد. قاموس المصطلحات الكنسية (ص٣٥).

وفي صبيحة نهار الخميس بعد صلاة البسخة يحتفل بتقديسه الأب البطريرك والأساقفة عقب عمل اللقان^(١) وقبل تقديس القربان، وبعد انتهاء القداس يترك في الهيكل حتى يقدر عليه الأب البطريرك أيضاً يوم سبت الفرح وليلة عيد القيامة المجيد، ويحفظ في الهيكل إلى ثالث يوم العيد، حيث يقدر عليه مرة ثالثة، وبعد انتهاء تقديسه تضاف إليه الخميرة الأصلية وتمزج مزجاً جيداً ثم يوزع منه الأب البطريرك على الكنائس لاستعماله في سر المسحة المقدسة للمعتدين.

ومن ثمّ يقام مذبحان من خشب في الهيكل، أحدهما في الجهة القبليّة جنوب مذبح القربان، والآخر شمالاً في الجهة البحريّة، ويوضع على الأول الميرون وعلى الثاني الغاليلون، ثمّ يلبس الأب البطريرك ومن معه الملابس الكهنوتيّة ويبدأ بتقديس الميرون على الكيفيّة التاليّة: حيث تفتح الصلاة بتمجيد الثالوث الأقدس والصلاة الربانيّة ثمّ صلاة الشكر ويُرفع البخور ومن ثمّ يتلو صلاة الاستعداد حيث يلتمس بها من الله أن يمنحه نعمة وقوة وبركة ليكمل هذه الخدمة المقدسة وأن تكون مقبولة لديه ومباركة منه تعالى^(٢).

وتقدّس الميرون وإتمامه خاص بالأساقفة وحدهم، بحسب الكنيسة الكاثوليكيّة، وأما الكنيسة الأرثوذكسيّة فتري أن هذا السر يقدره الأساقفة فقط، أما إتمامه فيقدر أن يتممه الأسقف أو القس على حد سواء^(٣).

ويعد هذا السر مقدساً عند الأرثوذكس والكاثوليك على حد سواء فهو يمنحهم ختم موهبة الروح القدس التي تنميهم في حسن العبادة، كما يهدف إلى التثبيت على

(١) اللقان: اسم يوناني الأصل للإناء الذي يوضع فيه الماء للإغتسال منه. قاموس المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية.

(٢) اللآلئ النفيسة: (ص٧٢-٧٧).

(٣) انظر: كتر النفائس: (ص١٨٦)، اللآلئ النفيسة: (ص٧٦، ٨٧-٨٨)، الأنوار في الأسرار: (ص٨٦-٩١)، أسرار

الكنيسة: (ص٥٦)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٨٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٢٨)،

(٤/٤٥٨).

الإيمان في اتحادهم بكيان المسيح ووظائفه^(١)، "حيث تؤمن الكنيسة وتعلم أن المعتمد بهذه المسحة وبدعاء الكاهن ينال مواهب الروح القدس التي تنير عقله وتقربه في النعمة وتثبته في الإيمان وتعلمه كل شيء"^(٢).

أما الكنيسة البروتستانتية فتعتقد أن المسحة -تدعى عندهم التثبيت- ليست سراً، بل تكملة بسيطة فيها يعترف المسيحي أمام الجمهور جهاراً بإيمانه بالمسيح فينال بركة الكنيسة، وتصير المسحة من القس أو راعي الكنيسة^(٣).

وترى الكنيسة الأرثوذكسية وجوب دهن المَعْمَد بالميرون بعد خروجه من المعمودية مباشرة، بخلاف الكنيسة الكاثوليكية التي تؤخر منحه للأطفال المعمدين حتى بلوغهم سن الإدراك للذكر (١٤) سنة وللأنثى (١٢) سنة، حتى يشتركوا فيه بعقل بالغ ومعرفة كافية^(٤).

يقول الأب بطرس غوري "كاثوليكي": "الأصل في قبول سر التثبيت لكل من اعتمد ولم يُثَبِّتْ وإن لم يكن مميزاً، إذ من شأن هذا السر إكمال الحياة الروحية التي تنال بالمعمودية، ولكن بمقتضى الإصلاح الجاري في الكنيسة الكاثوليكية لا ينبغي تثبيت الأطفال بالميرون ما لم يبلغوا سن التمييز"^(٥).

(١) انظر: الأنوار في الأسرار: (ص ٨١-٨٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٢٢)، أسرار الكنيسة: (ص ٥٥)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٣٢٤)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٨٦)، الفروق العقيدية: (ص ٢٢)، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (ص ٥٠).

(٢) اللآلئ النفيسة: (٢/٩٥).

(٣) كتر النفائس: (ص ١٨٦)، وانظر: الفروق العقيدية: (ص ٢٣-٢٥).

(٤) انظر الفروق العقيدية: (ص ٢٤-٢٥)، الأنوار في الأسرار: (ص ٦١)، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٣/٤٩)، اللآلئ النفيسة: (٢/٨٧)، كتر النفائس: (ص ١٨٦)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٢٦-٢٢٧)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢/٢٦٨)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٤١).

(٥) مختصر اللاهوت الأدبي، الأب بطرس غوري: (٢/٢٣١)، نقلاً عن موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٢٧).

وبحسب الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية يرشم^(١) المعمد (٣٦) رشمة بالميرون على جميع مداخل جسمه، مخارجه ومفاصله للتقديس، أما البروتستانت فلا يتمونها بالزيت بل بوضع اليد فقط على رأس المعمد^(٢).

فيبدأ الكاهن بمسح المعمد بالميرون المقدس بشكل صليب على جبهته وعينه ومنخره وفمه وأذنيه وصدره ويديه ورجليه على النحو التالي^(٣):

يبدأ الكاهن بمسح المعمد على الترتيب التالي: الرأس فالجبهة فالأنف فالأذن فالعين اليمنى ثم العين اليسرى فالأذن اليسرى على هيئة صليب وهو يصلي قائلاً: "مسحة نعمة الروح القدس آمين"، وتعد هذه الكلمات من الكلمات السرية المستعملة في تميم سر المسحة، وهي تشير إلى أن المسحة التي تمسح بها في الخارج بالميرون المقدس هي دليل المسحة التي تُنال بالروح القدس في الداخل.

ثم يرشم ثانياً الصدر فالقلب، فالسرة فالظهر فالصليب، وهو يقول: "مسحة عربون للملكوت السماوات" إشارة إلى أنه بالمسحة يُنال الروح القدس الذي هو بمثابة عربون على الميراث السماوي.

ومسح المعمد في الصدر والقلب إشارة إلى النعمة والقوة وروح التأيد الذي يناله المعمد بسر المسحة، هو بمثابة سلاح يجارب به قوات الشر، ويثبت ضد مكاييد الشيطان، ويغطي جميع سهامه الملتهبة.

(١) الرشومات أثناء القداس: يرشم الكاهن الحمل والكأس ثلاث رشومات على شكل صليب قبل حلول الروح القدس، ويطلق الرشم على ما يفعله الكاهن برشم علامة الصليب على نفسه وعلى الشماسة وعلى الشعب، كذلك تطلق كلمة رشم عندما يقوم الكاهن بدهن شخص ما بالزيت مثل زيت الميرون في سر المعمودية ويطلق عليه سر المسحة المقدسة، واستخدام الزيت في سر مسحة المرضى. انظر: قاموس المصطلحات الكنسية: (ص ٢٢)، معجم المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية.

(٢) الفروق العقيدية: (ص ٢٤-٢٥).

(٣) اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٤٩/٣).

ثم يرشم ثالثاً: الكتف الأيمن فوق الإبط ومفصل الكوع الأيمن ومنتيه ومفصل الكتف الأيمن وأعلاه، وهو يقول: "مسحة شركة الحياة الأبدية الغير مائة آمين".

وذلك للدلالة على أن المعتمد بهذه المسحة صار شريكاً للروح القدس واهب الحياة الأبدية ومنعتاً من الخطيئة المميتة.

ثم يرشم الكاهن رابعاً: الجهة اليسرى كالرشم السابق، وهو يقول: "مسحة مقدسة للمسيح إلهاً وختم غير منحل"، وهنا تكون المسحة ختماً للدلالة على انطباع موهبة الروح القدس فيهم.

ثم يرشم خامساً: الورك الأيمن ومفصل الركبة اليمنى وأعلاه ومفصل عرقوب الرجل اليمنى وأعلاه، ثم يقول: "كمال نعمة الروح القدس ودرع الإيمان والحق آمين".

ثم يرشم سادساً: كالرشم السابق في الجهة اليسرى، وهو يقول: "دهنتك يا فلان ويذكر اسمه" بدهن مقدس باسم الآب والابن والروح القدس، وهذه العبارة للدلالة على أن العلة الفاعلة في السر هي الثالوث الأقدس، وإشارة إلى عمل الثالوث المقدس في الممسوح.

وبهذا الرشم الأخير تنتهي الرشومات المعينة ويكمل مسح سائر الأعضاء الرئيسية في المعمد، ولذا يقول الكاهن ختماً "قد كمل"، ومسح هذه الأعضاء الظاهرة إشارة إلى مسح قوى النفس وحواسها الروحية بالروح القدس، ثم يتلو الكاهن ختماً الصلاة الموضوعية من الكنيسة، وعندما يقول: "ربنا يسوع المسيح" ينفخ في وجهه وهو يقول: "اقبل الروح القدس" (١).

يقول القديس امبروسوس: "المعمودية يتلوها الختم الروحي وبدعاء الكاهن ينسكب الروح القدس روح حكمة وفهم، روح مشورة وقوة، روح معرفة وتقوى، روح مخافة الله التي تبني وتقوي إرادة الإنسان لعمل الصلاح" (٢).

(١) انظر: اللائح النفيسة: (٢/٩٠-٩٥).

(٢) المصدر السابق: (ص٩٥).

يقول البابا شنودة الثالث عن مفاعيل هذا السر: "بهذا الدهن المقدس يقدس أطراف المعمد ومفاصله وفتحات جسمه، ويبدأ الروح يعمل فيه بقوته ومواهبه وإرشاده"^(١). وترى الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية عدم إعادة سر الميرون، حيث اعتبر منذ القديم مثل سر المعمودية التي يكملها فلا يمنح إلا مرة واحدة^(٢).

(١) مقال عن الميرون، مجلة الكرازة، عدد: ٢١ أغسطس ١٩٩٨م، نقلاً عن عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٣٢٤).

(٢) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٢٨)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢/٢٧١)، أسرار الكنيسة: (ص ٥٥).

المبحث الثالث: التوبة "الاعتراف".

تعد التوبة "الاعتراف" سرّاً مقدساً عند الأرثوذكس والكاثوليك، حيث يرون أنه بعد تطهير الإنسان من نتائج الخطية الجدية بالمعمودية يظل يميل إلى الشر سواء باختياره أو رغماً عنه، تلبية لغرائزه، لذلك أقيم سر التوبة "الاعتراف"، الذي يُعد بحسب ما جاء عن الآباء معمودية ثانية، به يصفح راعي الكنيسة الروحية بقوة الروح القدس للتائب والمعترف عن جميع خطاياها التي فعلها بعد المعمودية واعترف بها شفهيّاً، فيجدد تبريره ويتقدس، كما كان في الساعة التي خرج فيها من المعمودية، أما الخطايا التي لم يعترف بها فإنها لا تغفر.

أما البروتستانت فلا ينظرون للتوبة كسر مقدس، بل هي عمل من أعمال النعمة إذ يكفي أن يندم الإنسان الخاطيء ويلقي نفسه تحت قدمي المسيح مؤمناً به فيخلص من خطاياها^(١)، وقد سمى آباء الكنيسة ومعلموها الأقدمون سر التوبة: حلاً الخطايا، واعترافاً، ومصالحةً، ومعمودية ثانيةً، وميناء ثانية بعد الغرق^(٢).

ويستدلون لهذا السر بما ورد في إنجيل يوحنا عندما ظهر المسيح -كما يزعمون- لرسله في مساء الفصح وقال لهم: "سلام لكم كما أرسلني الآب أرسلكم أنا، ولما قال هذا نفخ، وقال لهم: اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياها تُغفر له، ومن أمسكتم خطاياها أُمسكت"^(٣).

(١) انظر: الأنوار في الأسرار: (ص ١٩١-١٩٢)، أسرار الكنيسة: (ص ٩٧)، اللآلئ النفيسة: (١٤١/٢)، كثر النفائس: (ص ١٧٩-١٨٠)، موسوعة علم اللاهوت: (٢٥١/٢)، شرح أصول الإيمان: (ص ٤٧٥)، اللاهوت النظامي: (ص ٥٣٠-٥٣١)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (١٣٢/١-١٣٤)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٢٩٢-٣٠١)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتاخيسمس الصغير": (ص ١٥٨)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٣٢٤).

(٢) انظر: الأنوار في الأسرار: (ص ١٩٢)، أسرار الكنيسة: (ص ٩٧)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٩٤)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٣٢٥).

(٣) (يو ٢٠: ٢٣-٢١).

شروط التوبة الحقيقية عن الأرثوذكس والكاثوليك:

- (١) انسحاق القلب وندامته على الخطايا السالفة، وفي تعليم الكنيسة أن الندامة هي الخطوة الأولى التي تنصدر أفعال التائب، وهي شرط جوهري لازم للتوبة الحقيقية.
- (٢) عزم ثابت على إصلاح السيرة، وهو نتيجة ضرورية للانسحاق على الخطيئة، ولا فائدة للتوبة ولا معنى لها بدون هذا الشرط.
- (٣) إيمان وطيء بالمسيح يسوع وذلك:
- أ- بالإيمان بدم المسيح الذي يغفر كل خطية.
- ب- والرجاء في قبول المسيح للخاطئ مهما كانت خطاياها.
- (٤) اعتراف شفوي بالخطايا أمام الأب الروحي، فتعتقد الكنيسة أن الإقرار بالذنب للكاهن هو جزء جوهري في سر التوبة^(١).
- أما البروتستانت فإنهم يكتفون بالندم على الخطايا والكراهة لها، والإيمان بيسوع كمخلص لهم^(٢)، "والخطايا التي لا تغفر هي خطايا الخطاة غير التائبين، أي الذين لا يندمون على خطاياهم ولا يؤمنون بيسوع المسيح"^(٣).
- ويتم الاعتراف عند الأرثوذكس في الكنيسة^(٤) "بمواجهة بين المعترف وأب اعترافه الذي قد يكون قساً أو أسقفاً"^(٥)، فيعترف التائب بخطاياها اعترافاً شفهيّاً أمام الأب الروحي

(١) انظر: أسرار الكنيسة: (ص ١٠١-١٠٢)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢/٢٩٧-٢٩٨)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (١/١٣٥)، اللآلئ النفيسة: (٢/١٧٨-١٨٤)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٣٢٧)، الأنوار في الأسرار: (ص ٢٠٠-٢١٠).

(٢) انظر: "الكتناخسيس الصغير": (ص ١٥٨)، شرح أصول الإيمان: (ص ٤٤١-٤٤٤).

(٣) شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتناخسيس الصغير": (ص ١٥٨).

(٤) سلسلة تبسيط الإيمان: (٨/سر التوبة والاعتراف)، الأنبا بيشوي مطران دمياط: (ص ١٨).

(٥) الفروق العقيدية: (ص ٢٤).

الذي يصفح بقوة الروح القدس للتائب والمعترف^(١) قائلاً: "يا ولدي الروحي الذي أنت تعرف لحقارتي، لا أستطيع -أنا الحقير الخاطيء- أن أغفر خطيئةً على الأرض، لكن الله، بل لأجل ذلك الصوت الإلهي الصائر للتلاميذ بعد قيامة ربنا يسوع المسيح من الأموات والقائل: من تركتم خطاياهم تركت لهم، ومن أمسكتموها عليه فلتُمسك، وعلى هذا إذ نحن واثقون نقول: إن كل ما اعترفت به لحقارتي الدنيئة، وكل ما لم تقله إما لجهل به أو لنسيان مهما كان، فليسأمحك الله به في الدهر الحاضر والآتي"^(٢).

أما عند الكاثوليك: فتمت "ممارسة هذا السر من وراء الستار وعلى كرسي خاص"^(٣) في مكان خاص في الكنيسة يدعى قفص الاعتراف، وأحياناً في غرفة منفردة أو في غرفة المريض المحتضر على أن يكون ذلك في خلوة بين الكاهن والشخص المعترف^(٤). ويرى الكاثوليك ضرورة الإقرار المفصل بالخطايا أمام الكاهن، حيث يعد ذلك جزءاً جوهرياً في سر التوبة لكي يقدر الأب الروحي أن يفرض القصاصات الاستغفارية أو الوقائية على التائب فيقدر بها أن يوفي ويستعطف العدل الإلهي^(٥). جاء في تعليم الكنيسة الكاثوليكية: "على التائبين أن يعدوا في الاعتراف كل الخطايا المميتة التي يتذكرونها، بعد محاسبة للنفس متقنة حتى وإن كانت هذه الخطايا حميمة"^(٦).

(١) انظر: كتر النفائس: (ص ١٧٩)، الأنوار في الأسرار: (ص ٢١١).

(٢) الأنوار في الأسرار: (ص ٢١١).

(٣) الفروق العقيدية: (ص ٢٥).

(٤) انظر: كتر النفائس: (ص ١٧٩)، العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس، الفصل التاسع.

(٥) انظر: الفروق العقيدية: (ص ٢٥)، كتر النفائس: (ص ١٧٩-١٨١)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية:

(٢/٢٩٨)، الأنوار في الأسرار: (ص ٢٢٠).

(٦) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢/٢٩٨).

وتعتقد الكنيسة الأرثوذكسية بفائدة الاعتراف التفصيلي للكاهن بصفته طبيياً روحياً للتائب، حيث يرشد المعترف لمعالجة أسقام نفسه، ويعين له بعض القصاصات التأديبية التي هي بمثابة أدوية وعقاقير تعطى للمريض بحسب ما يلائم حاله، وغايتها تأديب الخاطئ وتقويمه، وإصلاح حاله، وخلص نفسه، وعلاج روحه، وحفظه من خطايا جديدة، وليست كما يعتقد الكاثوليك للتكفير عن الخطايا أو وفاء للعدل الإلهي؛ لأن المسيح قد قدم وفاء كاملاً للعدل الإلهي بموته على الصليب مرة واحدة، ولهذا فإن الكنيسة الأرثوذكسية تختصر أحياناً قانون التوبة أو تلغيه إذا تحققت من توبة الخاطئ، ورأت ثمار التوبة ظاهرة في أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته^(١).

أما الكنيسة البروتستانتية فلا ترى التوبة أو الاعتراف سراً مقدساً؛ بل هي "حزن وانسحاق القلب لأجل تعدي وصايا الله"^(٢)، و"لا اعتراف إلا أمام من أخطأ المؤمن له أو أمام الكنيسة كلها"^(٣)، وأن الاعتراف يمكن أن يكون مفيداً فقط من جهة كونه واسطة لنصح وإرشاد المعترف، لكنه ليس إجبارياً، فالمسيحي له مطلق الحرية بأن يعترف أو لا، كما أن الاعتراف التفصيلي ليس ضرورياً لديهم، لذلك ترفضه الكنيسة البروتستانتية وترفض كذلك كل نوع من أنواع القصاص أو الترضية، فلا يفرض على التائب شيء منها، وذلك لأن المسيح بموته قد استعطف وأوفى العدل الإلهي مرة واحدة إلى الأبد لجميع الذين يؤمنون به^(٤).

(١) انظر: اللائح النفيسة: (٢/١٨٥)، كتر النفائس: (ص ١٨٠-١٨١)، الفروق العقيدية: (ص ٢٥)، الأنوار في

الأسرار: (ص ٢٢٠-٢٢١)، أسرار الكنيسة: (ص ١١١-١١٧).

(٢) كتر النفائس: (ص ١٨٠-١٨٢).

(٣) الفروق العقيدية: (ص ٢٥).

(٤) انظر: كتر النفائس: (ص ١٨٠-١٨٢)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتناخيسمس الصغير":

(ص ١٦٤)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (١/١٣٢-١٣٦)، شرح أصول الإيمان: (ص ٤٤١-٤٤٥).

وتجمع الكنائس الأرثوذكسية والبروتستانتية على أن مغفرة الخطايا والصفح عنها بيد الله وحده، ولا يمكن أن تكون بدون توبة وانسحاق قلب الخاطئ، ولا يمكن لأحد أن يبيعها أو يهبها، إنما الكاهن يقبل التائب ويمنحه الحل من الخطايا، ليس باسمه بل باسم الثالوث المقدس، وليس بسلطانه بل بسلطان الله نفسه المعطى له بحسب الكنيسة الأرثوذكسية^(١).
بعكس الكنيسة الكاثوليكية التي تعتقد أن مغفرة الخطايا يمكن أن توهب؛ لأن الكنيسة لها الحق بأن تعطي الغفرانات لمن تشاء من ذخيرة^(٢) استحقاقات المسيح والقديسين^(٣).

(١) يدعى هذا "بالحل الكهنوتي": وهو صفح ومسامحة الكاهن للخطأ التائب بعد أخذ اعترافه وحله من خطيئته، اللائى النفيسة: (١٩٤/٢)، وينكر البروتستانت هذا التعليم قولاً، بينما ورد في كتبهم الاعتراف به وقبولهم له، حيث جاء في شرح التعليم المسيحي للبروتستانت: كيف يجب أن ننظر إلى الحل أو غفران الخطايا المعلن من قبل الراعي؟ يجب أن ننظر إلى الحل كأنه معلن من الله نفسه دون أدنى شك، كما نؤمن إيماناً ثابتاً أنه بواسطة هذا الحل تغفر خطايانا أمام الله في السماء "الكتناخيسمس الصغير": (ص ١٦٣)، جاء في الصلاة العامة للكنيسة الأسقفية ما نصه: "وهنا يحث القسُّ المريض على الإقرار بخطاياها وبعد الإقرار يحله القس على هذا الوجه: "ربنا يسوع المسيح الذي ترك لكنيستته سلطاناً على أن يحلوا جميع التائبين المؤمنين به حقاً ليغفر لك خطاياك برحمته العظيمة، وأنا بسلطانه الذي فُوض إليّ أحلك من جميع خطاياك باسم الآب والابن والروح القدس". انظر: اللائى النفيسة: (١٩٤/٢)، أسرار الكنيسة: (ص ١٠٠).

(٢) ذخائر القديسين: عبارة عن بقايا رُفات القديسين، أو بقايا أمتعتهم، وقد منح البابوات غفرانات عديدة لمن يزور هذه البقايا. انظر: المصلح مارتن لوثر: (ص ٥٠).

(٣) انظر: كتر النفائس: (ص ٤٦، ١٨٢)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتناخيسمس الصغير": (ص ١٥٨-١٦٤)، أسرار الكنيسة: (ص ٩٨-١٠٠، ١١٨-١١٩، ١١٢-١٢١)، الفروق العقيدية: (ص ٢٤-٢٥)، موسوعة علم اللاهوت: (٤/٤٤٤)، الطوائف المسيحية في مصر والعالم: (ص ٧٥)، اللاهوت النظامي: (ص ٤٧٤)، شرح أصول الإيمان: (ص ٤٧٦)، التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٣٠١-٣٠٢).

المبحث الرابع: العشاء الرباني "الإفخارستيا".

يعد العشاء الرباني أو الإفخارستيا من أهم الأسرار عند النصارى بعد المعمودية، ولذلك يُدعى عندهم "سر الأسرار"، ويطلق عليه أيضاً: "سر التناول، سر الشركة، سر الشكر، مائدة الرب، المائدة الربانية، الذبيحة المقدسة، خبز الحياة، الوليمة الإلهية، القديس المقدس، السر المجيد، العشاء السري، العشاء الإلهي، مائدة المسيح"، إلى غير ذلك من الأسماء التي تدل على سمو مكانته وعظم قداسته عندهم^(١).

ومما جاء فيه أن "سر الإفخارستيا: هو بمثابة روح الكنيسة، فإنه يرجع كمال النعمة الكهنوتية بمختلف درجات الرسامة، بل منه تستقي الكنيسة كل قوتها ومجدها وجميع كنوز النعم الإلهية وجميع الخيرات، لذلك تخصص أعظم الجهد بتهيئة قلوب المؤمنين وقيادتها إلى اتحاد صميم بالمسيح بفعل سر جسده ودمه"^(٢).

وكلمة إفخارستيا: كلمة يونانية بمعنى الشكر، كما تستخدم أيضاً بمعنى مقدمة الشكر، أي الشكر المعبر عنه بتقدمة ما، سواء كان ذلك بالتسبيح أو الصلوات أو الذبائح، وقد استخدمت كصلاة بنوع مخصوص في حالة شكر الله على خلقه العالم^(٣).

(١) انظر: مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٨٨)، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر:

(٢/٣)، اللاهوت النظامي: (ص ٥١٨-٥١٩)، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: (ص ٦١٠)، معجم المصطلحات

الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية، الإفخارستيا أو القول السديد عن السر المجيد، جرجس صموئيل عازر، مكتبة

مارجرجس، الطبعة الثانية: (ص ٢٦)، اللاهوت العقيدية: (٣/٢٥٦)، أسرار الكنيسة: (ص ٥٧)، الصخرة

الأرثوذكسية: (ص ١٠٢).

(٢) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٢/٧٢٣).

(٣) انظر: قاموس المصطلحات القبطية: (ص ٨)، معجم المصطلحات الطقسسية والكنسية: نسخة إلكترونية، معجم

اللاهوت الكتابي، نسخة إلكترونية، الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٩٥)، الإفخارستيا، متى المسكين: (ص ٤٠).

وهذا السر يعرف بتعريفات مختلفة عند النصارى باختلافهم حول غاية العشاء

الرباني:

الأرثوذكس: "الإفخارستيا المقدسة هي جسد ودم مع نفس لاهوت ربنا يسوع المسيح تحت شكلي وعرضي الخبز والخمر، وذلك لأن هاتين المادتين تتغيران بحلول الروح القدس بعد كلمات التقديس من كاهن مشرطن إلى الجسد والدم الحقيقيين للمسيح، أما الخبز فيلجى جسداً، وأما الخمر فيلجى الدم، وينالهما المؤمن للاتحاد به والثبات فيه ونوال الحياة الأبدية"^(١).

الكاثوليك: "الإفخارستيا هي ذبيحة جسد الرب يسوع ودمه بذاتها، التي أوجدها لكي تستمر بها ذبيحة الصليب على مر الأجيال إلى أن يجيء مودعاً هكذا كنيسته ذكرى موته وقيامته، والإفخارستيا هي علامة الوحدة، ورباط المحبة، والوليمة الفصيحة، فيها نتقبل المسيح، وفيها تمتلئ النفس بالنعمة، وفيها نعطي عربون الحياة الأبدية"^(٢).

والإفخارستيا عند الأرثوذكس والكاثوليك يستحيل فيها الخبز والخمر بالروح القدس إلى جسد المسيح ودمه فتكون: "ذبيحة حقيقية تشخص بالفعل لا بالصورة، الذبيحة نفسها التي قدمها المسيح على الصليب"^(٣) في معناها وفعاليتها فيؤمنون كما جاء عنهم: "إن ما يتناوله المشترك هو حمل واحد كامل مهما كانت جزئية الجواهر التي يتناولها أو مهما كان عددها، وأنه هو نفسه الجسد والدم اللذان ولدا من الدائمة البتولية السيدة العذراء مريم، وقدما كفارة عنا على عود الصليب، وأنه لا فرق بين ذبيحة القديس وذبيحة الصليب إلا في كيفية وظروف إتمامها، لأنهما ذبيحة واحدة أبدية مستديمة لكل العصور والأماكن تقدم عن الجميع الأحياء والراقدين ولا فرق بينهما، إلا كون جسد ربنا قبل قيامته من الأموات كان قابلاً للآلام والتقسيم والموت، أما بعدها للآن وإلى الأبد فهو غير مائت وغير

(١) الإفخارستيا أو القول السديد: (ص٢٦)، وانظر: الأنوار في الأسرار: (ص١٨٣-١٨٤)، أسرار الكنيسة: (ص٦٠).

(٢) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٨٧).

(٣) كتر النفائس: (ص١٧٩)، وانظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص٣٣٠)، مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص٨٩-٩٠).

قابل للألم والتقسيم والموت، بغض النظر عما نراه بالعين الجسدية من تجزئة الخبز والخمر، ونؤمن أن المستحقين يقبلون جسد المسيح ودمه الحقيقيين لمغفرة الخطايا وللاتحاد به والثبات فيه، والجواب حسن مقبول أمام كرسيه، ولنوال الحياة الأبدية ولاتحاد أعضاء الكنيسة ببعضهم وللامتلاء بالأشواق المقدسة، ومن الروح القدس ولمشاركة الطبيعة الإلهية ولذكرى آلام السيد وموته ولتحضير عظيم محبته أمام الأذهان.

ونؤمن أنه ضروري للخلاص، أي لا خلاص بدونه، أما غير المستحقين فيقبلونهما أي جسد المسيح ودمه الحقيقيين ولكن للدينونة^(١).

وقد أكدت الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها المتعددة هذا المعنى ومن ذلك:

ما جاء في مجمع روما سنة (١٠٧٩م) تحت عنوان "حضور المسيح في الإفخارستيا" مما جاء فيه:

"إن الخبز والخمر اللذين على المذبح قد تحولاً جوهرياً، بسر الصلاة المقدسة، وبأقوال فاديننا إلى جسد سيدنا يسوع المسيح الحقيقي والذاتي والحيمي، وإلى دمه، وأنهما بعد التقديس جسد المسيح الحقيقي الذي ولد من العذراء والذي وهو المقدم لخلاص العالم رُفع على الصليب، والذي يجلس إلى يمين الآب، وكذلك دم المسيح الحقيقي الذي سال من جنبه لا بطريقة التصور المجازي وقوة السر بل بطبيعته الخاصة وفي حقيقة الجوهر"^(٢).

والإفخارستيا بوصفها ذبيحة مقدمة لأجل جميع المؤمنين الأحياء منهم والأموات فهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمغفرة الخطايا لديهم، جاء في تعليم الكنيسة الكاثوليكية:

"كل مرة نتناوله، نخبر بموت الرب، فعندما نُبشر بموت الرب نُبشر بمغفرة الخطايا، وإذا كان كل مرة يراق دمه إنما يراق لمغفرة الخطايا، فعلياً أن أتناوله دائماً لكي يصفح دائماً عن خطاياي، فأنا الذي يرتكب الخطيئة دائماً أحتاج دائماً إلى علاج"^(٣).

(١) الإفخارستيا أو القول السديد عن السر المحيد: (ص٣٣-٣٤)، وانظر: اللاهوت العقيدية: (٢٥٦/٣)، الأنوار في

الأسرار: (ص١٨٥-١٨٨)، أسرار الكنيسة: (ص٦٠)، أرثوذكسي تراث وعقيدة وحياة: (ص٧٩).

(٢) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٢٤٣/١).

(٣) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (٢٨٨/٢).

فالكنيسة الكاثوليكية وتشاركها في نفس العقيدة الكنيسة الأرثوذكسية -مع اختلاف بسيط-^(١) "تؤمن بأن الخبز والخمر يتحولان إلى جسد المسيح الحقيقي وإلى دمه الحقيقي بعد أن ينطق الكاهن بالعبارات الخاصة بالاستحالة. فإن الخبز والخمر اللذين كانا خبزاً وخمراً قبل الصلاة التي تُدعى الصلاة الجوهرية، تحولا بطريقة معجزية وسرية إلى جسد المسيح (دمه ولحمه)، وهذه العملية تسمى بعملية الاستحالة، وهذا الاصطلاح يعني: "استحالة الخبز والخمر إلى جسد ودم يسوع المسيح".

وبتحليل هذا الاصطلاح تحليلاً لغوياً يمكننا القول بأن مادة الخبز والخمر تحولت جزئياً وكلياً إلى جسد يسوع، فمع أن الخبز والخمر يظلان حسب الظاهر خبزاً وخمراً ولا يفقدان أي شيء من خواصهما الطبيعية لا في الطعم ولا في اللون، إلا أنهما استحالتا بطريقة سرية معجزية إلى دم ولحم يسوع المسيح، فالاستحالة التي حدثت هنا هي استحالة كلية لا تعني أن يسوع حاضر بطريقة ما في هذا الخبز وهذا الخمر، ولا تعني أيضاً أن يسوع حاضر بطريقة حقيقية واضحة وفعلية فقط في الخبز والخمر، بل إن هذا الخبز وهذا الخمر تحولوا فعلياً وحرفياً إلى جسد المسيح، فجسد المسيح كله حل محل هذا الخبز وهذا الخمر، فبعد أن ينطق الكاهن بالكلمات الجوهرية، لا يعد الخبز خبزاً ولا الخمر خمراً، بل إن هاتين المادتين أصبحتا فعلاً وعملاً جسد المسيح يسوع، فالشخص المشترك يتناول أو بالمعنى الأصح يأكل بطريقة فعلية وحقيقية جسد المسيح في شكل الخبز والخمر"^(٢).

أما البروتستانت فقد اختلفوا في تعريف الإفخارستيا على النحو التالي:

تعرفه الكنيسة اللوثرية "بأنه جسد ودم ربنا يسوع المسيح الحقيقيان، يقدمان لنا نحن المسيحيين عن طريق الخبز والخمر لتأكل ونشرب"^(٣)، فالخبز والخمر في نظر الكنيسة اللوثرية لا

(١) انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها، أ. د عادل درويش، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، الطبعة

الأولى، ٤٣٣ هـ: (ص ٣٠٨)

(٢) تاريخ الفكر المسيحي، لينا جرجس الحضري: (١/٣٢٦).

(٣) شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتاخي سمس الصغير": (ص ١٦٥).

يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه بالمفهوم الكاثوليكي، بل يقدم المسيح بواسطة كليهما حضوره الحقيقي والفعلية بطريقة حرفية وصحيحة في هذا الخبز وهذا الخمر^(١)، ويرافقها على منوال سري.

ويستدلون بالنصوص التالية:

"فإنكم كلما أكلتم هذه الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء، إذاً أيُّ من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه، ولكن ليمتحن الإنسان نفسه، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس"^(٢).

"كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح"^(٣).

أما بالنسبة للكنيسة الكالوينية وسائر الكنائس البروتستانتية فيعرفونه بأنه: "سر يدل على موت المسيح بإعطاء خبز وخمر وقبولها حسبما رسم سيدنا له المجد، والقابلون باستحقاق يتناولون جسده ودمه مع جميع فوائده، لا تناولاً جسيماً أو جسدياً بل تناولاً روحياً بالإيمان، وذلك لقوتهم الروحي ونموهم في النعمة"^(٤).

ويرى زونجلي "بأن العشاء الرباني مجرد تذكارات لموت المسيح، من غير أن تكون فيه أدنى فاعلية في حد ذاته، ولا يحضر فيه المسيح على الإطلاق لا جسدياً ولا روحياً، ولذلك

(١) انظر: كتر النفائس: (ص ١٧٧)، تاريخ الفكر المسيحي: (٣٢٨/١)، اللاهوت النظامي: (ص ٥٢٣)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص ٢٥٧)، أسرار الكنيسة: (ص ٦٠)، الافخارستيا أو القول السديد: (ص ٤٨-٤٩).

(٢) (١ كو ١١: ٢٦-٢٨).

(٣) (١ كو ١٠: ١٦).

(٤) شرح أصول الإيمان: (ص ٤٩٨)، وانظر: كتر النفائس: (١٧٧-١٧٨)، تاريخ الفكر المسيحي: (٣٢٩/١)، اللاهوت النظامي: (ص ٥٢٤)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص ٢٥٨)، الأنوار في الأسرار: (ص ١٢٩).

لا يحسب عشاء الرب من وسائل النعمة، بل هو تذكارات لموت المسيح وشهادة الإيمان المتناول". وتابعه على هذا الرأي الأرمنيون والسوسينيون^(١).

وترفض الكنيسة البروتستانتية فكرة الاستحالة تماماً، لأنها تواجه عقبات كتابية، كما أنها مضادة للحس، إذ أن الحس يشهد ببقاء الخبز والخمر على ما هما عليه دون تغيير، ويعدون هذا التعليم تعليماً محدثاً وطارئاً في التاريخ الكنسي^(٢).

أوجه الخلاف في ممارسة العشاء الرباني:

أولاً: ترى الكنيسة الأرثوذكسية بأن المادة المطلوبة لتتميم هذا السر هي: الخبز الذي ينبغي أن يكون من القمح النقي المختمر، والخمر الذي ينبغي أن يكون من كرم خالصة ومزوجة بالماء حين الخدمة تذكيراً للماء الذي خرج مع الدم من جنب الفادي على الصليب^(٣).

واشترطهم للقمح كما يقولون: "لأن خبز اليهود كان من قمح في عصر مخلصنا حينما سلم سرّ الشكر، والكنيسة الأرثوذكسية هكذا تسلمت، واستعملت الخبز في هذا السر إلى الآن وينبغي أن يكون مختمراً لا فطيراً، لأن ربنا تم مرة واحدة سر الشركة وسلمه بخبز مختمر لا بفطير"^(٤)، تمييزاً لهذه الفريضة المسيحية عن الفصح اليهودي بخلاف الكنيسة الكاثوليكية التي تعد "خبز الحنطة" الفطير، وخمر الكرم هما الشكلان الجوهريان في سر الإفخارستيا^(٥).

"وقد نشأت منازعة شديدة على هذا الموضوع في القرن الحادي عشر بين الكنيستين الشرقية والغربية، فرفضت الشرقية استعمال الفطير باعتباره عادة يهودية لا يلتزمون بها، وحكمت

(١) شرح أصول الإيمان: (ص ٥٠٦)، وانظر: كتر النفائس: (ص ١٧٨)، اللاهوت النظامي: (ص ٥٢٣)، تاريخ الفكر المسيحي: (١/٣٣٠-٣٣١)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص ٢٥٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٤٢)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٢٣٤)، الباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص ٦٤).

(٢) انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها: (ص ٣٠٦-٣٠٧).

(٣) انظر: أسرار الكنيسة: (ص ٨٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٢٨، ٢٤٧)، اللاهوت العقيدية: (٣/٢٦٠)،

الأنوار في الأسرار: (ص ١٠٣)، الفروق العقيدية: (ص ٢٤)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٤٣).

(٤) الأنوار في الأسرار: (ص ١٠٤)، وانظر: شرح أصول الإيمان: (ص ٥٠٠).

(٥) انظر: مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٨٩)، اللاهوت النظامي: (ص ٥١٩)، أسرار الكنيسة: (ص ٨٧)،

شرح أصول الإيمان: (ص ٥٠٠)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٤٣-٤٤)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٧٥).

الغربية بأنه النوع الوحيد الجائز استعماله، ولو أن استعمال الخبز المختمر جائز أيضاً لأنه لا يفسد السر" (١).

أما البروتستانت: فالكنيسة اللوثرية تشدد على استعمال الخبز غير المختمر "اقتداءً بما عمله المسيح والتلاميذ عند رسم الفريضة، بينما الكنائس المصلحة لا تعلق أهمية خاصة على نوع الخبز مختمراً كان أم لا، لاعتقادها بأن المسيح إنما استعمل الخبز غير المختمر لا لكونه غير مختمر بل لأنه كان النوع الوحيد الموجود أمامه، فالعبرة عندها بالوجود لا بالنوع، وأما الخمر المستخدم عندهم فهو نتاج الكرم المختمر، ومنهم من يستعمل عصير العنب غير المختمر" (٢).

ثانياً: ترى الكنيسة الأرثوذكسية وجوب تناول الأطفال من السر الأقدس بمجرد المعموديتهم ورشتمهم بزيت الميرون المقدس، بخلاف الكنيسة الكاثوليكية التي تؤجل تناول الأطفال حتى بلوغهم سن التمييز، جاء في المجمع التريدينتيني: "إن قال أحد أن قبول الإفخارستيا ضروري للأطفال قبل أن يبلغوا سن التمييز فليكن محروماً" (٣).

ثالثاً: ترى جميع كنائس النصارى أن جميع المؤمنين بلا استثناء سواء كانوا إكليروسيين أو من الشعب محتاجون، ولهم الحق أن يشتركوا بالأسرار الظاهرة تحت الشكلين "الخبز والخمر"، بخلاف الكنيسة الكاثوليكية التي تعتقد أن الإكليروسيين وحدهم يجب أن يتناولوا من الخبز والخمر، وأما الشعب فلا يحق لهم أن يتناولوا إلا من الخبز فقط، وذلك لتخوفهم من أن تنسكب بعض قطرات الكأس على الأرض وبذلك يهان دم المسيح، وكذلك لاعتقادهم بأن في الخبز وحده الكفاية لتناول جسد المسيح ودمه (٤).

(١) اللاهوت النظامي: (ص ٥١٩)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٤٤)، الإيمان الأرثوذكسي: (ص ٢٤-٢٥).

(٢) انظر: اللاهوت النظامي: (ص ٥١٩-٥٢٠)، شرح أصول الإيمان: (ص ٥٠٠-٥٠١)، أصول التعليم المسيحي، "الكتاخيسيمس الصغير": (ص ١٦٦).

(٣) انظر: الفروق العقيدية: (ص ٢٤-٢٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٥٠-٢٥١)، الأنوار في الأسرار:

(ص ١٦٠-١٦١)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٤٧)، الإيمان الأرثوذكسي: (ص ٢٥).

(٤) انظر: الأنوار في الأسرار: (ص ١٦٤)، كثر النفائس: (ص ١٧٨)، شرح أصول الإيمان: (ص ٥٠١-٥٠٢)،

اللاهوت النظامي: (ص ٥٢٠)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٤٩)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٤٥-٤٦)، الإيمان

الأرثوذكسي: (ص ٢٥)، الافخارستيا أو القول السديد: (ص ٤٧)، الباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص ٧١-٧٢).

رابعاً: ترى الكنيسة الأرثوذكسية بأنه لا يجوز إقامة أكثر من قداس على مذبح واحد، وبأوانٍ مقدسة واحدة إلا بعد مرور تسع ساعات على الأقل على القداس الأول، كما يشترط الصوم الانقطاعي لنفس المدة قبل تناول، بخلاف الكنيسة الكاثوليكية التي ترى إقامة أكثر من قداس واحد بنفس الكاهن وعلى نفس المذبح والأواني في اليوم الواحد^(١)، وعلى المؤمنين مراعاة الصوم الذي تفرضه الكنيسة إلا في حالة المرض، كما ينبغي مراعاة المظاهر الجسدية اللائقة (من حركات، وثياب) كعلامات احترام للمسيح^(٢).

خامساً: أما بالنسبة لوقت ممارسة الإفخارستيا: فالميعاد الذي كانت تجتمع فيه الكنيسة للاحتفال بالإفخارستيا في بداية تاريخ الكنيسة كان يوم الأحد قبل بزوغ النور، ونظراً لما كان يصاحب ذلك من الضجة التي تحدثها هذه الاجتماعات الكثيرة أثناء الليل، وما يلازمها من صلوات وتساييح علنية فقد صدر أمر في زمن الإمبراطور ترجان سنة (١١٢ م) بإبطال هذه الاجتماعات الليلية، ومن ثم تُركت^(٣) المسألة لاستحسان الكنائس، وقد جرت العادة في الكنيسة أن تمارسه مرة كل شهر أو شهرين أو ثلاثة^(٤).

وتلزم الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية أتباعهما بممارسة هذا السر مرة في السنة على الأقل في موسم عيد الفصح^(٥).

سادساً: ترى الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية أن العبادة الواجبة لسر الإفخارستيا هي عبادة السجود التي تؤدي لله وحده؛ لاعتقادهم بأن الرب يحضر حضوراً حقيقياً أثناء إقامة هذا السر، بخلاف الكنيسة البروتستانتية التي لا تحدد طريقة للتناول جلوساً أو ركوعاً^(٦).

(١) الفروق العقيدية: (ص ٢٦-٢٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٤٧).

(٢) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٩٢)، الفرق والمذاهب المسيحية: رستم: (ص ٧٥).

(٣) الإفخارستيا، متى المسكين: (ص ٤١٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٣٧).

(٤) انظر: اللاهوت النظامي: (ص ٥٢٠)، أصول التعليم المسيحي "الكتاخييمس الصغير": (ص ١٦٩)، شرح أصول الإيمان: (ص ٥٢١).

(٥) مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٩١-٩٢)، الإفخارستيا، متى المسكين: (ص ٤١٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٤٦).

(٦) مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٩١)، أسرار الكنيسة السبعة: (ص ٧٠)، علم اللاهوت النظامي: (ص ٥٢٠)، المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص ٦٩).

جاء في تعليم الكنيسة الكاثوليكية:

"س: ما هو نوع العبادة الواجب لسر الإفخارستيا؟"

ج: إنه عبادة السجود، أي العبادة التي تؤدي لله وحده وقت الاحتفال بالإفخارستيا وخارجه، فالكنيسة تحفظ بأعظم العناية الأجزاء المكرسة، وتنقلها إلى المرضى وإلى من تستحيل عليهم المشاركة في القداس، وهي تعرضها على المؤمنين للسجود لها باحتفاء، وتطوف بها وتدعوا إلى الزيارة المتواترة وإلى السجود للسر المقدس المحفوظ في بيت القربان"^(١).

قال القديس يوحنا فم الذهب: "هذا الجسد لما كان بعد في هذا المذود وخجل منه المحوس، ورجال كفره وبرابرة تركوا أوطانهم وبيوتهم وقطعوا طريقاً طويلة، وأتوا بخوف وارتجاف كثير وسجدوا له، فلنقتد إذاً بالبرابرة على الأقل نحن أبناء السماوات"^(٢).

(١) مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٩١)، وانظر: الإفخارستيا، متى المسكين: (ص ٤٢٣).

(٢) أسرار الكنيسة: (ص ٧٠). يظهر هنا مدى تأثير فم الذهب بالبيئة الوثنية التي أحاطت بالنصرانية.

المبحث الخامس: مسحة المرضى.

مسحة المرضى هي سر إلهي مقدس عند الأرثوذكس والكاثوليك على حد سواء، به ينال المريض المؤمن شفاء أمراضه النفسية والروحية والجسدية، إذ يمسحه الكاهن بزيت مقدس، ويستمد له النعمة الإلهية^(١).

ومادة مسحة المرضى: هي زيت الزيتون الذي شاع استعماله منذ العهد القديم لمعالجة الجروح والأمراض الجلدية، فهو من طبيعته يرمز إلى مفعول السر، أي شفاء النفس والجسد^(٢)، ويستدلون لذلك بما ورد في مرقس أن رسل المسيح عندما خرجوا للكراسة قد "دهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم"^(٣) وبما جاء عن القديس يعقوب الرسول حين تكلم صراحة في الكتاب المقدس: "أمريض أحدٌ بينكم فليدع شيوخ الكنيسة فليصلوا عليه ويدهنوه بزيتٍ باسم الرب، وصلاة الإيمان تشفي المريض، والرب يقيمه، وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له"^(٤).

ويتم هذا السر في الكنيسة الأرثوذكسية للمرضى عموماً سواء كان المرض خفيفاً أو ثقیلاً، ويطلق عليه الأسماء التالية: "زيت مقدس، صلاة الزيت، التقديس بالزيت، مسحة بالزيت المبارك"^(٥).

و"صلاة القنديل" حيث كان القدماء يضعون الزيت في قنديل ولا يزال ذلك جارياً إلى الآن^(٦).

(١) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية (ص ٣٣٤)، اللائح النفيسة (٢/١٩٥)، الأنوار في الأسرار (ص ٢٥٦)، الفروق العقيدية (ص ٢٦)، موسوعة علم اللاهوت (٢/٢٦٤)، المجموع الصفوي (١/٢٠٤)، أسرار الكنيسة: (ص ١٢٢)، كثر النفائس (ص ١٨٨).

(٢) انظر: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر (٣/٩٩).

(٣) (مر ٦: ١٣).

(٤) (يع ٥: ١٤ - ١٥).

(٥) الأنوار في الأسرار (ص ٢٠٦-٢٠٧، ٢٦٦).

(٦) اللائح النفيسة (٢/٢١٥).

وفي الكنيسة الكاثوليكية يسمى بالمسحة الأخيرة، وسر المنازعين، وذلك لأن الكنيسة الكاثوليكية أخذت تقصر مسحة المرضى أكثر فأكثر على المشرفين على الموت، لكي يقويهم في نزاع الموت^(١).

جاء في وثيقة من وثائق المرضى في المجمع التريدينتيني في جلسته (١٤) في ٢٥ تشرين الثاني (١٥٥١م) تحت مسمى "تعليم في سر مسحة المرضى": "ومن المقرر أيضاً أن تعطى هذه المسحة للمرضى، ولا سيما أولئك الذين هم في خطر شديد ينذر بنهاية الحياة"^(٢)، كما أن هذا السر لا يمنح في الكنيسة الكاثوليكية لعديمي العقل والتمييز أو الأطفال الصغار^(٣)، يقول الأب بطرس غوري "الكاثوليكي": هذا السر لا ينبغي إعطاؤه إلا للمريض يخشى موته، ولا يعطى لمن لا يكون قد بلغ سن التمييز، ولا لمن كان معتوهاً كل عمره؛ لانتفاء اقترافهما خطية فعلية"^(٤).

ويتم هذا السر في الكنيسة الأرثوذكسية:

فيتم مسح المريض وفق طقوس معينة على النحو التالي:

"توضع منضدة في وسط الكنيسة، أو في غرفة المريض، يوضع عليها الإنجيل المقدس والصليب الكريم ووعاء فيه قمح يابس، ووعاء مملوء زيتاً وخمراً أو قنديلاً، ويغرسون في القمح سبعة عيدان صغيرة بحسب عدد الكهنة"، "ملفوفة رؤوسها بقليل من القطن لأجل دهن المريض بها، وكذلك جرت العادة أن تغرس في القمح سبع شمعات مضاءة، وتتلى في هذا السر سبع رسائل وسبعة أناجيل وسبعة أفاشين، ويدهن المريض الذي لأجله تقام الصلاة

(١) انظر: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر (٩٨/٣)، موسوعة علم اللاهوت (٢٦٧/٢)، الفروق العقيدية

(ص٢٧)، كثر النفائس (ص١٨٨)، الأنوار في الأسرار (ص٢٠٧، ٢٦٦، ٢٧١).

(٢) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٤٣١/١).

(٣) انظر: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٩٨/٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٢٦٧/٢).

(٤) علم اللاهوت، الأب بطرس غوري: (٦٦٢/٢)، نقلاً عن موسوعة علم اللاهوت: (٢٦٨/٢).

سبع مرات" (١) بالزيت الذي سبق تقديسه وتبريكه من قبل الكهنة على شكل صليب في سبع محلات من جسده: في جبهته وأنفه وقدميه وصدرة ويديه داخلاً وخارجاً، وقد جرت العادة أن يقوم بهذه الخدمة سبعة كهنة، وفي وقت الضرورة أقل من ذلك أو كاهن واحد، ثم يتلو الكاهن صلاة الإيمان حيث يدهن المريض قائلاً: "يا أبتاه القدوس يا طيب النفوس والأجساد يا من أرسلت ابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح شافياً لكل مرض ومنقذاً من الموت أشف عبدك هذا" فلان "من الأمراض المستحوذة عليه النفسية والجسدية، وأحياه بنعمة مسيحك بشفاعات الفائق قدسها سيدتنا والدة الإله" (٢).

أما في الكنيسة الكاثوليكية: فيتضمن الاحتفال بهذا السر بصورة رئيسية المسحة بالزيت الذي يباركه الأسقف إذا أمكن، فيدهن جبين المريض وتدهن يديه. . . ، وترافق المسحة صلاة الكاهن الذي يلتمس فيها النعمة الخاصة بالسر" (٣).

وهناك نزعة في الكنيسة الكاثوليكية للاحتفال بهذا السر بطريقة جماعية في الكنيسة لمساعدة المرضى على الشعور بأنهم وبالرغم من مرضهم لا يزالون أعضاء أحياء في جسد الكنيسة، ويحمل الأصحاء على إدراك مسؤوليتهم تجاه المرضى، وهكذا يتأمل الجميع في سر المرض والعذاب ويجددون إيمانهم بأن المحبة أقوى من الخطيئة، والحياة أقوى من الموت (٤).

وبممارسة هذا السر ينال المريض شفاء أمراضه الروحية، وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له؛ لأن المتقدم للسر يجب أن يعترف بخطاياها أولاً، ويتوب عنها، كما ينال شفاء أمراضه الجسدية حسب مشيئة الله وإيمان المريض، أما الذين لا يحصلون على الشفاء فهذا

(١) كراس خدمة سر مسحة المرضى "سر الزيت المقدس" اعتنى بجمعه وترتيبه: قدس الأرشمندريت د. ميليتيوس بصل، رئيس دير تجلي الرب والرئيس الروحي لمدينة رام الله: (ص ١)، وانظر: اللائح النفيسة: (٢/٢١٨-٢٢٧).

(٢) الأنوار في الأسرار: (ص ٢٦٧-٢٦٨).

(٣) مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٩٩).

(٤) انظر: اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (٣/١٠٠).

بسبب عدم إيمانهم، أو أن تكون هذه إرادة الرب أن يستمر الإنسان في مرضه لفائدته الروحية، وبعد إتمام هذا السر ينبغي أن يتناول من الإفخارستيا^(١).

أما الكنيسة البروتستانتية فلا تعتبره سرّاً مقدساً، ولا مغفرة للخطايا بواسطته؛ لأنه لا يستند على أساس كتابي صحيح، بل هو من جملة العوائد اليهودية التي يجب رفضها^(٢).

(١) انظر: مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ٩٩-١٠٠)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٢٣٥).

(٢) انظر: كتر النفائس: (ص ١٨٨)، الفروق العقيدية: (ص ٢٧)، شرح أصول الإيمان: (ص ٤٨١-٤٨٢)، المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص ٩١-٩٤).

المبحث السادس: الزواج.

الزواج هو عهد وسر مقدس عند الأرثوذكس والكاثوليك، فيه يتحد ويرتبط الزوجان اتحاداً وارتباطاً مقدساً بفعل الروح القدس، ويرمز إلى الاتحاد السري بين الكنيسة ورأسها الإلهي، ويتم بين ذكر وأنثى برضاهما التام، ويباركه وفقاً للطقوس الكنسية الأساقفة والقسوس، وغاياته إنجاب الأولاد وتربيتهم والعيشة المشتركة بين الزوجين معاً مدى الحياة، والتعاون في السراء والضراء، والمشاركة في الحقوق والواجبات^(١) "وبواسطة سر الزيجة ينال الزوجان النعمة الإلهية التي هي ضرورية بلا بد لقيام الزيجة وتقديسها"^(٢).

ويستدلون لذلك بما نُسب للمسيح من تأكيد بأن "الذي جمعه الله لا يفرقه إنسان"^(٣).

أما البروتستانت فلا يعتبرون الزواج سرّاً مقدساً^(٤) بل "تكملة بسيطة ينال بها الشخصان المزمعان أن يتحدا بشركة الزواج البركة الكنائسية التي هي مفيدة، ولكنها ليست ضرورية بلا بد لأجل قيام رباط الزيجة"^(٥).

جاء في شرح أصول الإيمان: "إن الزواج قد جعل للمؤمنين والأشرار سواء بسواء، فكيف يكون إذ ذاك سرّاً كنسياً؟!!"^(٦).

(١) انظر: دليل الزواج للطوائف المسيحية، إعداد المجلس الوطني لشؤون الأسرة: (ص ١٢)، الفروق العقيدية: (ص ٢٦ - ٢٧)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٣٣٦، ٣٣٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٦٨-٢٧٠)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ١٠٤-١٠٦)، شرح أصول الإيمان: (ص ٤٨٠)، اللاهوت النظامي: (ص ٥٣١)، الأنوار في الأسرار: (ص ٢٦٨)، اللآلئ النفيسة: (٢/١٠٢-١٠٦، ١٣٦-١٣٧).

(٢) كتر النفائس: (ص ١٨٧).

(٣) (مر ١٠: ٩).

(٤) انظر: الفروق العقيدية: (ص ٢٧-٢٨)، شرح أصول الإيمان: (ص ٤٨٠)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة: (١/٢١)، المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص ٩٠).

(٥) كتر النفائس: (ص ١٧٨).

(٦) شرح أصول الإيمان: (ص ٤٨٠).

وللزواج عند النصارى صفتان جوهريتان:

الصفة الأولى الوحدانية: "وحدة الشريك"، "وحدة الزيجة"، يعني ذلك أن يكون للرجل امرأة واحدة، وللمرأة رجل واحد، وهذا رجوع للأصل؛ لأن الله منذ البدء خلقهما ذكراً وأنثى، فلا يجوز زواج رجل مرتبط بامرأة، ولا زواج امرأة مرتبطة برجل، أي منع تعدد الأزواج والزوجات خلافاً لما كان سائداً لدى بعض الأمم من اقتران المرأة الواحدة برجال كثيرين في وقت واحد^(١)، ويستدلون على ذلك بقول بولس: "ليكن لكل واحد امرأته، وليكن لكل واحدة رجلها"^(٢).

ويعد تعدد الزوجات من الأمور المحرمة عند النصارى^(٣) حيث يعد من الخطايا الثقيلة عند الكاثوليك^(٤)، ومن الأمور المغايرة لروح العفة عند البروتستانت^(٥).

الصفة الثانية الديمومة: "الاستمرارية" فالزواج لدى النصارى غير قابل للانفصال والانحلال ما دام كلا الزوجين على قيد الحياة، "فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان"^(٦)، إلا لعدة "الخيانة الزوجية أو لأسباب أخرى في غاية الأهمية"^(٧).

(١) انظر: دليل الزواج للطوائف المسيحية: (ص ١٢)، أسرار الكنيسة: (ص ١٣٧)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٣٣٧)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٧١-٢٧٣)، شرح أصول الإيمان: (ص ٣٩٣)، مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية: (ص ١٠٥)، اللائح النفيسة: (٢/١١٦-١١٧)، الأنوار في الأسرار: (ص ٢٨٨-٢٨٩)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتاخيسمس الصغير": (ص ٣١).

(٢) (١ كو ٧: ٢).

(٣) انظر: اللائح لنفيسة: (٢/١١٧)، أسرار الكنيسة: (ص ١٣٨)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٧١).

(٤) مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية: (ص ١٠٧).

(٥) شرح أصول الإيمان: (ص ٣٩٣).

(٦) (مت ١٩: ٦).

(٧) كتر النفائس: (ص ١٨٧)، وانظر: الفروق العقيدية: (ص ٢٦-٢٧)، اللائح النفيسة: (٢/١١٧)، موسوعة علم

اللاهوت: (٢/٢٧٤)، الأنوار في الأسرار: (ص ٢٩٠-٢٩٣)، "الكتاخيسمس الصغير": (ص ٦٩)، الصخرة

الأرثوذكسية: (ص ٦٢).

ويستدلون على ذلك بما نسب للمسيح: "من طلق امرأته فليعطيها كتاب طلاق، وأما أنا فأقول لكم: إن من طلق امرأته إلا لعله الزنى يجعلها تزني، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني" (١).

ولذلك يرى الأرثوذكس بأنه "لا طلاق إلا لعله الزنا، ولا زواج بمطلقات أو بمختلفي الديانة أو المذاهب أو الطائفة أو عن طريق غير الكاهن الأرثوذكسي، ويجوز التفريق بين الزوجين إذا خرج أحدهما عن الإيمان الأرثوذكسي" (٢)، كما لا يجوز لشخص رجلاً كان أو امرأة أن يتزوج لأكثر من ثلاث مرات أيّاً كان السبب.

بخلاف الكاثوليك والبروتستانت الذين يجيزون ذلك بشرط موت الطرف الآخر، ولا يجوز للوصي أو أولاده أو أحفاده حتى بعد وفاته أن يتزوج من هي تحت وصايته، ويمنع الزواج من القرابة المثلثة بين ثلاثة أصناف من القرابة، ويمنع الزواج حتى الدرجة الثالثة فمثلاً: لا يتزوج زوج الأم زوجة ابن زوجته، ولا ابنة ابنة زوجته وما إلى ذلك (٣).

أما الكاثوليك "فلا يسمحون بالطلاق حتى لعله الزنا، ويكتفون بالتفريق الجسماني بين الزوجين، ويجوز الزواج بين المسيحي وغير المسيحي، وبين الكاثوليكي وغيره من المسيحيين" (٤) بترخيص من السلطة الكنسية.

جاء في تعليم الكنيسة الكاثوليكية ما نصه: "لكي تكون الزواجات المختلطة - بين كاثوليكي ومعمد غير كاثوليكي - جائزة لا بد من ترخيص من السلطة الكنسية، أما الزواجات في حالة اختلاف الدين - بين كاثوليكي وغير معمد - فلا بد من تفسيح لكي تكون صحيحة، وفي كل حال يجب ألا يستبعد الزوجان الاعتراف بغايات الزواج وخصائصه الجوهرية، وأن يقبل

(١) (مت ٥: ٣١-٣٢).

(٢) الفروق العقيدية: (ص ٢٧-٢٨)، وانظر: موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٧٤-٢٧٥)، أسرار الكنيسة:

(ص ١٤٠-١٤٣)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٣٣٨)، اللائح النفيسة: (٢/١١٣-١١٧، ١٢٥)، الأنوار في

الأسرار: (ص ٢٨٧-٢٨٨)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٦٢-٦٣).

(٣) دليل الزواج للطوائف المسيحية: (ص ١٤-١٥)، وانظر: كتر النفائس: (ص ١٨٧)، اللائح النفيسة: (٢/١٢٥)،

الأنوار في الأسرار: (ص ٢٨٧-٢٨٨).

(٤) الفروق العقيدية: (ص ٢٧-٢٩)، وانظر: كتر النفائس: (ص ١٨٧)، مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية:

(ص ١٠٧)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص ٦٢-٦٣).

الزوج الكاثوليكي بمعرفة الطرف الآخر بما عليه من التزامات، بالمحافظة على إيمانه، وتعميد الأولاد، وتربيتهم في الكنيسة الكاثوليكية"^(١).

"ولا يرخص الكاثوليك بزواج أحد الزوجين إلا بعد موت الآخر"^(٢)، كما يمنع زواج من ارتكب جريمة قتل زوج امرأة ليتزوجها، أو من قتلت امرأة رجل لتتزوجه، ويمنع أيضاً زواج من اشتركا معاً في قتل زوج أو زوجة أحدهما بقصد الزواج، ومعاشرة الرجل لامرأة بزواج باطل أو بزواج مدني أو بدون زواج يمنع زواج أحدهما بأحد أقارب الشخص الآخر من الدرجة الأولى بقرابة دموية"^(٣).

أما البروتستانت فلا يجيزون الطلاق إلا لعدة الزنا^(٤) أو الهجر المتعمد^(٥).

جاء في أصول التعليم المسيحي ما نصه: "ينهى الله عن فسخ عهد الزواج عن طريق عدم الأمانة أو الهجر، ولكنه يسمح للطرف البريء بالحصول على الطلاق عندما تثبت إدانة الطرف الآخر بالزنا"^(٦)، ولا يجوز زواج المطلق أو المطلقة، حيث يعد الزواج ثانية من أشخاص مطلقين (رجالاً، ونساءً) علاقة زنا، كما لا يجوز زواج من يحمل مرضاً تناسلياً أو معدياً أو من كان مريضاً عقلياً^(٧).

ويلخص إقرار إيمان ويستمنستر الموضوع على النحو التالي:

"في حالة الزنا بعد الزواج، فإنه من المشروع للطرف البريء أن يرفع قضية طلاق، وبعد الطلاق مسموح له أن يتزوج من آخر، كما لو أن الطرف المسيء قد مات. . . .

(١) مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية: (ص ١٠٦-١٠٧).

(٢) كتر النفاس: (ص ١٨٧).

(٣) دليل الزواج للطوائف المسيحية: (ص ١٥).

(٤) انظر: شرح أصول الإيمان: (ص ٣٩٤)، أصول التعليم المسيحي "الكتاخسيسم الصغير": (ص ٦٩)، حقائق

وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص ٢٩٩-٣٠٠).

(٥) حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص ٣٠٠).

(٦) شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتاخسيسم الصغير": (ص ٦٩).

(٧) انظر: دليل الزواج للطوائف المسيحية: (ص ١٥)، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص ٣٠٠).

على الرغم من أن فساد الإنسان يدفعه إلى دراسة الحجج بإفراط ليبيعد بين أولئك الذين ربطهم الله معاً في الزواج، ومع ذلك فلا شيء سوى الزنا أو الهجر المتعمد الذي لا تستطيع الكنيسة أو القاضي المدني إصلاحه، يعد سبباً كافياً لفسخ رابطة الزواج، وفي حين أنه سيتم مراعاة بعض الإجراءات العامة والمنظمة، ولا يترك الأشخاص الذين يتعلق بهم الأمر ليتصرفوا بحسب إرادتهم أو على هواهم بالنسبة لقضيتهم"^(١).

(١) حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: (ص ٣٠٠).

المبحث السابع: الكهنوت أو الرسامة.

تختلف كنائس النصارى حول سر الكهنوت فهو سر مقدس عند الأرثوذكس والكاثوليك فيه يضع الأسقف يده على رأس الشخص المختار للخدمة، ويصلي من أجله فينسكب عليه الروح القدس، ويمنحه الدرجة الكهنوتية المتقدم لها، ويصبح له سلطان مباشرة الخدمة الكنسية بحسب رتبته^(١).

كما يدعى هذا السر أيضاً "بالشرطونية"، وذلك لأن رسل المسيح - كما يعتقد النصارى - كانوا يتممون هذا السر، ويرقون الكثيرين إلى درجات الكهنوت المتنوعة بوضع الأيدي^(٢)، ويحتفل بسر الكهنوت على النحو التالي:

"يمنح سر الكهنوت في درجاته الثلاث، بوضع يد الأسقف على رأس المرتسم وهو يتلو صلاة التكريس الاحتفالية، ويطلب الأسقف فيها إلى الله أن يفيض على المرتسم الروح القدس، بفيض خاص مع مواهبه لأجل الخدمة"^(٣).

أما البروتستانت فلا يرون الكهنوت سرّاً^(٤)، بل "تكملة بسيطة تستمد فيها الكنيسة البركة الإلهية للمنتخب لخدمتها وتحوّله بواسطة قسوسها - وفي الكنيسة الإنكليكانية بواسطة أساقفتها - سلطان الكرازة بكلمة الله وتتميم الأسرار"^(٥)، ومنهم من يعتقد بالكهنوت العام لجميع المؤمنين^(٦).

-
- (١) انظر: الفروق العقيدية: (ص ٢٨-٢٩)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٣٣٩)، كتر النفائس: (ص ١٨٩)، الأنوار في الأسرار: (ص ٣٢٢)، اللآلئ لنفيسة: (٢/٢٢٨-٢٢٩)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٧٨)، أسرار الكنيسة: (ص ١٥٠)، شرح أصول الإيمان: (ص ٤٧٧)، اللاهوت المسيحي: (٣/١١٧-١١٨).
- (٢) انظر: أسرار الكنيسة: (ص ١٥٠)، الأنوار في الأسرار: (ص ٣٢٣)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٨٢).
- (٣) مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ١٠٣).
- (٤) انظر: كتر النفائس: (ص ١٨٩)، وانظر: الفروق العقيدية: (ص ٢٩)، اللاهوت المقارن: البابا شنودة (١/١٢)، شرح أصول الإيمان: (ص ٤٧٧).
- (٥) كتر النفائس: (ص ١٨٩).
- (٦) الفروق العقيدية: (ص ٢٩)، وانظر: اللآلئ النفيسة: (٢/٢٢٩)، المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص ٨١).

درجات الكهنوت.

الرتب العليا عند الأرثوذكس والكاثوليك منذ العصر الرسولي ثلاث، وقد أقيمت بحق إلهي لا بحق كنائسي - كما يزعمون - وهي على النحو التالي:

الأسقفية: هي العليا، والثانية: القسيسية وتخضع للأولى، والثالثة: الشماسية وهي الأخيرة.

بخلاف الكنيسة البروتستانتية التي تعتقد أن لخدام الكنيسة درجتين فقط هما: درجة القس ودرجة الشماس، وأن درجة الأسقف هي درجة القس نفسها^(١).

ويقسمها الأرثوذكس بمزيد من التفصيل على النحو التالي:

الرتبة الأولى: الأسقفية: بدرجاتها الثلاث: البطارقة، المطارنة، والأساقفة، وهؤلاء على اختلاف أسمائهم يدعون رؤساء، لأنهم يرأسون الكهنة والشماسية والرعية.

الرتبة الثانية: القسيسية: وهي الرتبة الوسطى، تخص الكهنوت وينطوي تحتها خوربيسكوبوس، وأبروطس، وقس، فالخوربيسكوبوس كان يقيم كخليفة لأسقف المدينة على القرى والمزارع كما يدل عليه اسمه اليوناني الأصل: معناه أسقف المسارح، وقد أعطيت له سلطة أن يقسم الأبودياكن والأغنطس والأبصليتس، وأن يدير الكنائس تحت رعايته، وقد ألغيت هذه الوظيفة واستعوض عنها بوظيفة (القمص)، وهو المدعو "أبروطس"، وهي كلمة يونانية معناها نائب الأسقف، والايغومانوس "القمص" كلمة يونانية الأصل، معناه كبير القسوس أو مدبر، ولا فرق بينه وبين الخوربيسكوبوس إلا من حيث الشرطونية، ولذا تعتبر وظيفته دون أسقف المسارح، وإنما له أن يقضي في بعض الأحكام والقضايا، وما أشكل

(١) انظر: أسرار الكنيسة: (ص ١٧٧)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص ١٠١)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/ ٢٨٠)، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: (ص ٣٣٩-٣٤٠)، كتر النفائس: (ص ١٩١)، اللآلئ النفيسة: (٢٣٣/٢)، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر: (١١٩/٣)، الأنوار في الأسرار: (ص ٣١٥)، الفروق العقيدية: (ص ٢٨).

عليه يرفعه إلى أسقفه ليحكم فيه، وله أيضاً أن ينوب عن الأسقف في غيابه، ويكرس المذبح والمعمودية ولكن بإذن أسقفه.

أما قس فهي لفظة سريانية معناها الشيخ الكبير.

الرتبة الثالثة: الشماسية^(١): وهذه الرتبة تنطوي تحتها ثلاث درجات: "أبودياكن، أغنطس، ابصليتس" وهي أحط الرتبين السابقتين.

وعلى الشماسية بدرجاتهم الثلاث واجبات منها:

أن يعلموا الشعب، ويعظوا بالإنجيل في الكنيسة بإذن الأسقف، وأن يوزعوا الصدقات على الأرملة، وأن يحملوا الكأس، ويقربوا الشعب، ليس لأنهم كهنة بل لأنهم خدام الكهنة، وأن يتفقدوا المرضى والمتضايقين لإطلاع الأسقف على أحوالهم ليتفقدهم، وإذا لم يحضر القس في الولايم لهم أن يصلوا عوضه، ويكسروا الخبز للبركة ويوزعوه، ولكن لا حق لهم في إقامة الأسرار والخدم الكنسية لأن وظيفتهم المساعدة لا التتميم.

أما الأبودياكن: "تابع للشماس أو المعين"، والأغنطس "القارئ" والأبصليتس "المرتل" فليس لهم أن يعملوا سوى ما تدل عليه أسماءهم لفظاً ومعنى.

فلأبودياكن أن يخدم الشماس، ويحمل الكتب، ويصلح المصاييح في القداس، وللقارئ أن يقرأ الكتب، وللمرتل أن يرتل فقط^(٢).

(١) الشماس: كلمة يونانية معناها خادم. ولفظ الكلمة اليوناني (دياكونس) وتستخدم لخدمة الدين، معجم المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية، قاموس الكتاب المقدس: (ص ١٠٤٠)، قاموس المصطلحات القبطية: (ص ٢٧).

(٢) انظر: اللآلئ النفيسة: (٢/٢٤٠-٢٤٩)، موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٨٠)، الأنوار في الأسرار: (ص ٣١٥-٣٢١، ٣٣٠)، أسرار الكنيسة: (١٧٧-١٧٩، ١٨٢)، المجموع الصفوي: (ص ١٩-٧٨)، المعمودية والإفخارستيا والكهنوت، تعريب ميشال نجم، منشورات النور بالاشتراك مع مجلس كنائس الشرق الأوسط ١٩٨٤م: (ص ٨٠-٨١).

ويشكل البابا البطريرك في الكنيسة الأرثوذكسية مع المطارنة والأساقفة المجمع المقدس الذي يعد الهيئة العليا في الكنيسة، ومتى اجتمع الأساقفة في المجمع المسكونية تحت رئاسة البطاركة أو المطارنة وحكموا في مسألة دينية فإن أحكامهم تكون معصومة عن الخطأ "بقدر ما تكون مطابقة للحق الإلهي المعلن في الإنجيل المقدس والتقليد وقوانين الكنيسة وتعليم الآباء"^(١).

أما الكنيسة الكاثوليكية: فتعتقد أن "مجمع الكرادلة برئاسة البابا هو الهيئة العليا في الكنيسة، وتحت رئاسة البابا بطاركة، وهؤلاء الذين يرأسون المطارنة والأساقفة والقسوس"^(٢)، وأعلى رتبة في الكنيسة للبابا وحده؛ لأنه هو -بزعمها- رأس الكنيسة وخليفة بطرس وهو يسوس الكنيسة بصفة كونه رئاسة عليا مطلقة وغير محصورة، وأنه معصوم عن الخطأ في أحكامه، وأن الأساقفة الآخرين جميعهم منه يأخذون السلطان ويكونون نواباً عنه، وأن البابا هو أعلى من المجمع المسكونية"^(٣).

جاء في المجمع الفاتيكاني الثاني في جلسته الخامسة (١٩٦٤م) عن نظام السلطة الكنسية ولا سيما الأسقفية تحت عنوان: "الهيئة الأسقفية ورأسها" ما يلي:

"بيد أن الهيئة الأسقفية أو الجسم الأسقفي لا سلطان لها ما لم نتصورها متحدة بالخير الروماني خليفة بطرس اتحاداً برأسها محتفظاً بسلطانه الرئاسي الأعلى كاملاً على الجميع سواء كانوا رعاة أم مؤمنين، وذلك الخير الروماني بحكم مهمته كنائب للمسيح وراع للكنيسة كلها، يملك في الكنيسة السلطان الكامل الأعلى الجامع، وله أن يمارسه على الدوام وبدون ما قيد، وأما الهيئة الأسقفية التي تخلف الهيئة الرسولية في سلطان التعليم والتدبير الرعوي، - بل فيها يستمر الجسم الرسولي على الدوام هي أيضاً بالاتحاد مع الخير الروماني رئيسها وليس أبداً بمعزل عن هذا الرئيس - تملك السلطان الأعلى والكامل على الكنيسة كلها، وإنما لا يمكن أن تزاوله إلا بموافقة الخير الروماني، فالرب قد جعل من سمعان وحده

(١) الفروق العقيدية: (ص ٢٨-٣٠)، وانظر: كتر النفائس: (ص ١٩١).

(٢) الفروق العقيدية: (ص ٢٩-٣١).

(٣) كتر النفائس: (ص ١٩١).

صخرة لكنيستته، وله وحده سلّم مفاتيحها (مت ١٦ : ١٨ - ١٩) وأقامه راعياً لقطيعه كله: (يو ٢١ : ١٥) بيد أن مهمة الحل والربط التي أعطيت لبطرس: (مت ١٦ : ١٩) قد أعطيت أيضاً ولا شك لهيئة الرسل متحدّين برئيسهم، وهذه الهيئة المؤلفة من عديدين تعبر عن التنوع والشمول في شعب الله، وتتجمعها تحت رأس واحد تعبر عن الوحدة في قطيع المسيح^(١).

كما جاء في الجلسة نفسها تحت عنوان: "وظيفة الأساقفة التعليمية" ما يلي:

"ولئن كان الأساقفة لا يتمتعون منفردين بامتياز العصمة فإنهم على غير ذلك - وإن كانوا منتشرين في العالم ولكن متحدّين فيما بينهم ومع خليفة بطرس برباط الشركة - إذا اتفقوا على التعليم بوجه صحيح، بأن عقيدة تتعلق بالإيمان والآداب تلزم بوجه مطلق فتعليمهم إذ ذاك تعليم المسيح يعبرون عنه بعصمة، إن هذه العصمة التي شاء الفادي الإلهي أن يمدّ بها كنيستته لكي تحدد التعليم المتعلق بشؤون الإيمان والآداب، وإنما تتسع اتساع مستودع الوحي الإلهي بالذات الذي يجب الحفاظ عليه بقداسة وعرضه بأمانة، وهذه العصمة التي يتمتع بها الحبر الروماني ورئيس هيئة الأساقفة. . . . لذلك يقال في التحديدات التي يلفظها أئمة بقوة ذاتها لا بقوة قبول الكنيسة لها لا تقبل التعديل، لأنها صدرت بمعونة الروح القدس التي وعد بها في شخص القديس بطرس ولا يعوزها من ثم موافقة الغير، ولا يمكن أن تكون موضع استئناف إلى محكمة أخرى، وذلك الحبر الروماني لا يصدر الحكم بصفة كونه شخصاً منفرداً وإنما يعرض عقيدة الإيمان الكاثوليكي ويذود عنها بصفة كونه للكنيسة الجامعة هو المعلم الأعلى الذي يستقر فيه، بصفة فريدة، امتياز العصمة الذي هو امتياز الكنيسة بالذات والعصمة التي وعدت بها الكنيسة مستقرة أيضاً في هيئة الأساقفة عندما تمارس سلطاتها التعليمي الأعلى بالاتحاد مع خليفة بطرس"^(٢).

بخلاف الكنيسة البروتستانتية: التي تقول بأن أحكام المجامع المسكونية غير معصومة

عن الخطأ^(٣).

(١) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: (٢/٩٤٥).

(٢) المصدر السابق: (٢/٩٤٩).

(٣) كتر النفائس: (ص ١٩٢).

وترى الكنيسة الأرثوذكسية أن الإكليروسيين يجب أن ينتخبوا من قبل الأساقفة والشعب، وأن يأخذوا الوظيفة من الأساقفة بواسطة سر الكهنوت الذي به تعطى لهم نعمة الروح القدس.

أما الكنيسة الكاثوليكية: فترى أن الإكليروسيين يجب أن ينتخبهم الأساقفة، وبعد أن يصدق البابا على انتخابهم ويثبته يأخذون الوظيفة من أيدي الأساقفة، بواسطة سر الكهنوت الذي به يعطون نعمة الروح القدس.

أما الكنيسة البروتستانتية: فتعتقد أن الشعب له أن ينتخب خدام الكنيسة، ومنه يعطى لهم السلطان، وأنه حين وضع الأيدي "الشرطونية" تستمد الكنيسة بركة الله للشخص المنتخب للخدمة، وأن كل واحد من خدام الكنيسة يقدر أن يتمم عمل الشرطونية.

وترى الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية أن جميع الإكليروسيين قد نالوا من المسيح سلطان المفاتيح، أي الحق بأن يغفروا الخطايا وبأن يجرموا أي يبعثوا من الكنيسة الكفرة والأشرار الذين لا يرجى إصلاحهم، ويعد هذا بمثابة نفي وحرمان من الخلاص الأبدي.

بينما ترى الكنيسة البروتستانتية أن الإكليروسيين يأخذون من الكنيسة نفسها أي من المؤمنين سلطان المفاتيح، أي الحق بأن يجرموا ويبعثوا من الكنيسة باسم ملتهم نفسها الخطاة الذين لا يرجى إصلاحهم، "ولكن هذا الحرم لا يسبب فقدان الخلاص الأبدي، وأن يبلغوا باسم يسوع المسيح مغفرة الخطايا للتائبين"^(١).

جاء في شرح أصول التعليم المسيحي للكنيسة البروتستانتية ما يلي:

"تختار الكنيسة المسيحية المحلية رجالاً حسب مشيئة الله وتدعوهم خداماً، يقوم هؤلاء الخدام علانية باسم المسيح وباسم جماعة المؤمنين بتنفيذ عمل سلطة مفاتيح الملكوت. . . . إن خدام المسيح المدعوين يكرزون بكلمة الله ويمارسون خدمة الأسرار المقدسة، ومن خلال وسائل النعمة هذه يمنحون مغفرة الخطايا إن هذا مقبول في السماء أيضاً كما لو أن المسيح نفسه إلهنا الحبيب تعامل معنا. . . . وعلى خدام المسيح المدعو أن ينفذ قرار الكنيسة، أي عليه أن يفصل الخاطئ المحروم عن الكنيسة ويحرمه من الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها المسيحي المؤمن. . . .

(١) كتر النفائس: (ص ١٩٢).

ليست الغاية من الحرم هدم حياة الشخص المحروم إلى الأبد، بل لأجل خلاص نفسه عليه أن يرى عظم خطيته ويتوب. . . . إذا اعترف بخطيته إلى الكنيسة وواعد بإصلاح نفسه فعلى الكنيسة أن تقبله ثانية بمثابة أخ" (١).

أما بالنسبة للزواج فإن الكنيسة الأرثوذكسية تعتقد أن الأساقفة يجب أن يكونوا أحراراً من الزواج، وأن يساموا وهم في سن الخمسين، وأما القسوس فيجب أن يشرطنوا في سن الثلاثين، والشمامسة الذين يجب أن يشرطنوا في سن (٢٥) فمباح لهم أن يتزوجوا مرة واحدة فقط، وذلك قبل شرطونيتهم.

بينما تعتقد الكنيسة الكاثوليكية أن جميع الإكليروسيين من بابوات وكرادلة وأساقفة وقسوس وشمامسة، وما دونهم من الإكليروس هم مكلفون بأن يندروا البتولية، ومن ثم لا يسمح لهم بالزواج مطلقاً.

بخلاف الكنيسة البروتستانتية التي تعتقد أن خدام الكنيسة والبطاركة والأساقفة ليسوا مكلفين بأن يعيشوا حياة البتولية، بل يباح لهم الزواج الأول والثاني والثالث والرابع أسوة بجميع المسيحيين (٢).

جاء في كتر النفائس: "اعلم أن زواج الإكليروسيين على اختلاف طبقاتهم كان مباحاً في الكنيسة الشرقية حتى سنة (٦٩١م)، حينما انعقد المجمع المعروف بالخامس والسادس في طرولو، وفيه صار منع الأساقفة فقط عن الزواج ليقدرُوا أن يتفرغوا لسياسة الكنيسة، أما الكنيسة الغربية فقبل ذلك المجمع بمدة طويلة كان الزواج محظوراً على عموم الإكليروس من أساقفة وشمامسة" (٣).

ولا إعادة لسر الكهنوت عند الأرثوذكس والكاثوليك.

-
- (١) شرح موجز لأصول التعليم المسيحي "الكتناخيسمس الصغير": (ص١٥٩-١٦١).
- (٢) كتر النفائس: (ص١٩٣)، وانظر: الفروق العقيدية: (ص٢٨-٢٩)، الأنوار في الأسرار: (ص٣٣٥-٣٤٠)، مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (ص١٠٤)، دليل الزواج للطوائف المسيحية: (ص١٤)، اللاهوت المقارن: شنودة: (١/١٦)، المجموع الصفوي: (١/٩٨)، شرح موجز لأصول التعليم المسيحي: (ص٣١)، الصخرة الأرثوذكسية: (ص٦٣-٦٤)، المباحث في اعتقادات بعض الكنائس: (ص٨٤-٨٨).
- (٣) كتر النفائس: (ص٤٦).

لأن المختار ينال رسماً من النعمة الإلهية لا يُمحي أثره كالمعمودية والميرون، لذلك لا يمكن أن يتكرر ولا أن يمنح بطريقة وقتية، وكل أسقف أو قس أو شماس ينال الشرطونية ثانية من أحد يُحرم هو والذي شرطته^(١).

وفي نهاية هذا الفصل لا بد من الإشارة إلى أن "استخدام كلمة "سر" فيما يتعلق بالفرائض مفهوم لا يوجد في الكتاب المقدس، ولكنه ظهر في عصور متأخرة"^(٢).

يقول الأستاذ شارل جنيبير^(٣) في كتابه "المسيحية نشأتها وتطورها": "ونمت الشعائر في المسيحية بالتوازي مع العقيدة وبنفس الأساليب، فبدأت بتلك العادات الأولى المبسطة الوافدة من اليهودية: التعميد، كسرة الخبز، وضع الأيدي على الرأس، الصلاة، الصيام، وحملت هذه العادات معاني لم تنفك تزداد عمقاً و"سرية"، ونمت وأضيفت إليها حركات شائعة لدى الوثنيين، ثم قُرنت بالمفاهيم المتسعة الأبعاد التي كانت تدخل مثلاً في طقوس "الأسرار" اليونانية والشرقية، ونفخ فيها بتلك القوة الرهيبة التي كانت للسحر قديماً. . . ؛ إلا أنه لا مجال للشك في أن الروح الوثنية، فيما يختص بمظاهر العبادة العملية قد فرضت على المسيحية شيئاً فشيئاً، حتى أصبحت نجدتها كاملةً في احتفالاتها، وزاد التقارب بشكل ملحوظ منذ القرن الرابع، عندما دعت الضرورة إلى القضاء على بعض التقاليد القديمة الصلبة، وكانت سلطة رجال الكنيسة من ناحية أخرى، تعمل على دعم ذلك الحق الذي اكتسبته منذ فترة طويلة والذي انتهت إلى التفرد به رغم بعض التردد، ألا وهو: التصرف في القوة السحرية للطقوس التي سميت بالأسرار القدسية"^(٤).

(١) انظر: موسوعة علم اللاهوت: (٢/٢٨٢)، مختصر التعليم للكنيسة الكاثوليكية: (ص ١٠٤)، أسرار الكنيسة:

(ص ١٨٢)، الأنوار في الأسرار: (ص ٣٣٠).

(٢) دائرة المعارف الكتابية، (٤/٣٧٤).

(٣) شارل جنيبير: مؤرخ فرنسي، نشأ في بيئة كاثوليكية متعصبة، ترقى في العديد من المناصب الجامعية، وشغل منصب أستاذ تاريخ المسيحية في جامعة باريس أكبر جامعة في فرنسا، ثم عين رئيساً لقسم تاريخ الأديان فيها، تميز بالتحرد في دراسته للتاريخ فلم يتأثر في أحكامه بعقيدته، بل عرف بنقده الصريح للمسيحية وتاريخها ونصوصها، مات بعد الحرب العالمية الثانية، له العديد من المؤلفات منها: المسيحية في العصور الوسطى، المسيحية في العصور الحديثة، المسيحية نشأتها وتطورها. انظر: المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت: (ص ٦-٧).

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها: (ص ١٢٦).

وقال في موضع آخر عن تصور النصراني لسر الشركة: "إن هذا التصوير للقربان إنما يعني إدخال "قطعة من الوثنية" في الدين المسيحي، وعلينا أن نفهم من ذلك بطبيعة الحال: أنّها قطعة من وثنية الأسرار"^(١).

ثم سطر شهادته للتاريخ قائلاً: "إننا عندما نتأمل مسيحية القرون الوسطى هذه في الكنائس الفاخرة التي اتخذتها مقراً، والتي تعددت وتكاثرت بصورة هائلة، وفي الاحتفالات الفخمة التي تقام لها، والتي نمت وتضخمت بطقوسها ورموزها المحركة. . . مسيحية في القرون الوسطى عندما نتأملها، ثم نقارن حالها بدين نبي إقليم الجليل، ذلك النبي المتواضع الرقيق الخلق، الذي زعم أنّ رسالته هي فقط تبشير إخوته في الله بالنبأ الطيب، نبأ حلول مملكة الله، وحثهم على إعداد العدة لها بمكارم الأخلاق، دين عيسى الذي تسامت تقواه إلى إله أجداده في تطلع بنوي مطمئن، لا نجد رابطة بين هذا وذاك، فباسم المسيح يبدو أن حياة الوثنية كلها سواء في ميدان الفلسفة أو الدين، وبكل ما انطوت عليه من تناقضات وفوضى، قد دبت فيها الحياة من جديد فنشطت وانتصرت على دين الروح والحق الذي بشر به وعاشه"^(٢).

وبالنظر إلى عقائد القوم وطقوسهم يتضح جلياً قيامها على مخالفة صريحة للعقول الصحيحة، والفطر السليمة، فضلاً عن معارضة صارخة للوحي الإلهي بشهادة المنصفين من النصراني أنفسهم، وأما النصرانية التي جاء بها المسيح ﷺ فقد تُودِعَ منها، وكبّرَ عليها أربعاً.

(١) المسيحية نشأتها وتطورها: (ص ١٦١).

(٢) المصدر السابق: (ص ١٨٩-١٩٠).

الخطبة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له ﷺ على تيسير الصعاب وتذليل العقبات، حتى تم بوسع فضله إنجاز هذا البحث المعنون بـ "التناقضات العقدية بين الطوائف النصرانية وآثارها" وقد توصلت من خلاله إلى عدة نتائج أُجملها في النقاط التالية:

١. إن دين الله الذي بُعث به جميع الأنبياء والرسل من لدن آدم ﷺ إلى خاتمهم محمد ﷺ دينٌ واحد قائمٌ على توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ومنه ما جاء به المسيح عيسى ﷺ.

٢. إن تحريف الإنجيل الذي أنزل على المسيح ﷺ يُعد أهم عاملٍ مؤثرٍ في انحراف النصرانية.

٣. إن كفر النصارى ناشئ عن جهلهم بالحق وضلالهم فيه كما اتضح من تراجم آباء الكنيسة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولا يوجد قط من هو نصراني باطنياً وظاهراً، إلا وهو ضال جاهل بمعبوده وبأصل دينه، لا يعرف من يعبد، ولا بماذا يعبد، مع اجتهاد من يجتهد منهم في العبادة والزهد ومكارم الأخلاق".

٤. إن تناقض دين النصارى اليوم بجميع طوائفهم يعود إلى سببين:

❖ تحريف كتابهم المقدس المنقطع السند، والذي يعج بالأغلاط والاختلافات

والتناقضات ليست بين سفر وآخر، ولا بين إصحاح وآخر فحسب، بل داخل الإصحاح الواحد أحياناً! مما يستحيل معها الاعتقاد بأن ذلك الكتاب هو الإنجيل المتزل على عيسى ﷺ.

❖ تحريف علماء النصارى لدينهم عمداً إذا رأوا في التحريف مصلحة لهم، أو

انتصاراً لطائفتهم، وقد اتضح ذلك في قرارات مجامعهم المتعددة، وكان لهذه

المجامع الأثر الكبير في انقسام النصارى إلى طوائف وأحزاب، كل حزب بما

لديه فرحون.

٥. إن البيئة الوثنية التي أحاطت بالنصرانية في قرونها الأولى ساهمت بصورة واضحة في

تحريف ذلك الدين، وقد تبينت الجذور الوثنية في عقائد القوم بشهادة النصارى أنفسهم

حتى ارتدت الوثنية القديمة ثوب النصرانية الجديد.

٦. كان للفلسفات المحيطة بالنصارى أثر كبير في انحراف النصرانية، حيث تجلّى بوضوح تأثر آباء الكنيسة بالفلسفة الأفلاطونية والغنوصية وغيرها، مما أخرج دين النصارى من التوحيد إلى التثليث، ومن البساطة إلى التعقيد، ومن الوضوح إلى اللبس والغموض.
٧. إن الخلافات بين طوائف النصارى في تصور المعتقد خلاف جوهرى يمس قواعد دينهم، حيث اختلفوا حول: طبيعة المسيح ﷺ ومشيبته، والأقنوم الذي انبثق منه الروح القدس، والملك الألفي، والمطهر، وصكوك الغفران، ورياسة البابا الروماني وعصمته عن الخطأ، والخلاص، والعقائد المريمية، والأسرار الكنسية، ولهم خلافات أخرى يصعب حصرها.
٨. تفنن علماء النصارى بجميع طوائفهم منذ القرون الأولى للنصرانية وحتى اليوم في الدفاع عن عقائدهم المليئة بالتناقض والاضطراب، والتي لا يمكن للعقل السليم أن يقبلها أو يتصورها فضلاً عن أن يؤمن بها، وتعليمهم السائد لأتباعهم التسليم المطلق لتلك العقائد بصفتها سراً يفوق كل المدارك البشرية.
٩. اشتهرت طوائف النصارى بالتعصب ضد المخالفين، ولو كانوا من بني جلدتهم المشتركين معهم في أصل دينهم، وقد نتج عن ذلك تكفير بعضهم بعضاً، ومعارك طاحنة راح ضحيتها ملايين البشر من النصارى، وانشقاقات شطرت جسد الكنسية عبر القرون، أُشير إلى أبرزها إشارات يسيرة، فقد أدى الخلاف حول:
- ❖ طبيعة المسيح ﷺ ومشيبته إلى انقسام الكنيسة في منتصف القرن الخامس سنة (٤٥١م).
 - ❖ الأقنوم الذي انبثق منه الروح القدس إلى الإنشقاق النهائي في منتصف القرن التاسع سنة (١٠٥٤م).
 - ❖ صكوك الغفران إلى ظهور حركة البروتستانت، وانقسام أوروبا الغربية بين الكاثوليك والبروتستانت في نهاية القرن السادس عشر.
 - ❖ رياسة البابا الروماني وعصمته إلى انشقاق بعض أبناء الطائفة الكاثوليكية في أعقاب المجمع الفاتيكاني الأول سنة (١٨٧٠م).

١٠. التأكيد على أن النصرانية قائمة في جميع عقائدها وطقوسها وشعائرها على مخالفة صريحة للعقول الصحيحة، والفِطْر السليمة، فضلاً عن معارضتها الصارخة للوحي الإلهي، وأما النصرانية التي جاء بها المسيح ﷺ فقد تُودِعَ منها، وكبّرَ عليها أربعاً.

وفي ضوء ما تقدم فإني أوصي بالتالي:

١. الحث على إجراء المزيد من الأبحاث والدراسات المتخصصة في مجال مقارنة الأديان، والقيام على ترجمتها ونشرها عبر وسائل الإعلام المختلفة، وتيسير سُبُل الوصول إليها.
٢. توفير المصادر والمراجع المهمة التي تتعلق بالأديان على مستوى الجامعات السعودية لطلاب العلم والباحثين لإتمام أبحاثهم العلمية.
٣. إقامة المؤتمرات والمناظرات العالمية من المؤهلين لخوض هذا الغمار، وتقديم مطلق الدعم لهم لبيان وكشف حقيقة عقائد النصارى القائمة على أصول وثنية، متبعين منهج المجادلة بالتي هي أحسن، ونشر وقائع تلك المناظرات والمؤتمرات بعد ترجمتها إلى أكثر من لغة عبر وسائل الإعلام المختلفة.

٤. إنشاء مراكز إسلامية متخصصة في بلاد العالم المختلفة تهدف إلى:

- أ- نشر الإسلام بالدعوة إليه عن طريق تأهيل الدعاة الذين يملكون حظاً وافراً من العلم الشرعي يمكنهم من الدعوة إلى الله على بصيرة، متبعين المنهج الرباني وجادلهم بالتي هي أحسن.
- ب- توعية وتثقيف المسلمين الجدد، وتعليمهم أمور دينهم، والصبر على ذلك مع بذل المال لهم ترغيباً لهم في الثبات على الإسلام متبعين منهج النبي ﷺ مع المؤلفة قلوبهم.
- ت- تَعَقُّبُ الكتب التي تثير الشبهات حول الإسلام من كتب النصارى وغيرهم والرد عليها.
- ث- إنشاء قنوات إعلامية خاصة لنشر الإسلام بلغات مختلفة.
- ج- استغلال المواقع على الشبكة العنكبوتية في الدعوة إلى دين الله، وكشف زيغ

وضلال أهل الديانات الأخرى، وانحرافهم عن المنهج الرباني من واقع كتبهم المحرفة، وبألسنة سادتهم وكبرائهم.

هذه أهم النتائج وأبرز التوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث، ومما ينبغي الاعتراف به أن البحث في مثل هذه الموضوعات عسير وصعب، ولا يخلو من القصور؛ لأن الكمال المطلق لله وحده والنقص من صفات خلقه، وحسبي أني بذلت جهدي، وقد كتب القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني إلى العماد الأصفهاني معتذراً: "إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُبُ أَحَدًا كِتَابًا فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ فِي غَدِهِ، لَوْ غُيِّرَ هَذَا لَكَانَ أَحْسَنَ، وَلَوْ زِيدَ هَذَا لَكَانَ يُسْتَحْسَنُ، وَلَوْ قُدِّمَ هَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ، وَلَوْ تُرِكَ هَذَا لَكَانَ أَجْمَلَ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعَبْرِ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيْلَاءِ النِّقْصِ عَلَى جُمْلَةِ الْبَشَرِ".

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الفهارس العامة

وتشمل الفهارس التالية:

فهرس آيات القرآن الكريم

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الفرق والمذاهب

فهرس المصطلحات

فهرس المراجع والمصادر

فهرس الموضوعات

فهرس آيات القرآن الكريم

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية أو جزء من الآية
سورة البقرة		
٩٣	٣٠	وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ
٢٣٧، ٢٦١	٣٥	وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا
١٢١	٧٩	فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
١٢٢	٨٧	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ
٢٤	١١١	وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا
٨٤	١١٦	وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
٢٢٨	٢٢٢	لِلَّذِينَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُحِبُّونَ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّونَ الْمُتَطَهِّرِينَ
سورة آل عمران		
٢٧٢	٣٦	وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
٢٨٨	٤٢	وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ
٢٩١	٤٣	يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي مَعَ الرَّاكِعِينَ
١٤٦	٤٦	وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ
٢٨٩، ٨٥	٥٩	إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
٢٠٢، ١٩٨	١٣٥	وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ بِهِمْ
سورة النساء		
١٩٩، ٢٠٠	٤٨	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا
٢٠١	٤٨	وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
٢٢٩	٥٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ
٢٦٠، ١٩٨ ٢٦٢، ٢٦١	١١٠	وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا
٢٦٠	١١٦	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
٢٦٠	١٣٧	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ كَفَرُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ
١٤٥	١٥٧	وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَاتَلْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَاتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ

١٤٧	١٥٩	وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ^ط
٢٦٠	١٦٧	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا
٨٦، ٢٥	١٧١	يَتَّاهِلَ الْكِتَابَ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ^ع
المائدة		
٩	١٤	وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ
٢٥	٤٧	وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
٨٨، ٨٧، ٢٣	٧٢	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ^ط
١٢٤، ٨٨	٧٣	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ^ع
٨٨، ٨٦	٧٤	أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
٢٩٣، ٢٨٧	٧٥	مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ^ع
٢٣	٧٧	قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ
١٤٦	١١٠	إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالدَّتِكَ
٢٩٢، ٢٥، ٢٢	١١٦	وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ^ط
الأعراف		
٢٠١	٢٢	فَدَلَّهُمَا بِرُؤُوسِهِمَا فُلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ^ط
٢٢	٥٩	يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ^ع
٢٦١	١٥٣	وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ
سورة التوبة		
٨٤	٣٠	وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ^ط ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ
٢٢٧	٣١	اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَتَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ^ط
٢٦٠، ١٩٩	٨٠	اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ^ع
١٩٩	٨٤	وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ^ع
٢٦٢	١٠٤	أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

٢٠٠، ١٩٩ ٢٦٠	١١٣	مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ
سورة هود		
٢٠٥	٤٣	قَالَ سَآوَىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ
٢٦٢، ٢٦١	١١٤	وَأَقْرَبَ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ
سورة يوسف		
٢٠٥	٣٢	قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ زودتهُٕٓ عَنْ نَفْسِهِ ۗ فَاسْتَعْصَمَ
سورة إبراهيم		
٢٠٠	٤١	رَبَّنَا أَخْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ
سورة النحل		
٢٢	٣٦	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
١٢٣، ١٢٢	١٠٢	قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ
سورة الإسراء		
٢٦١	١٥	مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا
سورة الكهف		
١٠٧	١٠٣	قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا
سورة مريم		
٢٨٩	١٦	وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا
٢٨٩، ٨٧	٢٧	فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۗ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا
٨٧، ٨٤	٣٤	ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ
٨٥، ٨٤	٨٨	وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا
سورة طه		
٢٦١، ٢٦٠	٨٢	وَلِيَّ لِفَغَارٍ لَّمْ تَابَ وَءَامَنَ وَحَمَلَ صَاحِبًا ثُمَّ أَهْتَدَىٰ
٢٣٧، ٢٦١	١١٥	وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَنسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عِزْمًا

سورة الأنبياء		
١٣	١٨	بَلْ نَقَدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ.
٢٠٢	٨٨	وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْرَضًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ
٢٨٩	٩١	وَالَّتِي أَحْصَدَتْ فَرجَهَا فَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُوجِنَا
سورة المؤمنون		
١٧٣	١٠٠	وَمِنْ ورائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ
سورة النور		
١٩٨	٣١	وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
سورة الفرقان		
٢٠٠	٧٠	وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
٢٦٠	٧٠	إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ
سورة الشعراء		
١٢٣	١٩٢	وَلَيْتَهُ لَنَنْزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ
سورة القصص		
٢٠١	١٦	قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ
١٢٤	٨٨	كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ.
سورة الزمر		
١٩٨، ٢٠١، ٢٦١، ٢٦٠	٥٣	قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ
١٢٤	٦٨	وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ
سورة غافر		
١٢٤	١٦	لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
١٧٧		النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا
سورة فصلت		
٢٦١	٤٦	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ

سورة الشورى		
٢٢٧	١٣	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
٢٦٢	٢٥	وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ
١٢٢	٥٢	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا
سورة الزخرف		
١٤٥	٥٧	وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ
سورة محمد		
١٩٩	٣٤	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ
٢٠٠	٣٤	قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ
سورة الفتح		
٢٦١	٢٩	وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا
سورة النجم		
٢٦٠	٣٢	إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ ۗ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۝
سورة الحشر		
١٠	١٤	لَا يُغْنِي عَنْكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ
سورة المنافقون		
٢٦٠، ١٩٩	٦	سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ
سورة التحريم		
٢٩١، ٢٨٩	١٢	وَمَرْيَمُ ابْنَتُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا
٢٨٨	١٢	وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ
سورة الجن		
٢٩٢، ٨٤	٣	وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدًّا رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا
سورة المزمل		
١٩٨	٢٠	وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

سورة المدثر		
٢٦١	٣٨	كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ
سورة الإخلاص		
٨٤	١	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

فهرس الأحاديث النبوية	
الصفحة	طرف الحديث
٢٦٣، ٢٦٢	اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن
٢٦٢	أن رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى النبي
٩٣	إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي
١٤٧	الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد
٢٩٠	بعثنا رسول الله إلى النجاشي ونحن نحو ثمانين رجلاً
١٧٤	جاءت يهودية فاستطعمت على بابي، فقالت أطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال
٢٩٢	الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة، وفاطمة سيذا نساتهم
١٢٤	خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وصف لكم
١٧٥	الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء
٨٥	قال الله كَذَّبَنِي ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك
١٩٨	قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت
١٧٥	كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي
٢٩١، ٢٨٧	كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا
١٤٩	كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم
١٥٠	كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمامكم منكم
١٠، ٦	لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم
٢٦٢	لجميع أمتي كلهم
١٤٦	ما تذاكرون قالوا نذكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات
١٤٨	ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداً فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل
٢٦٣	ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً
٢٧٢	ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً
٢٦٣	ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم

١٧٥	ههنا أحد من بني فلان
٢٦٢	والذي نفسي بيده لو لم تذبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذبون فيستغفرون الله فيغفر لهم
١٤٧	والذي نفسي بيده ليوشكن أن يتزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً
٢٢٧	يا عدي اطرح عنك هذا الوثن
١٤٧	يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين فيبعث الله عيسى ابن مريم

فهرس الآثار	
الصفحة	طرف الأثر
٢٢٩	أصابت امرأة وأخطأ عمر
٢٢٩	أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أخطأت فقوموني
٢٣٢	فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه
٢٢٨	كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة
٢٢٩	كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خرجه



فهرس الأعلام المترجم لهم	
الصفحة	اسم العلم
٤٦	أبوليناريوس
١٠٦	أبيفانيوس
٦٧	أثناسيوس الرسولي
٤٢	آريوس
٢٦	اغناطيوس الثيؤفوس الأنطاكي
١٣٥	اكليمنضس الإسكندري
٢٧٧	أوريغانوس
١١٨	أوغسطينوس
١١٨	إيرونيموس
١٣٠	بابياس الهيرابولي
١٠٥	باسيليوس الكبير
٥٠	ثيودوروس الصغير
٢٨٢	ثيودوروس أسقف موبسويستيه
٢٧١	ثيودوسيوس أسقف أنقرة
١٧٩	جون تيتزل
١٣٥	جيروم
٩٠	سعيد بن البطريق
٣٤٤	شارل جنيبير
٦٨	غريغوريوس العجايبى أو الصانع للعجائب
١٠٥	غريغوريوس التريزي
١١٧	غريغوريوس النيصي
٢٥٥	قورلس بھنام
١٥٩	كيرلس الأورشليمي
٥٠	كيرلس الكبير الإسكندري
١٨٤	مارتن لوثر

٢٦٩	مكسيمليان كولب
٤٦	ملاتيوس أسقف أنطاكية
٤٩	نسطور، نسطوريوس
١٣٠	هيبوليتس الروماني
٢٨٤	يعقوب السروجي
٥٠	يوحنا الأنطاكي
١٠٧	يوحنا الدمشقي
٦٨	يوحنا فم الذهب
١٣٠	يوستينوس

فهرس الفرق والمذاهب	
الصفحة	اسم المذهب أو الفرقة
١٢٩	الأبيونية
١٣١	الإخوان بلايموث
٢٨	الأرثوذكس
٣٠	البروتستانت
٢١٦	الجزويت
١٢	شهود يهوه
١٢٩	الغنوصية
٢٦	الكاثوليك
٢١٧	الكاثوليك القدماء
١٣١	المورمون
١٢٩	المونتانية
٢٤	النصرانية

فهرس المصطلحات	
الصفحة	المصطلح
٣٨	الأبرشيه
٣٣٨	أبروطس
٣٤	أبو كريفيا
٣٢٢	الاستحالة
٢٥٥	الأعمال الصالحة
٣١٩	الإفخارستيا
٤٦	الأقنوم
٣٣٨	الايغومانوس
٢٠٦	البابا
١٠١	البارقليط
٩٨	البطريك
٢٤٦	التبرير
٧٠	التبكيث
٢٣٨	التجديد
٢١٧	التجديف
٩٣	التقدّيس
٣١	التقليد الرسولي المقدس
٢٤٢	التمجيد
٢٨١	ثيؤطوكس
٣١٨	الحل الكهنوتي
٢٣٦	الخطية
٢٣٢	الخلاص

٣٣٨	الخوريبيسكوبوس
١١٨	الخولاجي
٣٠٠	رجال الاكليروس
٣١١	الرشم
٩٢	الروح
٣٣٢	الزواج
٢٩٧	السر الكنسي
٣٠٠	شرطونية
٣٣٩	الشماس
٢٨٨	الصديقية
١٨٠	الصك
١٧٩	صكوك الغفران
٥٧	الطَّبِيعَة
٢٠٥	العصمة
٣٣	العهد
٣٠٨	غاليلاون
١٨٠	الغفران
٣٦	قانونية
٩٣	القدس
٩٣	قدس الأقداس
٣٣٩	قس
٣٣٨	القمص
٢٠٤	الكاتدرائية
٣٢	الكتاب المقدس
٢٧	الكرازة

٣٠٩	اللقان
١٠٥	الليتورجيا
١٦٠	المتنيح
٣٨	المجامع
١٥٥	المذبح
٣٨	المطران
١٥٣	المطهر
٣٠٢	المعمودية
١٢٦	الملك الألفي
٦٠	المونوفيزية
٣٠٨	الميرون
١١٧	ميمرة
١١٠	الناموس
٢٨	المهرطقة
١٠٩	يوم الخميس

فهرس المراجع والمصادر

القرآن الكريم، تتريل من عزيز حكيم.



أبو كريفيا العهد الجديد، تجميع لكتابات الأبو كريفيا المسيحية، د. إبراهيم سالم الطرزي، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى: ١٩٨٧م - ١٤٠٧هـ.

أديان العالم: حبيب سعيد، صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة، بدون رقم للطبعة.

أرثوذكسي "تراث وعقيدة وحياة" القمص متى مرجان، مراجعة وتقديم الأنبا متاؤس رئيس دير السريان العامر، الأنبا موسى أسقف الشباب، مكتبة كنيسة السيدة العذراء، بدون رقم للطبعة.

أساسيات مسيحية: د. زكريا استاورو، الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل، منشورات بيت عنيا، ٢٠٠١م.

الأسرار الكنسية (عرض ونقد): أ. سمية الشهري، جامعة أم القرى.

أسرار الكنيسة السبعة، الأرشيدياكون حبيب جرجس، مكتبة المحبة، القاهرة، الطبعة الرابعة.

الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: د. علي عبد الواحد وافي، مطبعة مجلة البيان العربي، الطبعة الأولى.

الإسلام والمسيحية في الميزان، شريف محمد هاشم، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، بدون رقم للطبعة.

الأشعة اللاهوتية في مبادئ التعاليم المسيحية، نيافة الدكتور: مول مطران، تُرجم بواسطة جمعية المرسلين الأسقفيين بالقاهرة، المطبعة الإنجليزية الأمريكية، الطبعة الثانية ١٩١٨م.

الأصول الوثنية للمسيحية، اندريه نايتون، إدغار ويند، كارل غوستاف يونغ، ترجمة سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان. ١٩٩٥م - ١٤١٥هـ

أضواء على الإصلاح الإنجيلي: القس فايز فارس، صدر عن دار الثقافة المسيحية وطبع بمطبعة القاهرة الحديثة، بدون رقم للطبعة.

إظهار الحق قساوسة وعلماء ومستشرقون أشهروا إسلامهم لماذا وكيف؟، محمد عبد الحلیم عبد الفتاح ٢٠٠٥م.

إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندي، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٩٨٩م - ١٤١٠هـ.

اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، تحقيق: محمد الخميس، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى.

إعلام مسمى صدق حقيقة الإنبثاق ودحض المصّر على الإنشقاق، السيد مكسيموس مظلوم البطريك الأنطاكي، طبع في دير الرهبان الفرنسيين في مدينة أورشليم ١٨٤٨م.

الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، شمس الدين أبي عبد الله بن القيم الجوزية، تحقيق محمد عزيز شمس، مصطفى بن سعيد أيتيم، وفق المنهج المعتمد من الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد - دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى.

الإفخارستيا أو القول السديد عن السر المجيد، تأليف الشماس: جرجس صموئيل عازر، مكتبة مار جرجس، مطبعة قاصد خير بالفجالة - الطبعة الثانية.

الإفخارستيا عشاء الرب، بحث في الأصول الأولى لليتورجيا، ومدخل لشرح القديس وتطوره من القرون الأولى حتى عصرنا الحاضر، للأب متى المسكين، مطبعة دير القديس أنبار مقار، وادي النطرون، الطبعة الثانية.

الأم الإله لا تزال تعبد، برج المراقبة تعلن ملكوت يهوه (١) تموز "يوليو"، ١٩٩١م- المجلد ١١٢، العدد ١٣.

انبثاق الروح القدس في فكر الآباء الأولين: القمص تادرس ملطي. word

الأنوار في الأسرار، جراسيموس مسرة، طبعة حجرية.

الإيمان الأرثوذكسي، إعداد: بقطر أخنوخ بولس، مطرانية الأقباط الأرثوذكس بسوهاج، الناشر: www.fadena.org

بـ

البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.

بدعة الخلاص في لحظة، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست بالعباسية، القاهرة، الطبعة الثانية.

البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية، تأليف المعلم ميخائيل مشاققة، طبع في بيروت سنة ١٨٦٤م.

البروتستانت والإنجيليون في العراق، حارث يوسف غنيمه، مطبعة الناشر المكتبي، بغداد ١٩٩٨م.

البروتستانتية وأثرها على العالم الإسلامي، أ. د: مريم الحربي؛ جامعة أم القرى

تـ

تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، د. أحمد عجيبة دارالأفاق العربية، مدينة نصر، القاهرة، الطبعة الأولى.

تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون رقم للطبعة.

تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية: ميرسيا إلياد، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، الطبعة الأولى.

تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزي للعلامة المقريزي، تقي الدين المقريزي، دراسة و تحقيق: عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، الطبعة الأولى ١٩٩٥م-١٤١٦هـ.

تاريخ الأقباط: زكي شنودة، جمعية التوفيق القبطي لجنة التاريخ والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى.

تاريخ الحروب الصليبية، هانس ابرهارد ماير، ترجمة د. عماد الدين غانم، اللاذقية ٢٠٠٨ م.

تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، وضعه المطران: كيرلس سليم بسترس، الأب: يوحنا الفاخوري، الأب: جوزيف العبسي البوليسي، منشورات المكتبة البوليسية الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس: حنا جرجس الخضري، صدر عن دار الثقافة المسيحية- القاهرة، طبع بمطبعة دار الطباعة القومية بالفجالة، الطبعة الثالثة.

تاريخ الكنيسة القبطية: الشماس منسي القمص، مطبعة اليقظة بشارع الفجالة- مصر الطبعة الأولى ١٩٣٤م.

تاريخ انشقاق الكنائس، القمص زكريا بطرس الناشر:

www.fatherZakaaria.com

تاريخ انشقاق الكنائس، جراسيموس مسرة، طبع بالمطبعة الإبراهيمية بالإسكندرية سنة: ١٨٩١م.

تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، د. سعيد عبد الفاتح عاشور، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت. ١٩٧٦م.

تأملات في عيد حلول الروح القدس: نيافة الأب يوانس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست، العباسية، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م.

التشليث بين الوثنية والمسيحية، د. محمود علي حمادة، مكتبة النافذة، الطبعة الثانية.

التجسد الإلهي ودوام بتولية العذراء، القس عبد المسيح أبو الخير، مطبعة المصريين، الطبعة الثانية.

التحفة المقدسية في تاريخ النصرانية بدايتها ومنتهاها لأبي محمد عاصم المقدسي، منبر التوحيد والجهاد.

تخجيل من حرف التوراة والإنجيل تأليف: صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي، تحقيق: د. محمود عبد الرحمن قدح، المملكة العربية السعودية، الرياض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ.

التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية المقدسة، عربيه عن الطبعة اللاتينية الأصلية: المتروبوليت: حبيب باشا، المطران: يوحنا منصور، المطران: كيرلس سليم بسترس، الأب حنا الفاخوري، الناشر: latinseminary.org.

التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، التعريب والجمع التصويري والمونتاج والأعمال الفنية شركة ماستر ميديا، دون رقم الطبعة، القاهرة، مصر.

تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى.

تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

تفسير الكتاب المقدس النسخة الكاثوليكية من الألف للياء، دار المشرق، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة.

تفسير النكت والعيون، علي بن محمد البغدادي الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

التفسير الوسيط، د. وهبة مصطفى الزحيلي - دار الفكر - دمشق - الطبعة الأولى.

تفسير وتأملات الآباء الأولين، رؤيا يوحنا اللاهوتي - القمص تادرس يعقوب ملطي، كنيسة مار جرجس باسبورتنج الناشر: www.bdfactory.com.

تكريم القرآن الكريم لمريم عليها السلام، محاضرة للشيخ أحمد ديدات

<https://www.youtube.com/watch?v=MxOGvHEv04Y>

تنوير الأذهان بالبرهان إلى ما في الكنيسة الغربية من الزيغان، الأنبا ايسوذوروس، طبع سنة ١٩٣٥م، مطبعة التوفيق بالقاهرة.

التوبة والاستغفار: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عمر الحاجي، عبد الله بدران، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى.

توحيد العبادة، للعلامة: شريعت سنكلجي، تحقيق: خالد البديوي، أشرف على الترجمة: عبد الله البلوشي.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.



جامع المسائل تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني - تحقيق محمد عزيز شمس إشراف بكر أبو زيد - دار عالم الفوائد - الطبعة الأولى.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور النبي ﷺ وسننه وأيامه: محمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة الطبعة الأولى.

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، صححه أبو إسحاق وإبراهيم اطفيش، الطبعة الثانية.

الجانب المظلم في التاريخ المسيحي: هيلين ايليري، ترجمة: أ. د سهيل زكار، دار قتيبة، ٢٠٠٥م.

الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، جمع: أبو المنذر محمود المياوي، مكتبة ابن عباس، مصر، الطبعة الأولى.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق وتعليق: د. علي الألمعي، د. عبدالعزيز العسكر، د. حمدان الحمدان، دار الفضيلة. المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى.

-﴿ح﴾-

حبي العظيم للمسيح قادي إلى الإسلام، سايمون الفريديو كارابللو، ترجمة أحمد عبد الفتاح الليثي، الطبعة الثانية ١٤٢٩ هـ.

الحجة الأرثوذكسية ضد اللهجة الرومانية، تأليف الايغومانس فيلوثاؤس، مطبعة التوفيق بمصر، الطبعة الأولى. ١٨٩٥ م.

حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي: ر. ك. سيرول، ترجمة: نكلس سلامة، دار نوبار، القاهرة، بدون رقم للطبعة.

حقيقة المثل الأعلى وآثاره، د. عيسى بن عبد الله السعدي أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الطائف، دار ابن الجوزي - بدون رقم للطبعة.

الحوارات اللاهوتية مع الكنائس الأخرى، نيافة الأنبا بيشوي word.

-﴿خ﴾-

الخطيئة والتوبة بين اليهودية والمسيحية، د. محمد أحمد الخطيب، الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والدعوة والثقافة الإسلامية - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر. الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، د. أحمد علي عجيبة، دار الأفاق العربية، الطبعة الأولى.

الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست، القاهرة، الطبعة السادسة.

خلاصة اللاهوت المريمي، الأب أوغسطين دوبره لاتور، نقله إلى العربية الأب يوسف قوشاقجي، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة.

الخليقة الجديدة في المسيح يسوع حسب لاهوت وطقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، د. جورج حبيب بياوي، رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة كامبريدج، إنجلترا.



دائرة المعارف الكتابية: مجلس التحرير: د. القس صموئيل حبيب، د. فايز فارس، القس منيس عبد النور، جوزيف صابر، المحرر: وليم وهبة بباوي، دار الثقافة، مطبعة سيويرس، القاهرة - الطبعة الثانية.

دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف، أضواء السلف، الطبعة الخامسة.

دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية.

دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي: دانة للطباعة والنشر - دمشق، بيروت - الطبعة الأولى.

الدرة النفيسة في بيان حقيقة الكنيسة، السيد قورلس بهنام بني، طبع في الموصل في دير الآباء الدومينكان سنة ١٨٦٧م.

دستور الإيمان الأرثوذكسي المسمى الطريق القويم في التعليم المسيحي المستقيم توفيق الحداد، كنيسة النبي إلياس الغيور للروم الأرثوذكس في مدينة قطنا، سوريا.

دليل الزواج للطوائف المسيحية، إعداد المجلس الوطني لشؤون الأسرة، مطبعة الجامعة الأردنية.

دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة: الأب جان كمي، دار المشرق، بيروت، الطبعة الأولى.



الرد على دعاوى بابا الفاتيكان بنديكت السادس عشر التي وردت في محاضراته الشهيرة، كتبه: د. فهد بن محمد القرشي، بحث مقدم في السنة المنهجية للدكتوراه لسعادة الدكتور عبدالله القرني: (١٤٢٧-١٤٢٨هـ)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

رسالة التثليث والتوحيد: يس منصور، مطبعة الإسكندرية، الطبعة الثانية.

الرسالة الموسومة بالدليل إلى طاعة الإنجيل، ميخائيل مشاقفة، طبع في بيروت سنة: ١٨٤٩م.

الرسائل والرسالات: عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، مكتبة الفلاح، الكويت للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة.

الروح، ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

الروح القدس الرب المحيي: الأب متى المسكين مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون، الطبعة الأولى.

الروح القدس في اليهودية والنصرانية والإسلام: د. عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

الروح القدس وعمله فينا: البابا شنودة الثالث القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الحسيني الألوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

— ﴿س﴾ —

سد الذرائع في مسائل العقيدة على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة، عبدالله الجنيدى، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: العدد ١١٤٢٢ - ١٤٢٢هـ.

السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، المملكة العربية السعودية، الرياض.

سلسلة محاضرات تبسيط الإيمان: سر التوبة والاعتراف، الأنبا بيشوي مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري ورئيس دير القديسة دميانة.

سلسلة محاضرات تبسيط الإيمان، سر المعمودية: الأنبا بيشوي، مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري ورئيس دير القديسة دميانة.

سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون.

السيدة العذراء، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست بالعباسية، الطبعة الثالثة.

السيرة النبوية "من البداية والنهاية لابن كثير" تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

سير القديسين والشهداء في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية: نسخة إلكترونية. كنيسة الأنبا تكلا هيمنوت الحبشي القس - الإسكندرية - مصر، الناشر:

<http://St-Takla.org>

سيرة نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام وبيان فساد دين النصارى، د. محمد سعد عبد الدايم
word



شرح أصول الإيمان، د. القس: اندراوس واطسون، د. القس: إبراهيم سعيد، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، الطبعة الرابعة.

شرح العقيدة الطحاوية، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي والمسمى بـ (إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل)، شرحها الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، المكتبة الشاملة

شرح العقيدة الواسطية، للشيخ صالح الفوزان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، الشيخ عبد العزيز الراجحي. مكتبة صيد الفوائد، saaid.net/book/open.php?cat127&book=1003

شرح موجز لأصول التعليم المسيحي الكناخسيمي الصغير، الذي وضعه المصلح الإنجيلي: مارتن لوثر، ترجمة ونشر المركز اللوثيري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط، بيروت - لبنان.

شرح وتفسير قانون الإيمان: المتبجح عبد المسيح ثاوفيلس النخيلي، تقديم ومراجعة نيافة الحبر الأنبا بيشوي ونيافة الحبر الأنبا موسى، مطبعة دير الشهيد مارمينا العجائبي. مبروط ٢٠٠٧م.

الشرقيون في المجمع الفاتيكاني الأول وردة فعل الأرثوذكسية والبروتستانتية، الأستاذ الأسقف: باسيلوس تقديم كمال اسطفان، الشبكة الأرثوذكسية العربية الأنطاكية.

- ﴿ص﴾ -

صحيح السيرة النبوية، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى.

صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

الصخرة الأرثوذكسية، حبيب جرجس مدير الكلية الإكليريكية وعميد مدارس الأحد سابقاً، تقديم القمص: بولس باسيل، الطبعة الخامسة ١٩٨٥ م.

الصهيونية تحرف الإنجيل: سهيل التخلي، دير الشرفة، لبنان ١٩٩٨.

الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي "ابن القيم الجوزية"، تحقيق: د. علي بن محمد دخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة.

- ﴿ط﴾ -

الطائفة الكاثوليكية فرقتها وعقائدها وأثرها على العالم الإسلامي: أ. محمود بن علي آل عمر، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

طبيعة المسيح، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، مطبعة الأنبا رويس الأوفست، العباسية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشر ٢٠٠٩ م.

طريقة علم لأجل البروتستانتين، استخرجه من اللغة الإيطالية الى اللغة العربية الخوري: مرتينوس معلوف، راهب دير القديس يوحنا الصايغ، مطبعة دير القديس يوحنا الصايغ، لبنان، ١٨٤٣ م.

الطوائف المسيحية في مصر والعالم: إعداد: ماهر يونان، مراجعة: القس جرجس صبحي، الناشر: ماهر يونان، جمع شركة سبكترام ٢٠٠١ م.

- ﴿ع﴾ -

عالم الملائكة الأبرار: عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثالثة.

عبادة مريم في المسيحية والظهورات المريمية، معاذ عليان، تقديم: د. عبد الله سمك مكتبة النافذة. بدون رقم للطبعة.

العذراء القديسة مريم: الأب متى المسكين، مطبعة دير القديس أنبا مقار-برية شيهيت - وادي النطرون، الطبعة الثانية.

العذراء مريم المترهنة عن الخطيئة الأصلية، القمص: باسيلي فانوس، بطريكية الأقباط الكاثوليك، كوبري القبة ١٩٩٠م.

عصر المجامع، القمص: كيرلس الأنطوني، تنسيق وتعليق: دياكون د. ميخائيل مكسي إسكندر، مكتبة المحبة، الطبعة الأولى.

العقائد الكاثوليكية في الكتاب المقدس: صموئيل بندكت، ترجمة: القس يعقوب قاقيش.

العقائد النصرانية في القرآن الكريم، إعداد: أشرف إبراهيم سلامة، إشراف: أحمد جابر العمصي، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة- فلسطين ١٤٢٩هـ.

العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: محمد طاهر البيروتي، تحقيق: محمد عبدالله الشراقوي، دار الصحوة للنشر القاهرة بدون رقم للطبعة.

عقائد أهل الكتاب، أحمد مختار رمزي، دار الفتح للدراسات والنشر، الطبعة الأولى.

عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: إعداد: القس بيشوي حلمي كاهن كنيسة الأنبا أنطونيوس، مراجعة وتقديم: نيافة الأنبا بيشوي، نيافة الأنبا موسى، نيافة الأنبا متاؤس - دار نوبار للطباعة، الطبعة الأولى.

عقيدة المظهر الكاثوليكية: وليد عبد الحميد خلف فرج الله، عميد كلية الدراسات الإنسانية، جامعة النجف. العراق.

عقيدة المظهر للأب يوانس لحظي word

العلاقة الجدلية بين التاريخ والطقوس المسيحية، حوار يدور في فضاء اللاهوت المسيحي، تأليف: الأستاذ أحمد عمران، منشورات دار الوعي، بيروت - لبنان. بدون رقم للطبعة.

علم اللاهوت النظامي: جيمس أنس، مراجعة: القس منيس عبدالنور، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، القاهرة. بدون رقم للطبعة.

عودة المسيح ثانية ودينونة العالم: نصر الله زكريا، مطبوعات نظرة للمستقبل ٢٠١٠م.

عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، محمد بن محمد الربيعي، تعليق: إبراهيم رمضان، دار القلم، بيروت: ١٩٣٣ هـ

—﴿ف﴾—

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر - ١٤٠٣ هـ.

فرح الإيمان بهجة الحياة، محاضرات في أهم قضايا الإيمان المسيحي، الأب فرنسوا فاريون اليسوعي، جمعها الأب برنار هوسه، نقلها إلى العربية الأب: صبحي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، الطبعة التاسعة.

الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الاسلام، نهاد خياطة، دار الأوائل، بدون رقم للطبعة.

الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، دار الأوائل للنشر والتوزيع سوريا - دمشق الطبعة الثانية ٢٠٠٥ م.

الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، القس: إبراهيم عبد السيد ميخائيل، راعي كنيسة مار جرجس بجذائق المعادي مطبعة المحبة، بعزبة البكري، مسطرد، الطبعة الثالثة عشر ١٩٩٦ م.

—﴿ق﴾—

قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني: تحقيق عبد القادر الأرناؤوط دار البحوث العلمية والافتاء الإدارة العامة للطبع، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى.

قاموس آباء الكنيسة: نسخة إلكترونية.

قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من ذوي الاختصاص واللاهوتيين، هيئة التحرير: د. بطرس عبدالمملك، د. جون الكسندر طمس، أ. إبراهيم مطر، الناشر: شركة .compubrill

قاموس الكتاب المقدس، معاني الكلمات الصعبة في الكتاب المقدس، إعداد: القس ميلاد ديب يعقوب، الخدمة العربية للكراسة بالانجيل.

القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة.

قاموس المصطلحات الطقسية والكنسية: نسخة إلكترونية.

قاموس المصطلحات الكنسية: القمص تادرس يعقوب ملطي، نقله للقبطية د. شاكر باسيلوس ميخائيل، مطبعة الإخوة المصريين، القاهرة ١٩٩١.

قانون الايمان، البابا شنودة الثالث الكلية الإكليريكية بالقاهرة - مطبعة الأنبا رويس الأوفست - العباسية، الطبعة الأولى. ١٩٩٧ م.

القدّيس كيرلس الأورشليمي، القمص تادرس يعقوب ملطي، كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتج، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦ م.

القدّيس كيرلس الكبير: الأنبا غريغوريوس، مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس، شركة الطباعة المصرية.

القديسة العذراء مريم في المفهوم الأرثوذكسي، القمص تادرس ملطي الناشر: servant4jesus.co.nr.www

القديسة مريم العذراء، القس عماد عبد المسيح word.

قصة الحضارة: ويل جيمس ديورانت، تقديم محيي الدين صابر، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجليل - بيروت - لبنان ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

قصة الديانات: سليمان مظهر، مكتبة مدبولي، ميدان طلعت حرب - القاهرة - ١٩٩٥ م.

قوانين المجامع المسكونية و خلاصة قوانين المجامع المكانية، القس اثناسيوس المقاري، مطابع النوبار - العبور - الطبعة الأولى.

-﴿ك﴾-

الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس بمصر، الإصدار السادس، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

الكتاب المقدس، دار المشرق. بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٩م.

الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف، د. يحيى محمد علي ربيع، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، الطبعة الأولى.

كراس خدمة سر مسحة المرضى "سر الزيت المقدس" اعتنى بجمعه وترتيبه: قدس الأرشمندرت د. ميليتيوس بصل، رئيس دير تجلي الرب والرئيس الروحي لمدينة رام الله واللواء.

الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

كثر النفايس في اتحاد الكنائس: نقولا اميزي، دار الشيخ عرب لدراسة الكتب السماوية بدون رقم طبعة.

الكنيسة الجامعة، ألفه أحد أبناء الكنيسة الكاثوليكية: الخوري جرجس فرج صغير، رداً على كتاب صخرة الشك وجواب الكنيسة الأرثوذكسية، طبع بأورشليم في دير الآباء الفرنسييسكانيين ١٨٨٨م.

الكنيسة أسرارها وطقوسها، أ. د عادل درويش، كلية الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ.

الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: دنتسنغر، بيتر هونرمان، ترجمة المطران: يوحنا منصور، الأب: حنا الفاخوري، تحقيق الترجمة: عادل تيودور، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

-﴿ل﴾-

اللالي النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، القمص يوحنا سلامة، وكيل بطريركية الأقباط الأرثوذكس بالخرطوم سابقاً، مكتبة مار جرجس بشيكولاني، شبرا - مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م.

اللاهوت العقيدية، المنتيح الأنبا غريغوريوس، أسقف عام للدراسات اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمي، إعداد الإكليريكي: منير عطية، مكتبة المنتيح: الأنبا غريغوريوس، دير الأنبا رويس بالعباسية، مطبعة شركة الطباعة المصرية ٢٠٠٤م.

اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، المطران: كيرلس سليم، كنيسة الأقباط الكاثوليك، مصر.

اللاهوت المقارن: الأنبا غريغوريوس أسقف عام للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمي، إعداد الإكليريكي: منير عطية، مكتبة المنتيح الأنبا غريغوريوس: دير الأنبا رويس بالعباسية. مصر، ٢٠٠٣م.

اللاهوت المقارن، البابا شنودة الثالث، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس مطبعة الأنبا رويس الأوفست بالعباسية. الطبعة الثانية.

لسان العرب: محمد مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

لماذا نرفض المطهر: البابا شنودة الثالث، القاهرة الطبعة الأولى. ١٩٨٨م.

الله عز وجل واحد أم ثلاثة، د. منقذ بن محمد السقار، دار السلام. الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

لوائح الأنوار القدسية في العهود المحمدية: عبد الوهاب الشعراي الشافعي، مطبعة الميمنة، مصر، بدون رقم للطبعة.

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية: شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة الخافقين دمشق الطبعة الثانية.



المباحث في اعتقادات بعض الكنائس، كاتب إنجيلي، طبع في بيروت ١٨٦٦م.

المباحثة من الأسفار المقدسة، الطبعة الأولى بالإنجليزية ١٩٨٥م، الناشر:

WATCH TOWER BIBLE AND TRACT SOCIETY OF PENNSYLVANIA

المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية: سلطان عبد الحميد، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى.

مجلة الراصد، العدد: (٥١).

مجلة كنيستك، صادرة عن الكنيسة الإنجيلية اللوثرية كانون الأول ٢٠٠٤ م، عدد خاص بعيد الميلاد المجيد، رئيس التحرير المطران: د. منيب يونان.

مجموع الشرع الكنسي: حناينا إلياس كساب، مع توطئة البطريرك إلياس الرابع، مطبعة النور، الطبعة الثانية.

المجموع الصفوي، يتضمن القوانين التي جمعها الشيخ الصفي أبي الفضائل ابن العسال: اعتنى بنشره وشرح مواده وإضافة تذييلات عليه: جرجس فيلوثاوس عوض. ، طبعة خاصة لدارسي القانون الكنسي.

مجموع الفتاوى: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق أنور الباز، عامر الجزائر، دار الوفاء، الطبعة الثالثة.

الجيء الثاني للمسيح متى يكون وما هي علاماته: القس عبد المسيح بسيط، مطبعة مدارس الأحد، الطبعة الثالثة.

الجيء الثاني للمسيح وعلاقته بالعقائد الكتابية: القس وديع ميخائيل. word

مجيء المسيح ثانية وسوابقه التاريخية: القس منيس عبد النور، الطبعة الأولى ٢٠١٠ م. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

محاضرات في التاريخ الكنسي "المجامع الكنسية" نيافة الأنبا يوانس أسقف الغربية، مطبعة الأنبا رويس الأوفست، العباسية، القاهرة، الطبعة الأولى.

محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة.

مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

مختصر في علم اللاهوت العقائدي، لودويغ أوت، ترجمة: جرجس المارديني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٥ م.

مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، نقله الى العربية المطران: يوحنا منصور ٢٠٠٥-٢٠٠٦ م.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي "ابن قيم الجوزية"، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية.

المدخل إلى العهد الجديد، القس: فهيم عزيز، دار الجيل للطباعة. بدون رقم للطبعة
المدخل لشرح انجيل القديس يوحنا - دراسة وتحليل - الأب متى المسكين - دير القديس أنبا مقار - دون رقم للطبعة.

مريم ابنة عمران بين اليهودية والمسيحية والإسلام، أبو عبد الرحمن غنيم عبد العظيم.
مريم العذراء المتزهة عن الخطيئة الأصلية، القمص: باسيلي فانوس، بطريركية الأقباط الكاثوليك. دون رقم للطبعة.

مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: مؤسسة قرطبة، القاهرة، الأحاديث مذيبة بتعليق شعيب الأرنؤوط. دون رقم للطبعة.

المسيح الإله والإنسان: لويس برسوم المعهد الإكليريكي القبطي ١٩٨٥م القاهرة.

المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية.

المسيحية في جوهرها: جون ستوت، تعريب: نجيب غالي، دار يوسف كمال للطباعة ١٩٧٨ م.

المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

مصادر النصرانية، د. عبد الرزاق عبد المجيد الأرو، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى.
المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العالمية، بيروت.

المصلح مارتن لوثر حياته وتعاليمه، القس: حنا جرجس الخضري، دار الثقافة المسيحية.

مصنف عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي - الهند، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

مع الجاحظ في رسالة الرد على النصارى، د. إبراهيم عوض، مكتبة، زهراء الشرق،
١٤١٩هـ.

معالم التزييل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر، دار طيبة، الطبعة الرابعة.
معجم اللاهوت الكتابي، نسخة إلكترونية.

معجم المصطلحات الطقسية والكنسية، نسخة إلكترونية.

المعجم الوسيط، مكتبة دار الشروق الدولية، الطبعة الرابعة.

معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر،
١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.

المعمودية والإفخارستيا والكهنوت، بيان ليما، تعريب: ميشال نجم، منشورات النور
بالاشتراك مع مجلس كنائس الشرق الأوسط ١٩٨٤ م.

مقال انبثاق الروح القدس من الآب والابن: الأب يوسف رمزي، موقع سلطنة الحبل
بلا دنس، تاريخ المقال: ١١/٧/٢٠١٠ م.

الملك الألفي في تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية: الأب متى المسكين، دون بيانات للنشر،
بدون رقم للطبعة.

المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل، لأبي الفضل المالكي المسعودي، تحقيق
وتقديم وتعليق: د. رمضان الصفاوي البدري، د. مصطفى الذهبي، دار الحديث، القاهرة،
الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

منهاج السنة النبوية: تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق، محمد رشاد
سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى.

منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين،
إعداد: أحمد عسيري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

موسوعة آباء الكنيسة، عادل فرج عبد المسيح، اللجنة الاستشارية: المطران يوحنا
إبراهيم، د. القس مكرم نجيب، القس أندريه زكي، الأب منصور مستريح، دار الثقافة،
بدون رقم للطبعة.

موسوعة الملل والأديان، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي السقاف،
الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت: www.dorar.net.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب
الإسلامي، مراجعة د. مانع بن حماد الجهني، الطبعة الرابعة.

موسوعة علم اللاهوت: القمص: ميخائيل مينا، تعليق وتبسيط وتنسيق: دياكون
ميخائيل مكسي اسكندر، مكتبة المحبة الطبعة الأولى.

موقف اليمين المسيحي والكنائس الأمريكية من قضايا الشرق الأوسط ضمن كراسات
استراتيجية، الصادرة عن مركز الأهرام للدراسات السياسية، السنة الثالثة عشرة، ٢٠٠٣م
العدد رقم: (١٢٢).



نبوءات الكتاب المقدس هرمدون ونهاية أمريكا وإسرائيل: منصور عبد الحكيم، مكتبة
رياض الحلبي ٢٠٠٧م، الطبعة الأولى.

نبوءات سفر الرؤيا: القمص اثناسيوس اسكندر - كنيسة العذراء مريم القبطية
الأرثوذكسية، كتشنر أونتاريو - كندا.

النبوءة والسياسة غريس هالسل، ترجمة: محمد السماك، دار الشروق الطبعة الثالثة.

النبوات: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد العزيز الطويان، أضواء
السلف، الرياض، الطبعة الأولى.

نصرانية عيسى ومسيحية بولس، صلاح العجاوي، لواء الحمد للنشر والإعلان، الطبعة
الأولى.

النصرانية والإسلام، المستشار: محمد عزت الطهطاوي، القاهرة م، الطبعة الثانية.

نظرة شاملة لعلم الباتولوجي في الستة قرون الأولى: القمص: تادرس ملطي، مطبعة
دير الشهيد مارمينا العجائبي بمريوط، الطبعة الأولى.

النهاية في الفتن والملاحم، أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي - دار المعرفة - الطبعة الرابعة.

النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية بيروت.



هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، شمس الدين أبي عبدالله ابن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد الرفاعي، دار قتيبة، الطبعة الأولى.

هذه عقائدنا، ج. كلايدتارنر، الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل.

هل افتدانا المسيح على الصليب، د. منقذ السقار، دار السلام. الطبعة الأولى.



الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، تقديم: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.



يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، د. رؤوف شلي، مكتبة الأزهر، الطبعة الأولى.

يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه: إلياس اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٦م، الطبعة الثانية.

يقين الخلاص، القس: لبيب ميخائيل - راعي الكنيسة المعمدانية الكتابية الأولى بشبرا- مصر، لجنة مطبوعات الكنيسة المعمدانية الكتابية الأولى، الطبعة الأولى.

مكتبة التراث الإسلامي

فهرس الموضوعات

٤	ملخص البحث
٥	RESEARCH SUMMARY
٦	الإهداء
٧	كلمة الشكر
٨	المقدمة
١٤	اختصارات أسفار الكتاب المقدس
١٥	اختصارات أسفار الكتاب المقدس
٢٤	المبحث الأول: التعريف بالنصرانية
٣٢	المبحث الثاني: مصادر العقيدة النصرانية
٣٢	المطلب الأول: الكتاب المقدس
٣٨	المطلب الثاني: المجامع النصرانية
٥٦	الفصل الأول: تناقض النصارى حول طبيعة المسيح <small>عَلَيْهِ السَّلَامُ</small> ومشيئته
٥٧	المبحث الأول: موقف الكنيسة الأرثوذكسية "اللاخلقيدونية" من طبيعة المسيح <small>عَلَيْهِ السَّلَامُ</small> ومشيئته
٥٧	المطلب الأول: طبيعة المسيح <small>عَلَيْهِ السَّلَامُ</small> عند الأرثوذكس "اللاخلقيدونيين"
٦٠	المطلب الثاني: طبيعة الاتحاد و كفيته عند الأرثوذكس
	المطلب الثالث: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الأرثوذكسية في اعتقادها بطبيعة المسيح المتحدة
٦٥	
٦٩	المطلب الرابع: مشيئة المسيح <small>عَلَيْهِ السَّلَامُ</small> وفعله
٧٢	المبحث الثاني: موقف الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية من طبيعة المسيح <small>عَلَيْهِ السَّلَامُ</small> ومشيئته
٧٢	المطلب الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية ومن وافقها من القول بالطبيعة الواحدة للمسيح ^١
٧٤	المطلب الثاني: طبيعة المسيح <small>عَلَيْهِ السَّلَامُ</small> و كيفية الاتحاد عند الكاثوليك ومن وافقهم
	المطلب الثالث: البراهين التي يستند إليها الكاثوليك ومن وافقهم في اعتقادهم بالطبعتين المتحدتين
٧٦	لشخص المسيح <small>عَلَيْهِ السَّلَامُ</small>
٧٩	المطلب الرابع: مشيئة المسيح <small>عَلَيْهِ السَّلَامُ</small> وفعله

- المبحث الثالث: المسيح ﷺ في الإسلام. ٨٤
- الفصل الثاني: التناقض حول انبثاق الروح القدس** ٩٠
- المبحث الأول: التعريف بـ "انبثاق الروح القدس" ٩٢
- المبحث الثاني: حقيقة الروح القدس في اصطلاح النصراني ٩٥
- المبحث الثالث: تاريخ إضافة لفظ "والابن" إلى قانون الإيمان. ٩٨
- المبحث الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية ومن وافقها في قضية الإيمان بانبثاق الروح القدس ١٠١
- المطلب الأول: البراهين الكتابية: ١٠١
- المطلب الثاني: شهادة الآباء: ١٠٤
- المبحث الخامس: موقف الكنيسة الأرثوذكسية من انبثاق الروح القدس ١٠٨
- المطلب الأول: انبثاق الروح القدس من الآب وحده عند الأرثوذكس. ١٠٨
- المطلب الثاني: علاقة الروح القدس بالآب والابن عند الأرثوذكس. ١١٠
- المطلب الثالث: نتائج عقيدة الانبثاق من الآب والابن. ١١٢
- المبحث السادس: الروح القدس في الإسلام. ١٢٢
- الفصل الثالث: التناقض حول الملك الألفي** ١٢٦
- المبحث الأول: القائلون بالتفسير الحرفي للملك الألفي. ١٢٨
- المبحث الثاني: القائلون بالتفسير الروحي للملك الألفي. ١٣٤
- المطلب الأول: بيان عقيدتهم. ١٣٤
- المطلب الثاني: موقفهم من القائلين بالتفسير الحرفي للملك الألفي. ١٣٧
- المطلب الثالث: الاعتراضات على التفسير الحرفي للملك الألفي. ١٣٨
- المبحث الثالث: نزول المسيح ' ومدة مكثه في آخر الزمان في الإسلام. ١٤٥
- الفصل الرابع: التناقض حول المطهر** ١٥٢
- المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من عقيدة المطهر ١٥٣
- المطلب الأول: تعريف المطهر (PURGATORY) ١٥٣
- المطلب الثاني: نص العقيدة. ١٥٤
- المطلب الثالث: المجمع الكاثوليكية التي أعلنت وحددت عقيدة (المطهر). ١٥٤
- المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية. ١٥٥

- المطلب الخامس: العذاب في المطهر. ١٦١
- المطلب السادس: حول المطهر عند الكاثوليك. ١٦٣
- المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من عقيدة المطهر. ١٧٠
- الفصل الخامس: التناقض حول صكوك الغفران** ١٧٩
- المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من صكوك الغفران. ١٨٠
- المطلب الأول: التعريف بصكوك الغفران. ١٨٠
- المطلب الثاني: نشأة صكوك الغفران. ١٨٢
- المطلب الثالث: فلسفة منح الغفرانات في الكنيسة الكاثوليكية. ١٨٩
- المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية. ١٩٠
- المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من صكوك الغفران. ١٩٣
- المبحث الثالث: منح المغفرة في الإسلام. ١٩٨
- الفصل السادس: التناقض حول عصمة البابا عن الخطأ** ٢٠٤
- المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية من عصمة البابا عن الخطأ. ٢٠٥
- المطلب الأول: التعريف بالعصمة البابوية. ٢٠٥
- المطلب الثاني: إقرار العقيدة. ٢٠٧
- المطلب الثالث: عصمة البابا في عقيدة الكاثوليك. ٢٠٨
- المطلب الرابع: البراهين التي تستند إليها الكنيسة الكاثوليكية في قضية الإيمان بعصمة البابا عن الخطأ. ٢١٣
- المبحث الثاني: موقف الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية من عصمة البابا الروماني عن الخطأ. ٢١٦
- المبحث الثالث: العصمة في الإسلام. ٢٢٧
- الفصل السابع: التناقض حول الخلاص** ٢٣١
- المبحث الأول: تعريف الخلاص. ٢٣٢
- المطلب الأول: الخلاص لغة. ٢٣٢
- المطلب الثاني: الخلاص اصطلاحاً. ٢٣٦
- المبحث الثاني: شرط الخلاص عند البروتستانت. ٢٤٤
- المطلب الأول: الإيمان الخلاصي عند البروتستانت. ٢٤٤
- المطلب الثاني: البراهين التي يستند إليها البروتستانت. ٢٤٦

٢٤٩	المطلب الثالث: نتائج الإيمان الخلاصي عند البروتستانت
٢٥٢	المبحث الثالث: شرط الخلاص عند الأرثوذكس والكاثوليك
٢٥٢	المطلب الأول: طرق نيل الخلاص عند الأرثوذكس والكاثوليك
٢٥٧	المطلب الثاني: الاعتراضات على فكرة الخلاص بالإيمان فقط
٢٦٠	المبحث الرابع: غفران الخطايا في الإسلام
٢٦٥	الفصل الثامن: التناقض حول العذراء مريم عليها السلام
٢٦٦	المبحث الأول: الحبل بلا دنس
٢٦٦	المطلب الأول: الحبل بلا دنس عند الكاثوليك
٢٧٢	المطلب الثاني: الاعتراضات على هذه العقيدة
٢٧٥	المبحث الثاني: بتولية العذراء الدائمة
٢٧٦	المطلب الأول: البراهين التي يستند إليها المؤمنون بهذه العقيدة
٢٧٨	المطلب الثاني: الاعتراضات على هذه العقيدة
٢٨١	المبحث الثالث: تلقيب العذراء مريم بوالدة الإله
٢٨٣	المطلب الأول: البراهين التي يستند إليها المؤمنون بهذه العقيدة
٢٨٥	المطلب الثاني: الاعتراضات على هذه العقيدة
٢٨٧	المبحث الرابع: مريم عليها السلام في الإسلام
٢٩٦	الفصل التاسع: التناقض حول الأسرار الكنسية
٣٠٢	المبحث الأول: المعمودية
٣٠٨	المبحث الثاني: التثبيت أو المسحة بالميرون المقدس
٣١٤	المبحث الثالث: التوبة "الاعتراف"
٣١٩	المبحث الرابع: العشاء الرباني "الإفخارستيا"
٣٢٨	المبحث الخامس: مسحة المرضى
٣٣٢	المبحث السادس: الزواج
٣٣٧	المبحث السابع: الكهنوت أو الرسامة
٣٤٧	الخاتمة
٣٥٢	فهرس آيات القرآن الكريم
٣٥٨	فهرس الأحاديث النبوية

٣٦٠	فهرس الآثار.....
٣٦١	فهرس الأعلام المترجم لهم.....
٣٦٣	فهرس الفرق والمذاهب.....
٣٦٤	فهرس المصطلحات.....
٣٦٧	فهرس المراجع والمصادر.....



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ